

# کتابخانه صوفیہ سیکرہ عالی حرم آباد دکن

۲۵۲۵

~~مجلد ۲۵۲۵~~

مجلد ۲۵۲۵

نخب الملج

قسم ثالث

نخب الملج

قسم ثالث

محاضرات

محاضرات

۱۰۴

نمبر کتاب ۱۰۴





# مَخْرَجُ الْمَلِكِ

جميعها الآب يوحنا بلو والآب اغوستينوس  
من الرهينة السوعية

الجزء الأول

القسم الثاني

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى فُصُولٍ جُغَرَفِيَّةٍ وَمُنَاطِلِيَّةٍ



طبع رابعة في مطبعة المرسلين السوعيين

في بيروت ١٨٨٤



۲۵۲۵	رقم
۲۰	فصل نمبر
۴۱۵۲	کتاب نمبر

## مُخَبَّرَةٌ

مِنْ كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَّانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْمُخَبَّرِ فِي آبَامِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ  
وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ دَوِي السُّلْطَانِ الْأَخْصَرِ  
لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُونِ الْمُحَضَّرِ



بَنَ الْمُبْتَدَأَ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّأْرِخِ  
وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِمْلَاعِ بِهَا بَعْضُ الْمُبْتَدَأِ  
مِنَ الْمَغَالِطِ وَالْأَوْهَامِ وَذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ أَسْبَابِهَا  
يُطْلَعُ أَنْ قَدْ تَأَرَّخَ قَدْ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْفَائِدَةِ شَرِيفُ الْعَائِدَةِ إِذَا  
هُوَ يُقَفِّنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَمْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيرَتِهِمْ  
وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلَتِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى نَتِمَّ فَائِدَةً الْإِفِيدَةِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ بَرُوهُ  
فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا خِذَ مَتَعِدَّةً وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً  
وَحُسْنَ نَظَرٍ وَتَثَبُّتٍ بِفَضِيحَاتٍ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْحَقِّ وَيُنَكِّبَانِ بِهِ عَنِ الْمَزَلَاتِ  
وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا مَجَرَّدُ النُّقْلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ  
وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَاءِ وَالْأَحْوَالُ فِي الْأَجْفَاعِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا  
فِي سَ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْمُحَاضِرِ بِالدَّاهِبِ قَرِيبًا أَمْ يُؤْمَنُ فِيهَا مِنَ  
الْعُثُورِ وَمَزِلَّةِ الْقَدَمِ وَالْمُجِدِّ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَيْدِ مَا وَقَعَ لِلْمُبْتَدِئِينَ  
وَالْمُفَسِّرِينَ وَآثِيَةِ النُّقْلِ الْمَغَالِطِ فِي حِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى  
مَجَرَّدِ النُّقْلِ غَنًا أَوْ سَمِينًا أَمْ يَعْزِضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا وَقَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا

سَبَرُوهَا بِمِغْيَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ  
وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنْ الْحَقِّ وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ الْوَهْمِ وَالْغُلْطِ  
سَيِّمًا فِي إِيْخَصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ  
إِذْ هِيَ مَطْنَةُ الْكَذِبِ وَمَطْبَةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا  
عَلَى الْقَوَاعِدِ

وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يُنْقَلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ  
الرَّشِيدِ لِلْبِرَامِكَةِ مِنْ فَصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخْتِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحِي بْنِ خَالِدِ  
مَوْلَاهُ وَإِنَّمَا نَكَبَ الْبِرَامِكَةُ مَا كَانَ مِنْ اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَاجْتِاعِ  
أَمْوَالِ الْأُجَيَّاتِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْبَسِيرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ  
فَغَلَبُوهُ عَلَى أَمْرِ وَشَرِكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ  
مُلْكِهِ فَعَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَبَعْدَ صِبْنِهِمْ وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطُهَا  
بِالرُّؤَسَاءِ مِنْ وَلَدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَحْزَارُهَا عَنْ سِوَاهُمْ مِنْ وَزَارَةٍ وَكِتَابَةٍ  
وَقِيَادَةٍ وَحِجَابَةٍ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يَدَارِ الرَّشِيدِ مِنْ وَلَدِ بَيْحِي  
بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ  
زَاخُمَا فِيهَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ بِالْمُنَاكِبِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِهُكَانِ أَبِيهِمْ بَيْحِي  
مِنْ كَمَالَةِ هُرُونٍ وَلِيٍّ عِنْدَ وَخَلِيفَةٍ حَتَّى شَبَّ فِي تَجْوِيعٍ وَخَرَجَ مِنْ عِشْرِ  
وَغَلَبَهُ عَلَى أَمْرِ وَكَانَ يَدْعُوهُ يَا أَبَتِ. فَتَوَجَّهَ إِلَى ثَارٍ مِنَ السُّلْطَانِ فِي يَوْمٍ  
وَعَظُمَتْ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَأَنْبَسَطَ أَنْجَاهُ عِنْدَهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ نَحْوُهُمُ الْوُجُوهُ  
وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَفُصِرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَنَخَطَتْ إِلَيْهِمُ مِنْ أَقْصَى  
النُّحُومِ هَذَا يَا الْمَلُوكُ وَخُفُّ الْأُمَرَاءِ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ

التَّزَلُّبِ وَالْإِسْنَالَةَ أَمْوَالُ الْيُحْيَايَةِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشَّيْبَةِ وَعُظْمَاءَ  
 الْفَرَايَةِ الْعَطَاءَ وَطَوُّوهُمْ إِلَيْنَ وَكَسَبُوا مِنْ بَيِّنَاتِ الْأَشْرَافِ الْمُعْدِمِ  
 وَفَكُّوا الْعَالِيَّ وَمُدَّحُوا بِهَا لَمْ يُدْخِ بِهِ خَلِيفَتُهُمْ وَأَسْنَوْا لِعَفَائِهِمُ الْجَوَائِزَ  
 وَالصَّلَاتِ وَاسْتَوَلَوْا عَلَى الْفَرَى وَالضَّبَاعِ مِنَ الصَّوَابِ وَالْأَمْصَارِ فِي  
 سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَسْفَوْا الْبَطَانَةَ وَأَخَفَدُوا الْخَاصَّةَ وَأَغْصَوْا أَهْلَ الْوِلَايَةِ  
 فَكَشَفَتْ لَهُمْ وَجْهَ الْمُنَافَسَةِ وَالتَّحْسِدِ وَدَبَّتْ إِلَى مِهَادِهِمُ الْوَيْثِرُ مِنَ  
 الدَّوْلَةِ عَقَارِبُ السَّعَايَةِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ بَنُو فَحْطَبَةَ أَخْوَالُ جَعْفَرٍ مِنْ أَعْظَمِ  
 السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْطِفْهُمْ لِمَا وَفَّرَ فِي نَفْسِهِمْ مِنَ التَّحْسِدِ عَوَاطِفُ الرَّحْمِ  
 وَلَا وَزَعَتْهُمْ أَوَاصِرُ الْفَرَايَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ مَخْدُومِهِمْ نَوَاشِئُ الْغَيْبَةِ  
 وَالْإِسْنَانِكَافِ مِنَ التَّحْجَرِ وَالْآفَةِ وَكَامِنُ الْخُفُودِ الَّتِي بَعَثَتْهَا مِنْهُمْ صَغَائِرُ  
 الدَّالَّةِ وَانْتَهَى بِهَا الْإِضْرَارُ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ الْخَالَفَةِ كَقِصَصِهِمْ فِي بَيْحِ  
 بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي الْمُهَدِيِّ  
 الْمَلْفُوبِ بِالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ الْخَارِجِ عَلَى الْمَنْصُورِ وَبَيْحِ هَذَا هُوَ الَّذِي  
 اسْتَنَزَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ بَيْحٍ مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِخَطِّهِ وَبَذَلَ  
 لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَفَعَهُ الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ  
 وَجَعَلَ أَعْقَالَهُ بِدَارِهِ وَإِلَى نَظِيرٍ فَخَبَسَهُ مُدَّةً ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّالَّةُ عَلَى تَخْلِيَةِ  
 سَبِيلِهِ وَالْإِسْنَادِ بِحُلِّ عِقَالِهِ حَرَمًا لِدِمَائِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةٌ عَلَى  
 السُّلْطَانِ فِي حُكْمِهِ وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَهَا وَشَيْءٌ بِهِ إِلَيْهِ فَفَطَنَ وَقَالَ  
 أَطْلَفْتُهُ فَأَبْدَى لَهُ وَجْهَ الْإِسْنَانِ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ  
 فَأَوْجَدَ السَّبِيلَ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ حَتَّى نُزِلَ عَرْشُهُمْ وَانْكَشَفَتْ عَلَيْهِمْ

مَأْوُهُمْ وَخُسِفَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ وَبَدَارَهُمْ وَذَهَبَتْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ  
أَبَائِهِمْ. وَمَنْ تَأَمَّلَ أَخْبَارَهُمْ وَأَسْتَفْصَى سِيرَ الدَّوْلَةِ وَسِيرَهُمْ وَجَدَ ذَلِكَ  
مُحَقَّقَ الْأَثَرِ مُبْهَدَ الْأَسْبَابِ. وَأَنْظَرَ مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مَفَاوِضِهِ  
الرَّشِيدِ عَمَّ جَدُّهُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ فِي شَأْنِ نَكْبَتِهِمْ مَا ذَكَرَهُ فِي بَابِ الشُّعْرَاءِ  
مِنْ كِتَابِ الْعُقَدِ فِي مُحَاوَرَةِ الْأَضْمَعِيِّ لِلرَّشِيدِ وَالْفَضْلِ بْنِ بَجْجِي فِي سِرِّهِمْ  
تَنْفَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الْغَبْرَةُ وَالْمَنَافَسَةُ فِي الْأَسْتَبْدَادِ مِنَ الْخُلَيْفَةِ فَمِنْ ذُنُوبِهِ  
وَكَذَلِكَ مَا تَحَبَّلَ بِهِ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَ الْبَطَانَةِ فِيمَا دَسَّوهُ لِلْمَغْنَمِ مِنَ الشُّعْبِ.  
أَحْيَا لَا عَلَى إِسْمَاعِيهِ لِلْخُلَيْفَةِ وَتَحْرِيكِ حَفَائِظِهِ لَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ شِعْرُهُ  
لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعَذُّ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مَا مَاجَدُ  
وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ  
وَأَنَّ الرَّشِيدَ لَهَا سَمِعَهَا قَالَ إِي وَاللَّهِ عَاجِزٌ حَتَّى بَعَثُوا بِأَمْثَالِ هَذِهِ كَالْمِنْ  
غَيْرَتِهِ وَسَلَطُوا عَلَيْهِمْ نَاسًا أَنْتَقَامِيهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَلْبَةِ الرِّجَالِ وَسُوءِ الْحَالِ  
وَأَمَّا مَا تُنَمُّوهُ بِهِ الْحِكَايَةَ مِنْ مُعَافَرَةِ الرَّشِيدِ الْأَحْمَرِ وَأَقْتِرَانِ سُكْرِهِ  
بِسُكْرِ الْذَّمِّ مَا نِ فَحَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِ  
الرَّشِيدِ وَفِيَايِهِ بِمَا يَجِبُ يَهْتَصِبُ الْخِلَافَةَ مِنَ الدِّينِ وَالْعَدَالَةِ وَمَا كَانَ  
عَلَيْهِ مِنْ صَحَابَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَمُحَاوَرَتِهِ لِلْفَضْلِ بْنِ عِيَّاضٍ وَأَبْنِ  
السَّمَاكِ وَالْعَبْرِيِّ وَمُكَاتَبَتِهِ سُفْيَانَ وَبُكَائِهِ مِنْ مَوَاعِظِهِمْ وَدُعَائِهِ بِهِكْمَةٍ  
فِي طَوَائِفِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْحِفَافَةِ عَلَى أَوْفَاتِ الصَّلَوَاتِ  
وَشُهُودِ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ فِي وَفَيْهَا  
حَكِي الطَّبْرِيِّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ نَافِلَةٍ وَكَانَ

يَغْرُو عَامًا وَتَحْجُ عَامًا. وَلَقَدْ رَجَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ مُضْحِكُهُ وَسَمِعَهُ حِينَ نَعَرَضَ  
لَهُ يَبْتُلُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ لَهَا سَمِعَهُ يَقْرَأُ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي.  
قَالَ وَاللَّهِ لَا أَذْرِي لِمَ. فَأَتَمَّاكَ الرَّشِيدُ أَنْ ضَحِكَ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ مُغْضِبًا  
وَقَالَ يَا ابْنَ أَبِي مَرْيَمَ فِي الصُّلُوفِ أَبْضًا إِيَّاكَ وَالْقُرْآنَ وَالَّذِينَ  
وَلَكَ مَا شِئْتَ بَعْدَهَا

وَأَبْضًا فَقَدْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالسَّدَاجَةِ يُمْكِنُ لِقُرْبِ عَهْدِهِ مِنْ سَلَفِهِ  
الْمُتَحِلِّينَ لِذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَدِّ أَبِي جَعْفَرٍ بَعِيدُ زَمَنِ إِنَّمَا  
خَلْفُهُ غُلَامًا. وَقَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يُمْكِنُ مِنَ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ قَبْلَ الْخِلَافَةِ  
وَبَعْدَهَا وَهُوَ الْفَائِلُ لِمَالِكٍ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْلِيلِ الْمُوَطِّئِ يَا أَبَا عَبْدِ  
اللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ فَإِنِّي قَدْ شَغَلَنِي الْخِلَافَةُ  
فَضَعْتُ أَنْتَ لِلنَّاسِ كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ نَحْنُ فِيهِ رَخَصَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَشَدَّ ابْنُ  
أَبِي عُمَرَ وَوَطَّئَهُ لِلنَّاسِ تَوْطِئَةً: قَالَ مَالِكٌ قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ عَلَيْنَا التَّصْنِيفَ  
يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ أَذْرَكَهُ ابْنُهُ الْمُهْدِيُّ أَبُو الرَّشِيدِ هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنْ كِسْوَةِ  
الْجَدِيدِ لِعِيَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِجَلْسِهِ يُبَاشِرُ  
الْمُجْتَاطِينَ فِي إِرْقَاعِ الْمُخْلَفَانِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ. فَاسْتَنَكَفَ الْمُهْدِيُّ مِنْ  
ذَلِكَ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ كِسْوَةُ هَذِهِ الْعِيَالِ عَامَنَا هَذَا مِنْ  
عَطَائِي فَقَالَ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ يَصُدَّ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ أَمْوَالِ  
الْمُسْلِمِينَ

فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخِلَافَةِ وَأُبُوَّتِهِ وَمَارِجِهِ  
عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالتَّخَلُّقِ بِهَا أَنْ يُعَاقِرَ فِي التَّخْمِيرِ أَوْ

تَجَاهَرِ بِهَا. وَقَدْ كَانَتْ حَالُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي اجْتِنَابِ  
 الْخَمْرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ تَكُنِ الْكُرْمُ تُشَجَّرُ لَهُمْ وَكَانَ شُرْبُهَا مَدْمَةً عِنْدَ الْكَبِيرِ مِنْهُمْ  
 وَالصَّغِيرِ. وَالرَّشِيدُ وَآبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى تَبَعٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ  
 وَدُنْيَاهُمْ وَالْتَحَقُوا بِالْحَمِيدِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَتَزَعَّتِ الْعَرَبُ. وَأَنْظُرْ مَا  
 نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ فِي فَصَّةِ جَبْرِئِيلَ بْنِ بَجْنِيَشُوعَ الطَّيِّبِ حِينَ  
 أَخْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَحَمَاهُ عَنْهُ. ثُمَّ أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمْلِهِ إِلَى  
 مَتْرَ لِهْ وَقَطَنَ الرَّشِيدُ وَأَرْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى عَابَتْهُ بِتَنَاوُلِهِ. فَأَعَدَّ  
 ابْنُ بَجْنِيَشُوعَ لِلْإِعْذَارِ ثَلَاثَ فِطَعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَفْدَاجٍ خَلَطَ  
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَامِجَ بِالتَّوَابِلِ وَالتَّبُؤِلِ وَالتَّبُورِادِ وَالتَّحْلُوءِ. وَصَبَّ  
 عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُنْجَمًا. وَعَلَى الثَّالِثَةِ خَمْرًا صِرْفًا. وَقَالَ فِي الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ:  
 هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خُلِطَ السَّمَكُ بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يُخْلَطْ. وَقَالَ فِي  
 الثَّالِثَةِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَجْنِيَشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ حَتَّى إِذَا أَتَتْهُ  
 الرَّشِيدُ وَأَخْضَرَ لِلتَّوْبِجِ أَخْضَرَ الْأَفْدَاجِ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخَمْرِ قَدْ اخْتَلَطَ  
 وَمَاءً وَتَفَتَّتَ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدَا وَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُمَا

فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ مَعْدِرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالُ الرَّشِيدِ فِي  
 اجْتِنَابِ الْخَمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ. وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ  
 أَنَّهُ عِنْدَ مَحْبَسِ أَبِي نَوَاسٍ لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ أَهْلِيهَا فِي الْعَبَاقِ حَتَّى تَابَ وَأَقْلَعَ.  
 وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يُشْرَبُ نَبِيذَ التَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَنَاقِهِمْ فِيهَا  
 مَعْرُوفَةً. وَأَمَّا الْخَمْرُ الصِّرْفُ مِنَ الْعِنَبِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى أَهْلِيهَا بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ  
 الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ فِيهَا. فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ يَحْبِثُ بِوَافِعٍ مُحَرَّمًا مِنَ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ

عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَدِ . وَلَقَدْ كَانَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ يَخْشَوْنَ مِنْ حَيْثُ السَّرَفِ  
وَالْتَرَفِ فِي مَلَاسِيهِمْ وَزِيَّاتِهِمْ وَسَائِرِ مَتَنَاتِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُوعِهِ  
الْبِدَاةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يَفَارِقُوهَا بَعْدُ . فَمَا ظَنُّكَ بِمَا يَخْرُجُ عَنْ  
الْإِبَاحَةِ إِلَى الْحَظَرِ وَعَنِ الْحِلْيَةِ إِلَى الْحَرَمَةِ . وَلَقَدْ أَتَقَفَ الْمَوْرُخُونَ  
الطَّبَرِيُّ وَالسَّعُودِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ  
وَبَنِي الْعَبَّاسِ إِذَا كَانُوا يَرْكَبُونَ بِأَحْلِيَةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ  
وَالسُّبُوفِ وَاللَّجَمِ وَالسُّرُجِ وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَحَدَتْ الرُّكُوبَ بِحِلْيَةِ الذَّهَبِ  
هُوَ الْمُعْتَزُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ  
أَيْضًا فِي مَلَاسِيهِمْ . فَمَا ظَنُّكَ بِشَارِبِهِمْ وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ مِنْ هَذَا إِذَا  
فُهِتَ طَبِيعَةُ الدَّوْلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاةِ وَالْفَظَاظَةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي مَسَائِلِ  
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وَيُنَاسِبُ هَذَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ مَا يَنْقُلُوهُ كَافَّةً عَنْ بَيْهَقِيِّ بْنِ أَكْثَمٍ قَاضِي  
الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّ كَانَ يُعَافِرُ الْمَأْمُونُ الْخَمْرَ وَأَنَّهُ سَكَّرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِبِهِ  
فَدَفِنَ فِي الرَّيْحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَيُنْشِدُونَ عَلَى لِسَانِهِ  
يَا سَيِّدِي وَآمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْفِينِي  
إِنِّي غَفَلْتُ عَنْ السَّاقِي فَصَبَّرَنِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالِدِّينِ  
وَحَالَ أَيْنَ أَكْثَمُ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَاهُمُ إِذَا  
كَانَ النَّبِيدُ وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ . وَأَمَّا السُّكْرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ  
وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِذَا كَانَ خُلَّةً فِي الدِّينِ . وَلَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ مَعَهُ  
فِي اللَّيْلِ وَنُقِلَ مِنْ فَضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ أَنَّهُ أَنْتَبَهَ ذَاتَ لَيْلَةٍ



فَقَامَ يَجْسَسُ وَيَلْتَمِسُ الْإِنَاءَ خَافَةَ أَنْ يُوَفَّظَ بِحُجَّتِي بَيْنَ أَكْثَرِكُمْ وَتَبَتَ أَنَّهَا  
كَانَا يُصَلِّيانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا. فَأَيُّنَ هَذَا مِنَ الْمَعَاقِفِ. وَأَيُّضًا بِحُجَّتِي بَيْنَ أَكْثَرِكُمْ  
كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْقَاضِي  
إِسْمَاعِيلُ وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِهِ الْجَامِعِ. وَذَكَرَ الْحَافِظُ الْمُرْتَضَى أَنَّ  
الْبُخَارِيَّ رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ. قَالَ فَنَدَحُ فِيهِ قَدَحٌ فِي جَمِيعِهِمْ  
وَكَذَلِكَ نَبَرَهُ النُّجَّانُ بِالْمَلِإِ إِلَى الْغِلْمَانِ مُهْتَانًا عَلَى اللَّهِ وَفِرْيَةً عَلَى الْعُلَمَاءِ  
وَيَسْتَنِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْفُصَّاصِ الْوَاهِبَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَفْرَاءِ  
أَعْدَائِهِ. فَإِنَّهُ كَانَ مُحْسَدًا فِي كَمَالِهِ وَخُلِيٍّ لِلسُّلْطَانِ وَكَانَ مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ  
وَالدِّينِ مُتَزَاهَا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ. وَقَدْ ذُكِرَ لِأَبْنِ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ النَّاسُ  
فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرُ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا  
وَأَتَنَى عَلَيْهِ. وَقِيلَ لِإِسْمَاعِيلَ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ  
عَدَالَةُ مِثْلِهِ بِتَكْذُوبِ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ كَانَ بِحُجَّتِي بَيْنَ أَكْثَرِكُمْ أَجْرًا إِلَى اللَّهِ  
مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْغِلْمَانِ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَفُفُّ  
عَلَى سَرَائِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدًا خَوْفَ اللَّهِ لَكِنَّهُ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خُلُقٍ  
قَرِيبٍ بِهَا رُمِيَ بِهِ وَذَكَرَهُ أَبُو حُبَّانٍ فِي الثِّقَاتِ وَقَالَ لَا يُشْتَغَلُ بِهَا بِحُجَّتِي  
عَنْهُ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا لَا تَصِحُّ عَنْهُ

وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ مَا نَقَلَهُ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعُقَدِ مِنْ  
حَدِيثِ الزُّنَيْبِ فِي سَبَبِ إِضْهَارِ الْهَامُونِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بَيْتِهِ  
بُورَانَ..... وَأَيُّنَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْهَامُونِ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ وَعَلَيْهِ  
وَأَفْنِائِهِ سُنَنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخِيهِ بِسِيَرَةِ الْخُلَفَاءِ

الْأَرْبَعَةُ أَرْكَانُ الْهَيْلَةِ وَمُنَظَرَتِهِ لِلْعُلَمَاءِ وَحِفْظِهِ لِلْحُدُودِ فِي صَلَواتِهِ  
وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ عَنْهُ أَحْوالُ الْفَسَاقِ الْمُشْهَرِينَ فِي التَّطَوُّافِ بِاللَّيْلِ  
وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغَشِيَانِ السَّمْرِ سَبِيلِ عُشَّاقِ الْأَعْرَابِ وَأَيْنَ ذَلِكَ  
مِنْ مَنْصِبِ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ يَدَارِ أَيْبَها مِنَ الصُّونِ  
وَالْعَفَافِ

وَأَمثالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا يَبْعَثُ  
عَلَى وَضْعِها وَالتَّحْدِيثِ بِها الْإِنْهَافُ فِي اللَّذَاتِ الْحَرَمَةِ وَهَتَكَ فِتْناعِ  
الْمُرَوَّاتِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونُهُ مِنْ طَاعَةِ لَدَائِمِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ  
كَثِيرًا مَا يَلْهَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَنْفِرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصْلُحِهِمْ لِأَوْرَاقِ  
الدَّوَابِّ وَلَوْ أَتَمَّسَّوْا بِهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوالِهِمْ وَصِفَاتِ الْكَمالِ الْأَلِيقَةِ  
بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَدَلْتُ يَوْمًا  
بَعْضَ الْأَمْرَأَةِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ يَتَعَلَّمُ الْغِنَاءَ وَوُلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ  
وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِمَنْصِبِكَ فَقَالَ لِي أَفَلَا تَرَى إِلَى  
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَئِيسَ الْغَنِيِّينَ فِي  
زَمَانِهِ فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَا تَأْسَيْتَ بِأَيِّهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ  
قَعَدَ ذَلِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَنَاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَذْلِي وَأَعْرَضَ

وَمِنْ الْغُلَطِ الْخَفِيِّ فِي التَّارِيخِ الدُّهُولُ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوالِ فِي الْأُمَمِ  
وَالْأَجْيَالِ يَتَبَدَّلُ الْأَعْصَارُ وَمُرُورُ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَائِمٌ دَوِيبٌ وَسَدِيدٌ  
الْخَفَاءُ إِذْ لَا يَبْقَى إِلَّا بَعْدَ أَخْطَابِ مُتَطَاوِلَةٍ وَلَا يَكَادُ يَنْفَطِنُ لَهُ إِلَّا الْأَحَادُ  
مِنْ أَهْلِ الْخَلِيفَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَحْوالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدُهُمْ وَنَحْلَهُمْ

لَا تَدُومُ عَلَى وَبَسَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جُ مَسْتَقَرٌّ. إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ  
وَالْأَزْمِنَةِ وَانْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَشْخَاصِ  
وَالْأَوْقَانِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَفْعُ فِي الْأَقَايِ وَالْأَقْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ  
وَالدَّوَلِ

وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمَمُ الْفَرَسِ الْأُولَى وَالسَّرْيَانِيُونَ وَالنَّبَطُ وَالنَّبَايَعَةُ  
وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْفَيْطُ. وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ يَوْمَ فِي دَوْلِهِمْ وَمَمْلَكَتِهِمْ  
وَسِيَاسَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرُ مُشَارِكَاتِهِمْ مَعَ أَبْنَاءِ  
جَنَسِهِمْ وَأَحْوَالُ أَعْيَانِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا أَعْيَانُهُمْ. ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
الْفَرَسُ الثَّانِيَّةُ وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ وَالْفَرَنْجَةُ. وَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ  
وَأَنْفَلَتِ الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا وَيُشَابِهُهَا وَإِلَى مَا يَبْاينُهَا وَيُبَاعِدُهَا. ثُمَّ  
جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرَّةٍ. فَأَنْفَلَتِ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ أَنْفِلَابَةً أُخْرَى  
وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مَعَارِفُ لِهَذَا الْعَهْدِ يَأْخُذُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ، ثُمَّ  
حَرَسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَذَهَبَ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَيَّدُوا عِزَّهُمْ  
وَمَهَّدُوا مُلْكَهُمْ وَصَارَ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجْمِ مِثْلُ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْبَرْبَرِ  
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجِ بِالشَّمَالِ فَذَهَبَتْ يَدُهَا يَوْمَ أُمَمٍ وَأَنْفَلَتِ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ  
نُصْبِي شَأْنِهَا وَأُغْفِلَ أَمْرُهَا

وَالسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ. أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ  
تَابِعَةٌ لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ.  
وَأَهْلُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِذَا اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْزِعُوا  
إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ فَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُفْعِلُونَ عَوَائِدَ جِيلِهِمْ

مَعَ ذَلِكَ قَبَّعَ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ بَعْضُ الْخُلَافَةِ لِعَوَائِدِ النِّجَالِ الْأَوَّلِ. فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَزَجَتْ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ أَيْضًا بَعْضَ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ مُخَالَفَةً. ثُمَّ لَا يَزَالُ النَّدْرِجُ فِي الْخُلَافَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُبَابِنَةِ بِالْجُمْلَةِ. فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْبَالُ تَتَعَاقَبُ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْخُلَافَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَافِعَةً

وَالْقِيَاسُ وَالْحِكَاةُ لِلإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنْ الْغَلْطِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ تُخْرِجُهُ مَعَ الدُّهُولِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ مَقْصِدِهِ وَتَعَوُّجُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ. فَرُبَّمَا سَمِعَ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ فَلَا يَنْفَطِنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَاتِّفَاقِهَا فَيُخْرِجُهَا لِأَوَّلِ وَهَلَةِ عَلَى مَا عَرَفَ وَيَقْسِمُ بِهَا بِشَهْدٍ. وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا قَبَّعَ فِي مَهْوَاهُ مِنَ الْغَلْطِ

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَتَوَهَّمُ الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ النَّارِجِ إِذَا سَمِعُوا أَحْوَالَ الْقَضَاءِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرَّئَاسَةِ فِي الْحُرُوبِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ فَتَنَرَّامِي بِهِمْ وَسَاوِسُ أَلْهَمِهِ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الرُّتَبِ بِحُسُوبِ أَنَّ الشَّأْنَ فِي خِطَّةِ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَيَظُنُّونَ بِأَنَّ أَبِي عَامِرٍ حَاجِبَ هِشَامِ الْمُسْتَبْدِ عَلَيْهِ وَابْنُ عَبَّادٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِإِسْطِيبَلَةِ إِذَا سَمِعُوا أَنَّ أَبْنَاءَهُمْ كَانُوا قُضَاءً أَنَّهُمْ مِثْلُ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَنْفَطِنُونَ لِمَا وَقَعَ فِي رُتَبَةِ الْقَضَاءِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْعَوَائِدِ كَمَا نَبَّيْنَهُ فِي فَصْلِ الْقَضَائِينَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ. وَابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَابْنُ عَبَّادٍ كَانَا مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الْقَتَائِبِينَ بِالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلُ عَصِيْنِيَّهَا. وَكَانَ مَكَانُهُمْ

فِيهَا مَعْلُومًا وَلَمْ يَكُنْ نَبْلُهُمْ لِمَا نَالُوهُ مِنَ الرِّثَاسَةِ وَالْمَلِكِ بِخَطَّةِ الْقَضَاءِ كَمَا  
هِيَ هَذَا الْعَهْدِ . بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْقَضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيمِ لِأَهْلِ الْعَصِيَّاتِ  
مِنْ قَبَائِلِ الدَّوْلَةِ وَمَوَالِيهَا كَمَا هِيَ الْوَزَارَةُ لِعَهْدِنَا بِالْمَغْرِبِ . وَانْظُرْ  
خُرُوجَهُمْ بِالْعَسَاكِرِ فِي الصَّوَانِبِ وَتَقْلِيدَهُمْ عِظَامَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُقْلَدُ  
إِلَّا لِمَنْ لَهُ الْغَنَاءُ فِيهَا بِالْعَصِيَّةِ فَيَغْلَطُ السَّامِعُ فِي ذَلِكَ وَيَجْهَلُ الْأَحْوَالُ  
إِلَى غَيْرِ مَا هِيَ

وَكَثُرَ مَا يَفْعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ ضَعْفًا الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ هَذَا  
الْعَهْدِ لِقِدَارِ الْعَصِيَّةِ فِي مَوَاطِنِهِمْ مِنْذُ أَعْصَارٍ يَعْبُدُ لِفَنَاءِ الْعَرَبِ  
وَدَوْلَتِهِمْ بِهَا وَخُرُوجِهِمْ عَنْ مَلَكَةِ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ مِنَ الْبَرِّ بِفَيْتِ أَنْسَابِهِمْ  
الْعَرَبِيَّةِ مُحْفُوظَةً وَالذَّرْبَةُ إِلَى الْعِزِّ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْتِمَاضُ مَفْقُودَةٌ بَلْ  
صَارُوا مِنْ جُمْلَةِ الرِّعَايَا الَّتِي تَخَاطَبُ الَّذِينَ تَعَبَّدُ الْقَهْرُ وَزِيَمُوا لِلْمَذَلَّةِ  
يَحْسِبُونَ أَنَّ أَنْسَابَهُمْ مَعَ مُخَالَطَةِ الدَّوْلَةِ هِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْغَلَبُ وَالنَّحْمُ  
فَتَجِدُ أَهْلَ الْحَرْفِ وَالصَّنَائِعِ مِنْهُمْ مُتَصَدِّينَ لِذَلِكَ سَاعِينَ فِي نَيْلِهِ . فَأَمَّا  
مَنْ بَاشَرَ أَحْوَالَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصِيَّةِ فِي دَوْلِهِمْ بِالْعُدُوفِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَكَيْفَ  
يَكُونُ التَّغْلِبُ بَيْنَ الْأُمَمِ وَالْعَشَائِرِ فَقَلَّمَا يَغْلَطُونَ فِي ذَلِكَ وَيَخْطِئُونَ  
فِي أَعْيَانِهِ

تَمَّ الْمَقُولُ مِنْ كِتَابِ الْعِبَرِ وَدِيَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْمُخْبَرِ  
لِابْنِ خَلْدُونِ

مِنْ كِتَابِ نَحْصِ الطِّبِّ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ  
تَأْلِيفِ الْعَلَّامَةِ الْمَغْرِبِيِّ

فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ

فَأَقُولُ مُحَاسِنُ الْأَنْدَلُسِ لَا تُسْتَوَقَى بِعِبَارَةٍ وَبُجَارٍ بِفَضْلِهَا لَا يَشُقُّ  
غُبَارُهُ وَأَنَّى تُجَارَى وَهِيَ الْأَحَاطَةُ قَصَبُ السَّبْقِ فِي أَفْطَارِ الْغَرْبِ وَالْشَرْقِ.  
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالْأَنْدَلُسِ بْنِ طُوَيْلٍ بْنِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ  
لِأَنَّهُ نَزَلَهَا كَمَا أَنَّ أَخَاهُ سَبْتَ بْنَ يَافَثَ نَزَلَ الْعُدُوَّةَ الْمُتَقَابِلَةَ لَهَا وَإِلَيْهِ  
تُنْسَبُ سَبْتَةُ. قَالَ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يُحَافِظُونَ عَلَى قِيَامِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
لِأَنَّهُمْ إِمَّا عَرَبٌ أَوْ مُعَرَّبُونَ أَنْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ غَالِبٍ إِنَّهُ أَنْدَلُسُ بْنُ  
يَافَثَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِإِلَادَةِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الرِّيعِ وَغَدَقَ السُّفْيَا  
وَلَذَادَةَ الْأَقْوَاتِ وَنَرَاهُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَدَوْرَ الْفَوَاكِهِ وَكَثْرَةَ الْبِهَائِ وَبَحْرَ  
الْعَبْرَانِ وَجُودَةَ اللَّيَاسِ وَشَرَفَ الْآبِيَةِ وَكَثْرَةَ السِّلَاحِ وَصِحَّةَ الْهَوَاءِ  
وَأَبْيَضَاضِ الْوَانِ الْإِنْسَانِ وَنَبْلِ الْأَذْهَانِ وَفُنُونِ الصَّنَائِعِ وَشَهَامَةِ  
الطِّبَاعِ وَنُفُوذِ الْأَذْرَاكِ وَأَحْكَامِ التَّمْدُنِ وَالْإِعْمَارِ بِهَا حَرِمُهُ الْكَثِيرُ مِنَ  
الْأَفْطَارِ مِثْلَ سَوَاهَا. أَنْتَهَى

قَالَ أَبُو عَامِرٍ السُّلَمِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِدُرَرِ الْقَلَائِدِ وَغَرَرِ النُّوَائِدِ  
الْأَنْدَلُسُ مِنَ الْأَقْلِيمِ الشَّامِجِ وَهُوَ خَيْرُ الْأَقَالِيمِ وَأَعَدَّلَهَا هَوَاءٌ وَزَبَابًا  
وَأَعَدَّهَا مَاءٌ وَأَطْبَحَهَا هَوَاءٌ وَحَيَوَانًا وَنَبَاتًا وَهُوَ أَوْسَطُ الْأَقَالِيمِ وَخَيْرُ

الأمور أو ساطها. انتهى

قال أبو عبيد البكري الأندلس شامية في طبيها وهوائها بمانية في  
أعندالها واستواها هندية في عطرها ودكاها أهوارية في عظم جبانها  
صينية في جواهر معادنها عديّة في منافع سواحليها. فيها آثار عظيمة  
اليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة. وكان من ملوكهم الذين آثروا  
الآثار بالآندلس هرقلس وله الآثار في الصنم بجزيغ فادس وصنم جليفة  
والآثر في مدينة طرغونة الذي لا نظير له

قال المسعودي بلاد الأندلس تكوّن مسير عمارها ومدنها نحو  
شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى بإخصار  
ونحوه لابن البسع إذ قال طولها من أربونة إلى إشبونة وهو قطع  
سنتين يوما للفراس الجيد والتيد بأمرين أحدهما أنه يقتضي أن أربونة  
داخله في جزيغ الأندلس والصحيح أنها خارجة عنها. والثاني أن قوله  
سنتين يوما للفراس الجيد إغواء وإفراط وقد قال جماعة أنها شهر  
ونصف. قال ابن سبيد وهذا بقرب إذا لم يكن للفراس الجيد  
والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسير شهر وكذا قال النجاشي  
وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة  
أفضى إلى نحو شهرين في قليل

قال النجاشي في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحجاز  
إلى إشبونة ألف ميل ونيف اه. وبالجمله فالهراذ التقريب من غير  
مُشاهد كما قاله ابن سبيد وأطال في ذلك. ثم قال بعد كلام ومسافة

الْحَاجِزِ الَّذِي بَيْنَ بَحْرِ الرُّقَاقِ وَبَحْرِ السَّيْحِ أَرْبَعُونَ مِيلًا وَهَذَا عَرْضُ  
الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ رَأْسِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَلِفْلَيْهِ سُمِّيَتْ جَزِيرَةٌ وَإِلَّا فَلَبَسَتْ  
مَجْزِيَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ لِاتِّصَالِ هَذَا الْقَدْرِ بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ. وَعَرْضُ جَزِيرَةِ  
الْأَنْدَلُسِ فِي مَوْسَطِهَا عِنْدَ طَلِيطَلَةَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا.....

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ مُوسَى الرَّازِي : بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ هُوَ آخِرُ  
الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَهُوَ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ بَلَدٌ كَرِيمٌ الْبَغْعَةُ طَيْبُ  
الْزَّرِيَةِ خِصْبُ الْجَنَابِ مُنَجِّسُ الْأَنْهَارِ الْغَرَارِ وَالْعُبُونِ الْعَذَابِ . قَلِيلُ  
الْهَوَامِّ ذَوَاتِ السُّمُومِ . مُعَدِّلُ الْهَوَاءِ وَالْجَوِّ وَالنَّسِيمِ رَيْعُهُ وَخَرِبُهُ  
وَمَشْتَاهُ وَمَصِيفُهُ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَسُطَّةٍ مِنَ الْأَحْجَالِ لَا يَتَوَلَّدُ فِي  
أَحَدِهَا فَضْلٌ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ فِيمَا يَتَلَوُّهُ انْتِقَاصُ نَتِجَلُ قَوَائِمُهُ أَكْثَرُ الْأَرْزَمَةِ  
وَتَدْوُمُ مَتَلَحِّفَةٍ غَيْرِ مَفْقُودَةٍ . أَمَّا السَّاحِلُ مِنْهُ وَنَوَاجِجُهُ فَيَبَادِرُ  
يَبَاكُورِهِ . وَأَمَّا الثَّغَرُ وَجِهَانُهُ وَالْجِبَالُ الْخُصُوصَةُ يَبْدُو الْهَوَاءُ فَيَنَآخِرُ  
يَا الْكَبِيرِ مِنْ ثَمَرِهِ فَادَّةُ الْخَبَرَاتِ بِالْبَلَدِ مُنَادِيَةٌ فِي كُلِّ الْأَحْيَانِ وَقَوَائِمُهُ  
عَلَى الْجُمْلَةِ غَيْرُ مَعْدُومَةٍ فِي كُلِّ أَوَانٍ . وَلَهُ خَوَاصٌّ فِي كَرَمِ النَّبَاتِ  
تَوَافِقُ فِي بَعْضِهَا أَرْضَ الْهِنْدِ الْخُصُوصَةَ بِكَرَمِ النَّبَاتِ وَجَوَاهِرِ مِنْهَا  
أَنَّ الْخَلْبَ وَهُوَ الْمَقْدَمُ فِي الْأَفَاوِيهِ وَالْمَنْفَضْلُ فِي أَنْوَاعِ الْأَشْنَانِ  
لَا يَنْبُتُ شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِالْهِنْدِ وَالْأَنْدَلُسِ . وَالْأَنْدَلُسُ الْهَدَنُ  
الْخَصِيْنَةُ وَالْمَعَاوِلُ الْمَنِيعَةُ وَالْفَلَاحُ الْحَرِيْنَةُ وَالْمَصَانِعُ الْجَمِيلَةُ وَلَهَا الْبَرْ  
وَالْبَحْرُ وَالسَّهْلُ وَالْوَعْرُ وَشَكْلُهَا مِثْلُ

وَهِيَ مُعْتَبَرَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ صَمٌّ قَادِسٌ



الْمَشْهُورُ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُ مَخْرَجُ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ الشَّامِيِّ الْأَخِذِ بِقَيْلِي  
 الْأَنْدَلُسِ. وَالرُّكْنُ الثَّانِي هُوَ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ بَيْنَ مَدِينَةِ بَرْيُونَةَ وَمَدِينَةِ  
 بَرْدِيلَ مَا بِيَايَ الْفَرْجَةِ الْيَوْمَ بِإِزَاءِ جَزِيرَتِي مَيُورَقَةَ وَمَنُورَقَةَ بِجَاوَرَةِ  
 مِنَ الْبَحْرَيْنِ الْبَحْرِ الْخَبِيطِ وَالْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ وَبَيْنَهُمَا الْبَرُّ الَّذِي بِهِ يُعْرَفُ  
 بِالْأَبْوَابِ وَهُوَ الْمَذْخُلُ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ عَلَى  
 بَلَدِ أَرْجَنْجَةِ. وَمَسَافَتُهُ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ وَمَدِينَةُ بَرْيُونَةَ تُقَابِلُ  
 الْبَحْرَ الْخَبِيطَ. وَالرُّكْنُ الثَّلَاثُ مِنْهَا هُوَ مَا بَيْنَ الْجُوفِ وَالْغَرْبِ مِنْ حَذْرِ  
 جِلْبَقِيَّةٍ حَيْثُ انْجَبَلُ الْمَوْفِي عَلَى الْبَحْرِ. وَفِيهَا الصَّنَمُ الْعَالِي الْمَشْبَهُ بِصَنَمِ  
 قَدِسَ وَهُوَ الطَّالِجُ عَلَى بَلَدِ بَرْطَانِيَّةٍ

قَالَ وَالْأَنْدَلُسُ أَنْدَلُسَانِ فِي اخْتِلَافِ هُبُوبِ رِيَاحِهَا وَمَوَاقِعِ  
 أَمْطَارِهَا وَجَرَيَانِ أَنْهَارِهَا أَنْدَلُسُ غَرْبِي وَأَنْدَلُسُ شَرْقِي. قَالَ غَرْبِي مِنْهَا  
 مَا جَرَتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْخَبِيطِ الْغَرْبِيِّ وَبُطْرُ بِالرِّيَّاحِ الْغَرْبِيَّةِ  
 وَمُبْتَدَأُ هَذَا الْخَوْزِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ مَعَ الْمَنَازَةِ الْخَارِجَةِ مَعَ الْجُوفِ إِلَى  
 بَلَدِ شَنْتَهْرِيَّةٍ طَالِعًا إِلَى خَوْزِ إَغْرِيطَةِ الْجَاوَرَةِ لَطْلِبُطَلَةَ مَا ثَلَا إِلَى  
 الْغَرْبِ وَبُجَاوَرًا لِلْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ الْمَوَازِي لِفِرْطَاجَنَةِ الْخُلَفَاءِ الَّتِي مِنْ بَلَدِ  
 لُورَقَةَ وَالْخَوْزِ الشَّرْقِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَنْدَلُسِ الْأَفْصَى وَتَجْرِي أَوْدِيَّتُهُ إِلَى  
 الشَّرْقِ وَأَمْطَارُهُ بِالرَّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ وَهُوَ مِنْ حَدِّ جَبَلِ الْبَشِكْشِ هَاطِلًا مَعَ  
 وَادِيهِ إِبْنَةَ إِلَى بَلَدِ شَنْتَ مَرِيَّةٍ. وَمِنْ جُوفِ هَذَا وَغَرْبِهِ الْبَحْرُ الْخَبِيطُ  
 وَفِي الْقِبْلَةِ مِنْهُ الْبَحْرُ الْغَرْبِيُّ الَّذِي مِنْهُ يَجْرِي الْبَحْرُ الْمَتَوَسِّطُ الْخَارِجُ إِلَى  
 بَلَدِ الشَّامِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمُسَمَّى بِبَحْرِ تِيرَانٍ وَمَعْنَاهُ الَّذِي يَشُقُّ دَائِرَةَ

الْأَرْضِ وَبُسْمَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ. أَنْتَهَى  
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَعْرُوفُ يَا بَنِي النَّظَامِ. بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ  
 عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسَانِ. فَالْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ مِنْهُ مَا صَبَتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى  
 الْبَحْرِ الرُّومِيِّ الْمَتَوَسِّطِ الْمُتَصَاعِدِ مِنْ أَسْفَلِ أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 وَذَلِكَ مَا بَيْنَ مَدِينَةِ تَدْمِيرَ إِلَى سَرْقُسْطَةَ. وَالْأَنْدَلُسُ الْغَرْبِيُّ مَا صَبَتْ  
 أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُحِيطِ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ الْخُحْدُ إِلَى  
 سَاحِلِ الْمَغْرِبِ. فَالشَّرْقِيُّ مِنْهُمَا يُنْطَرُ بِالرَّيْجِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَصْلُحُ عَلَيْهَا وَالْغَرْبِيُّ  
 يُنْطَرُ بِالرَّيْجِ الْغَرْبِيَّةِ وَبِهَا صَلَاحُهُ وَجِبَالُهُ هَابِطَةٌ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلًا بَعْدَ  
 جَبَلٍ. وَإِنَّمَا قَسَمَتُهُ الْأَوَائِلُ جُزْءَيْنِ لِأَخْتِلَافِهَا فِي حَالِ أَمْطَارِهَا وَذَلِكَ  
 أَنَّهُ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتِ الرِّيحُ الْغَرْبِيَّةُ كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ وَفَحِطَ  
 الْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ وَمَتَى اسْتَحْكَمَتِ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ  
 الشَّرْقِيِّ وَفَحِطَ الْغَرْبِيُّ. وَأَوْدِيَّتُهُ هَذَا الْقِسْمُ تَجْرِي مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ  
 بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ. وَجِبَالُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ تَمْتَدُّ إِلَى الشَّرْقِ جَبَلًا بَعْدَ  
 جَبَلٍ تَنْقُطُ مِنَ الْجُوفِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَالْأَوْدِيَّةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْجِبَالِ  
 يَقْطَعُ بَعْضُهَا إِلَى الْقِبْلَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الشَّرْقِ وَتَنْصَبُّ كُلُّهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ الْقَاطِعِ إِلَى الشَّامِ وَهُوَ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ. وَمَا كَانَ مِنْ بِلَادٍ  
 جَوْفِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ بِلَادٍ حَلِيفِيَّةٍ وَمَا يَلِيهَا فَإِنَّ أَوْدِيَّتَهُ تَنْصَبُّ إِلَى الْبَحْرِ  
 الْكَبِيرِ الْمُحِيطِ بِبَاحِيَةِ الْجُوفِ. وَضِفَةُ الْأَنْدَلُسِ شَكْلُ مَرْكَنٍ عَلَى مِثَالِ  
 الشَّكْلِ الْمَثَلِيِّ. وَرُكْنُهَا الْوَاحِدُ فِيمَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ حَيْثُ اجْتِمَاعُ  
 الْبَحْرَيْنِ عِنْدَ صَمِّ قَادِسَ. وَرُكْنُهَا الثَّانِي فِي بَلَدٍ حَلِيفِيَّةٍ حَيْثُ الصَّمِّ

الْمُشِيهُ صَمَّ قَادِسَ مُقَابِلَ جَزِيرَةِ بَرْطَانِيَّةَ. وَرُكْنَهَا الثَّلَاثُ بَيْنَ مَدِينَةِ  
بَرْبُونَةَ وَمَدِينَةِ بَرْدِيلَ مِنْ بَلَدِ الْفَرَنْجَةِ يَحِثُّ يُقْرُبُ الْبَحْرَ الْمُحِيطُ مِنْ  
الْبَحْرِ الشَّامِيِّ الْمَتَوَسِّطِ فَبِكَادَانٍ يَجْنِبَعَانِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَبَصِيرُ بَلَدُ  
الْأَنْدَلُسِ جَزِيرَةٌ بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لَوْلَا أَنَّهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا بَرَزْخُ بَرِّيَّةٍ صَحْرَاءَ  
وَعِمَارَةٍ مَسَافَةٍ مَسِيرَةٍ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ مِنْهُ الْمَدْخَلُ إِلَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي  
يُقَالُ لَهَا الْأَبْوَابُ وَمِنْ قِبَلِهِ يَتَّصِلُ بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ الْمَعْرُوفَةِ  
بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَلْسُنِ الْخُفْلَفَةِ

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَمِيزَانُ وَصَفِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا جَزِيرَةٌ قَدْ أَحْدَقَتْ  
بِهَا الْبَحَارُ فَكَثُرَتْ فِيهَا الْخُصْبُ وَالْعِمَارَةُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. فَمِنَى سَافَرَتْ مِنْ  
مَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةٍ لَا تَكَادُ تَنْفُطُ مِنَ الْعِمَارَةِ مَا بَيْنَ فُرْعٍ وَمِيَاهٍ وَمَزَارِعَ  
وَالصَّحَارِي فِيهَا مَعْدُومَةٌ. وَمِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ أَنَّ فُرَاَهَا فِي نَهَائِيَةِ مِنَ الْحِمَالِ  
لِتَصْنَعِ أَهْلِهَا فِي أَوْضَاعِهَا وَتَبْيِضُهَا لِيَلَا تَنْبُو الْعُبُونُ عَنْهَا فَبِهَا كَمَا قَالَ  
الْوَزِيرُ ابْنُ أَنْجَارَةَ فِيهَا

لَا حَتَّ فُرَاَهَا يَنْ خُضِرَ أَيْكُهَا كَالْدُرِّ بَيْنَ زَبَرْجَدٍ مَكْنُونٍ  
وَلَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَهَا دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْبَصْرِيَّةَ مِنْ أَوْضَاعِ فُرَاَهَا الَّتِي نَكْدُرُ  
الْعَيْنَ بِسَوَادِهَا وَيَضِيْقُ الصَّدْرُ بِضَيْقِ أَوْضَاعِهَا. وَفِي الْأَنْدَلُسِ جِهَاتٌ  
تُقْرَبُ فِيهَا أَدِينَةُ الْعَظِيمَةِ الْمُبَصَّرَةُ مِنْ مِثْلِهَا. وَالْبَثَالُ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ  
إِذَا تَوَجَّهْتَ مِنْ إِسْبِيلِيَّةَ فَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَبَعْضِ آخِرِ مَدِينَةِ شَرِيشَ وَهِيَ  
فِي نَهَائِيَةِ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالنَّصَارَةِ. ثُمَّ يَلِيهَا الْبَحْرُ الْخَضِرَاءُ كَذَلِكَ ثُمَّ  
مَالَفَةُ. وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْأَنْدَلُسِ وَلِهَذَا كَثُرَتْ مُدُنُهَا وَكَثُرَتْ مَسُورَتُهَا مِنْ

أَجَلِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْعَدُوِّ فَحَصَلَ لَهَا بِذَلِكَ التَّشْيِيدُ وَالْتِزِيمُ وَفِي حُصُونِهَا مَا يَنْتَفِي فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ مَا يُنْفَعُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً لَا مَنَافِعَ مَعَاظِلِهَا وَخُرْبَةِ أَهْلِهَا عَلَى الْحَرْبِ وَأَعْيَادِهِمْ لِمُجَاوَرَةِ الْعَدُوِّ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَكَثْرَةِ مَا تَخْزِنُ الْغَلَّةُ فِي مَطَامِيرِهَا . فَمِنْهَا مَا يَطُولُ صَبْرُهُ عَلَيْهَا حَتَّى مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَلِذَلِكَ آدَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَفْتِ الْفَتْحِ إِلَى الْآنَ . وَإِنْ كَانَ الْعَدُوُّ قَدْ نَقَصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَشَارَكَ فِي أَوْسَاطِهَا . فَفِي الْبَقِيَّةِ مَنَعَةٌ عَظِيمَةٌ فَارْضُ بَقِيَّ فِيهَا مِثْلُ إِشْبِيلِيَّةَ وَغَرْنَاطَةَ وَمَالْقَةَ وَالْبَرَبَةَ وَمَا يَنْضَافُ إِلَى هَذِهِ الْحَوَاضِرِ الْعَظِيمَةِ الْمُبَصَّرِ الرَّجَاءُ فِيهَا قُوَى بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ . أَنْتَهَى وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي إِشْبِيلِيَّةَ إِنَّهَا قَاعَةٌ بِأَلَدِ الْأَنْدَلُسِ وَحَاضِرَتُهَا وَمَدِينَةُ الْأَدَبِ وَاللَّهُوِ وَالطَّرَبِ وَهِيَ عَلَى ضَفَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ عَظِيمَةُ الشَّانِ طَبِيبَةُ الْمَكَانِ لَهَا الْبَرُّ الْمَدِيدُ وَالْبَحْرُ السَّاكِنُ وَالْوَادِي الْعَظِيمُ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى أَنْ قَالَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ الشَّرَفِ إِلَّا مَوْضِعُ الشَّرَفِ الْمَقَابِلُ الْمُطْلُ عَلَيْهَا الْمَشْهُورُ بِالزُّبَيْرِ الْكَثِيرِ الْمُهْتَدِ فَرَاخِجَ فِي فَرَاخِجَ لَكُنَى . وَبِهَا مَنَارَةٌ فِي جَامِعِهَا بَنَاهَا يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ لَيْسَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُ بِنَاءٍ مِنْهَا وَعَسَلُ الشَّرَفِ يَنْفَى حِينًا لَا يَنْزِلُ وَلَا يَتَبَدَّلُ وَكَذَلِكَ الزَّيْتُ وَالْتِينُ . وَقَالَ ابْنُ مُنْجٍ إِنَّ إِشْبِيلِيَّةَ عَرُوسُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِأَنَّ تَاجَهَا الشَّرَفُ وَفِي عُنُقِهَا سِمْتُ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ حُسْنًا مِنْ هَذَا النَّهْرِ بِضَاحِي دِجْلَةَ وَالْفَرَاتِ وَالنَّيْلِ تَسِيرُ الْقَوَارِبُ فِيهِ لِلزَّهْهِ وَالسَّيْرِ وَالصَّيْدِ تَحْتَ ظِلَالِ الْغَارِ وَتَغْرِيدُ الْأَطْيَارِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرِينَ مِيلًا وَيَتَعَاطَى النَّاسُ السَّرْحَ مِنْ جَانِبَيْهِ عَشْرَةَ فَرَاخِجَ فِي

عِجَارَةٌ مُتَّصِلَةٌ وَمَنَارَاتٌ مُرْتَفِعَةٌ وَأَبْرَاجٌ مُشْبَعَةٌ وَفِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ السَّمَكِ مَا لَا يُحْصَى . وَيَا جَمَلَةً فِيهَا قَدْ حَارَتِ الْبَرَّةُ وَالْبَحْرُ وَالزَّرْعُ وَالضَّرْعُ وَكَثَرَتِ الْغَارُ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَقَصَبَ السُّكَّرِ وَيُجْمَعُ مِنْهَا الْفَرِيزُ الَّذِي هُوَ أَجَلٌ مِنَ الْمَلِكِ الْهِنْدِيِّ وَزَيْتُونُهَا يُخْزَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً . ثُمَّ يَعْتَصِرُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ أَكْثَرُ مَا يُخْرَجُ مِنْهُ وَهُوَ طَرِيٌّ . أَنْتَهَى مُلْخَصًا

وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ الْبَيْسَعِ الْأَنْدَلُسَ قَالَ لَا يَنْزَوُدُ فِيهَا أَحَدٌ مَا حَبِثُ سَلَكٌ لِكُنُفِ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا وَرَبَّهَا لَقِيَ الْمُسَافِرُ فِيهَا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَدَائِنَ وَمِنَ الْمَعَاوِلِ وَالْقُرَى مَا لَا يُحْصَى وَهِيَ بِطَاحٍ خَضِرٌ وَقُصُورٌ بِيضٌ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَأَنَا أَقُولُ كَلَامًا فِيهِ كِفَايَةٌ مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَطُفْتُ فِي بَرِّ الْعُدُوفِ وَرَأَيْتُ مَدُنَهَا الْعَظِيمَةَ كَمَرَاكِشَ وَفَاسَ وَسَلَاوَسْبَةَ . ثُمَّ طُفْتُ فِي أَفْرِيقِيَّةٍ وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ فَرَأَيْتُ بِجَايَةَ وَتُونُسَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْبَصْرِيَّةَ فَرَأَيْتُ الْأِسْكَندَرِيَّةَ وَالْقَاهِرَةَ وَالْفُسْطَاطَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الشَّامَ فَرَأَيْتُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمْ أَرَأْ مَا يُشْبِهُ رَوْنَقَ الْأَنْدَلُسِ فِي مِيَاهِهَا وَأَشْجَارِهَا إِلَّا مَدِينَةَ فَاسَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَمَدِينَةَ دِمَشْقَ بِالشَّامِ وَفِي حِمَاةِ مَسْحَةِ أَنْدَلُسِيَّةٍ وَلَمْ أَرَأْ مَا يُشْبِهُهَا فِي حُسْنِ الْمَبْنِيِّ وَالْتَشْيِيدِ وَالتَّصْنِيعِ إِلَّا مَا شُيِّدَ بِمَرَاكِشَ فِي حَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَبَعْضُ الْأَمَاكِنِ فِي تُونُسَ . وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى تُونُسَ الْبَنَاءُ بِالْحِجَارَةِ كَالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَلَكِنَّ الْأِسْكَندَرِيَّةَ أَفْسَحَ شَوَارِعَ وَأَبْسَطَ وَأَبْدَعُ وَمَبْنِي حَلَبَ دَاخِلَةً فِيمَا يُسْتَحْسَنُ لِأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةٍ صُلْبَةٍ وَفِي وَضْعِهَا وَتَرْتِيبِهَا لِمَنْ تَقَانُ . أَنْتَهَى . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ مِنَ النَّظْمِ فِي الْأَنْدَلُسِ قَوْلُ ابْنِ سَفَرٍ

لِرَبِّي وَالْإِحْسَانُ لَهُ عَادَةٌ

فِي أَرْضٍ أُنْدَلُسُ تَلَدَتْ نَعْمَاءَ  
وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُتَمَعٌ  
وَأَبْنُ بَعْدَلٍ عَنْ أَرْضٍ نَحَضُ بِهَا  
وَكَيْفَ لَا يُبْهِجُ الْأَبْصَارُ رَوْيَهَا  
أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَالْبَسْكُ تَرْبَتُهَا  
وَاللَّهُوَاءُ بِهَا لُطْفٌ يَرِقُّ بِهِ  
لَيْسَ النَّسِيمُ الَّذِي يَهْوُو بِهَا سَحَرًا  
وَأَنْمَا أَرَجُ الْأَنْدُ اسْتَنَارَ بِهَا  
وَأَبْنُ يَبْلُغُ مِنْهَا مَا أُصْنِفُهُ  
قَدْ مِيزَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ حِينَ بَدَتْ  
دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَافًا أَمْجَرُ خَفَّتْ  
وَجَدَا بِهَا إِذْ تَبَدَّتْ وَهِيَ حَسَنَاءُ  
لِذَاكَ يَبْسِمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ  
وَالطَّيْرُ يَشْدُو وَلِلْأَغْصَانِ إِصْغَاءُ  
فِيهَا خَلَعْتُ عِذَارِي مَا بِهَا عَوَضُ  
فَقِي الرِّيَاضُ وَكُلُّ الْأَرْضِ صَحْرَاءُ  
وَلِلَّهِ دَرُّ أَبْنٍ خَفَاجَةٌ حَيْثُ يَقُولُ

إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ  
مُجَنَّلِي مَرَأَى وَرَبَّيَا نَفْسِ  
فَسَنَى صُنَجِيهَا مِنْ شَنْبٍ  
وَدُجَى ظُلُمَتِهَا مِنْ لَعَسِ  
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَا  
صَحْتُ وَاشَوْفِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ  
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ قَالَ ابْنُ خَفَاجَةَ هَذِهِ  
الْآيَاتُ وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى فِي بَرِّ الْعُدُوقِ وَمَنْزِلُهُ فِي شَرْقِ

الْأَنْدَلُسِ بِحَزِينَةِ شَقَرٍ. وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي الْمَغْرِبِ مَا نَصَّهُ قَوَاعِدُ مِنْ  
كِتَابِ الشُّهُبِ الثَّانِيَةِ فِي الْإِنْصَافِ بَيْنَ الْمَشَارِقَةِ وَالْمَغَارِبَةِ أَوَّلُ مَا  
تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى فَاعِلَةِ السُّلْطَانَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَنَقُولُ إِنَّهَا مَعَ مَا بِيَدِي  
عِبَادِ الصَّلِيبِ مِنْهَا أَعْظَمُ سُلْطَانَةٍ كَثُرَتْ مَمَالِكُهَا وَتَشَعَّبَتْ فِي وَجُوهِ  
الْإِسْطِظْهَارِ لِلْسُّلْطَانِ إِعَانَتُهَا وَتَدَعُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الشَّانِ وَنَنْقُلُ مَا  
قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ النَّصِيبِيُّ فِي كِتَابِهِ لَهَا دَخَلَهَا فِي مُدَّةٍ خِلَافَةِ بَنِي مَرْوَانَ  
بِهَا فِي الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَهَا وَصَفَهَا قَالَ وَأَمَّا جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ  
فَجَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ طُولُهَا دُونَ الشَّهْرِ فِي عَرْضِ نِيفٍ وَعِشْرِينَ مَرَحَلَةً  
تَغْلِبُ عَلَيْهَا أَلْبَاهُ الْحَجَارِيَّةِ وَالشَّجَرُ وَالنَّهْرُ وَالرُّخْصُ وَالسَّعَةُ فِي الْأَحْوَالِ  
مِنْ الرِّفَافِ الْفَاحِرِ وَالْحَضْبِ الظَّاهِرِ إِلَى أَسْبَابِ التَّمْلِكِ الْفَاشِيَةِ فِيهَا  
وَلِمَا فِي يَدِهِ مِنْ أَسْبَابِ رَغْدِ الْعَيْشِ وَسَعْنِهِ وَكَثْرَتِهِ يَبْلُكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَهْنَهُمْ  
وَأَرْبَابُ صَنَائِعِهِمْ لِقَلَّةِ مَوْتِنِهِمْ وَصَلَاحِ بِلَادِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ فِي عِظَمِ  
سُلْطَانِهَا وَوَصْفِ وَفُورِ جَبَابَتِهَا وَعِظَمِ مَرَاتِفِهَا

وَقَالَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَمِمَّا يُدَلُّ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ عَلَى كِبَرِهِ أَنَّ سِكَّةَ دَامِ  
ضَرِبَهُ عَلَى الدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ دَخَلَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَرَفَ  
الْدِينَارَ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا هَذَا إِلَى صَدَقَاتِ الْبَلَدِ وَجَبَابَتِهِ وَخَرَجَاتِهِ  
وَأَعْشَارِهِ وَضَمَانَاتِهِ وَالْأَمْوَالِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْمَرَاكِبِ الْوَارِدَةِ وَالصَّادِرَةِ  
وغير ذلك . وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ أَنَّ جَبَابَةَ الْأَنْدَلُسِ بَلَغَتْ فِي مُدَّةِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ خَمْسَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ  
أَلْفًا مِنَ الْأَسْوَاقِ وَالْمُسْتَخْلَصِ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَوْفَلٍ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا فِي هَذِهِ الْحَزْبَةِ بَقَاؤُهَا عَلَى مَنْ هِيَ  
فِي يَدِهِ مَعَ صِغَرِ أَحْلَامِ أَهْلِهَا وَضَعَةِ نُفُوسِهِمْ وَنَقْصِ عُقُولِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنَ  
الْبَأْسِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْبَسَالَةِ وَلِقَاءِ الرِّجَالِ وَمِرَاسِ الْأَنْجَادِ  
وَالْأَبْطَالِ مَعَ عِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَالِهَا فِي نَفْسِهَا وَمَقْدَارِ جَبَابِهَا  
وَمَوَاقِعِ نَعْمِهَا وَلَذَائِهَا

قَالَ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ مُكْبِلُ هَذَا الْكِتَابِ . لَمْ أَرُبْدًا مِنْ إِبْتِهَاتِ هَذَا  
الْفَصْلِ وَإِنْ كَانَ عَلَى أَهْلِ بَلَدِي فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْتَعَصُّبِ مَا لَا يَخْفَى  
وَلِسَانُ الْحَالِ فِي الرَّدِّ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْبَلَاغَةِ . وَلَيْتَ شِعْرِي إِذْ سَلَبَ  
أَهْلُ هَذِهِ الْحَزْبَةِ الْعُقُولَ وَالْأَرَءَاءَ وَالْهَمَّ وَالشَّجَاعَةَ . فَهِيَ الَّذِينَ دَبَّرُوا  
بَارَأَتِهِمْ وَعُقُولِهِمْ مَعَ مُرَاصِفِ أَعْدَائِهَا النُّجَّارِينَ لَهَا مِنْ خَمْسِيَاثَةِ سَنَةٍ  
وَنَيْفٍ وَمِنْ الَّذِينَ حَمَوْهَا يَسَّالَتِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَنَصِّلَةِ بِهِمْ فِي دَاخِلِهَا  
وَخَارِجِهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي نُصْرَةِ الصَّلِيبِ وَإِنِّي لَأَعْجَبُ  
مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي زَمَانٍ قَدْ دَلَفَتْ فِيهِ عُبَادُ الصَّلِيبِ إِلَى الشَّامِ وَالْحَزْبَةِ  
وَعَاثُوا كُلَّ الْعَيْبِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ حَيْثُ الْجُمْهُورُ وَالْقَبَّةُ الْعُظْمَى حَتَّى  
أَنَّهُمْ دَخَلُوا مَدِينَةَ حَلَبَ وَمَا أَذْرَاكَ وَقَعَلُوا فِيهَا مَا فَعَلُوا وَبِلَادُ الْإِسْلَامِ  
مُتَنَصِّلَةٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا هُوَ مُسْطُورٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ  
وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ وَأَشَدِّهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْمُحَصَّنِينَ مِنْ حُصُونِ  
الْإِسْلَامِ الَّتِي يَتِمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ بَسَائِطِ بِلَادِهِمْ قَيْسُونَ وَيَأْسِرُونَ فَلَا  
تَجْنِبُ هِمُّ الْمُلُوكِ النُّجَّارَةِ عَلَى حَسْمِ الدَّاءِ فِي ذَلِكَ . وَقَدْ يَسْتَعِينُ بِهِ  
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَتِمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ الدَّيْبُ لَا يُطْبُ . وَقَدْ كَانَتْ



جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِالضُّدِّ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي تَرَكَ وَرَاءَهُ ظَهَرَ  
وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي تَارِيخِ ابْنِ حَبَّانٍ وَغَيْرِهِ  
فِي الْإِقْلَاقِ الْأَنْدَلُسِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِبَادِ وَفَتْحِهَا عَلَى يَدِ مُوسَى  
بْنِ نَصِيرٍ وَمَوْلَاهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ

قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ بَعْدَ ذِكْرِ أَنْ الْقَوَاطِينِ كَانَ لَهُمْ مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ  
وَأَنَّ مِلْكَهُمْ لِهَذَا الْفَتْحِ يُسَمَّى لُذْرِيْقَ مَا نَصَّهُ وَكَانَتْ لَهُمْ خُطُوَةٌ وَرَاءَهُ الْبَحْرُ  
فِي هَذِهِ الْعُدُوَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ خَطُّوْهَا مِنْ فُرْضَةِ الْمَجَازِ بِطَنْجَةَ وَمِنْ زُقَاقِ  
الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ الْبَرْبَرِ وَاسْتَعْبَدُوهُمْ. وَكَانَ مِلْكُ الْبَرْبَرِ بِذَلِكَ الْفُطْرِ  
الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ جِبَالُ غِمَارَةَ يُسَمَّى بَلِيَّانَ فَكَانَ يَدِينُ بِطَاعَتِهِمْ وَيَبْلُغُهُمْ  
وَمُوسَى بْنُ نَصِيرٍ أَمِيرُ الْغَرْبِ إِذْ ذَاكَ عَامِلٌ عَلَى أَفْرِيقِيَّةٍ مِنْ قِبَلِ  
الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَنْزِلُهُ بِالْقَبْرَوَانِ. وَكَانَ قَدْ أَغْزَى لِذَلِكَ الْعَهْدِ  
عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَدَوَّخَ أَقْطَارَهُ وَأَخْنَعَ فِي جِبَالِ  
طَنْجَةَ هَذِهِ حَتَّى وَصَلَ خَلِيجَ الزُّقَاقِ وَاسْتَنْزَلَ بَلِيَّانَ لِبَطَاعَةِ الْإِسْلَامِ وَخَلَفَ  
مَوْلَاهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ اللَّيْثِيَّ وَالْبَا بِطَنْجَةَ. وَكَانَ بَلِيَّانُ يَنْتَقِمُ عَلَى لُذْرِيْقِ

(١) ان لذرريق (اي رودريق) اخر ملوك الوزيقوطي في اسبانيا كان ولد دوكا قرطبة  
الذي امر قلع اعينه فينيسا الملك الوزيقوطي. فنهض رودريق المشار اليه ضده وحاربه ففزع  
معه التاج الملكي (سنة ٧١٠ مسيحية) غير ان اولاد الملك واقاربه استغاثوا بالعرب فانوا  
لجندهم وامامهم طارق فاستولى على البوغار المعروف باسمه وهو بوغاز جبل طارق. فسام  
اليه رودريق ييجوشو وكانت نحو ٩٠ الف مقاتل فحارب المحيستان مدة تسعة ايام في كبريس  
فقتل رودريق في اليوم الثالث (سنة ٧١١). هذا ومن القبل التابع ان الكونت بليان  
(اي جوليانوس) قد استغاث بالعرب لينتقم عن اهانة الحقت بابنته (بوللير)

مَلِكِ الْفُوطِ لِعَهْدِهِ بِالْأَنْدَلُسِ فَعَلَهَا زَعَمُوا بِأَبْنَتِهِ النَّاشِئَةِ فِي دَارِهِ  
فَغَضِبَ لِذَلِكَ وَأَجَازَ إِلَى لُدْرِيقَ وَأَخَذَ ابْنَتَهُ مِنْهُ . ثُمَّ لَحِقَ بِطَارِقِ  
فَكَشَفَ لِلْعَرَبِ عَوْرَةَ الْفُوطِ وَدَلَّهُمْ عَلَى عَوْرَتِهِمْ أَمَكَّنَتْ طَارِقًا فِيهَا  
الْفُرْصَةُ فَأَنْتَهَزَهَا لِيُوفِيَهُ وَأَجَازَ الْبَحْرَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ  
بِإِذْنِ أَمِيرِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ فِي نَحْوِ ثَلَاثِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَأَحْشَدَ مَعَهُمُ  
مِنَ الْبَرَبْرِ زُهَاءُ عَشْرَةِ آلَافٍ فَصَبَرَهَا عَسْكَرُ بَنِي أَحَدَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَنَزَلَ  
بِهِ جَبَلَ الْفُتُوحِ فَسَمِيَ جَبَلَ طَارِقِ بِهِ وَالْآخِرُ عَلَى طَرِيفِ بَنِي مَالِكِ  
الْفُتُوحِ وَنَزَلَ بِمَكَانٍ مَدِينَةَ طَرِيفِ فَسَمِيَ بِهِ وَأَدَارُوا الْأَسْوَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ  
لِلتَّحْصِينِ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى لُدْرِيقَ وَنَهَضَ إِلَيْهِمْ بِجُرْأَمَ الْأَعَاجِرِ وَأَهْلِ  
مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي زُهَاءِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَزَحَفُوا إِلَيْهِ فَالْتَقَوْا بِبَعْضِ شَرِيشَ  
فَهَزَمَهُ اللَّهُ وَنَقَلَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَرِقَابَهُمْ

وَكَتَبَ طَارِقٌ إِلَى مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ بِالْفُتُوحِ وَبِالْغَنَائِمِ فَحَرَكَنَّهُ الْغَيْثُ  
وَكَتَبَ إِلَى طَارِقِ يَتَوَعَّدُهُ إِنْ تَوَعَّلَ يَغِيرُ إِذْنَهُ وَيَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ  
مَكَانَهُ حَتَّى يَلْحُقَ بِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْقَبْرَوَانِ وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ وَخَرَجَ مَعَهُ  
حَبِيبُ بْنُ مَنَكَةَ الْفِهْرِيُّ وَنَهَضَ مِنَ الْقَبْرَوَانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ مِنَ  
الْهِجْرَةِ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ وَجْهِ الْعَرَبِ الْمَوَالِي وَعُرْفَاءِ الْبَرَبْرِ وَوَأَفَى  
خَلِيجَ الرُّفَاقِ مَا بَيْنَ طَنْجَةَ وَالْجَزِيرَةِ الْمُخَضَّرَةِ . فَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَتَلَقَّاهُ  
طَارِقٌ فَأَتَقَادَ وَاتَّبَعَ وَأَتَمَّ مُوسَى الْفُتُوحَ وَتَوَعَّلَ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَرَشْلُونَةَ  
فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَارْبُونَةَ فِي الْجُوفِ وَصَمَّ قَادِسَ فِي الْغَرْبِ وَدَوَّخَ أَقْطَارَهَا  
وَجَمَعَ غَنَائِمَهَا . وَاجْتَمَعَ أَنْ بَاتِيَ الْمَشْرِقَ مِنْ نَاحِيَةِ فُسْطَنْطِينِيَّةِ وَبِتَجَاوَزَ إِلَى

الشامِ دُرُوبَهُ وَدُرُوبَ الْأَنْدَلُسِ وَبِخُوصِ إِلَيْهِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَعَاجِمِ  
النَّصْرَانِيَةِ مُجَاهِدًا فِيهِمْ مُسْتَلْحِمًا لَهُمْ إِلَى أَنْ يُلْحَقَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ  
وَنَمَّا الْخَبْرُ إِلَى الْوَلِيدِ فَاشْتَدَّ قَلْقُهُ بِمَكَانِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ  
وَرَأَى أَنَّ مَا هُمْ بِهِ مُوسَى غَرَّرَ بِالْمُسْلِمِينَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْتَوْجِيعِ  
وَالْإِنْصِرَافِ وَأَسْرًا إِلَى سَفِينِهِ أَنْ يَرْجِعَ بِالْمُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ وَكَتَبَ  
لَهُ بِذَلِكَ عَهْدَهُ فَفَتَّ ذَلِكَ فِي عَزْمِ مُوسَى وَقَفَلَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ  
أَنْزَلَ الرِّابِطَةَ وَالْحُمَايَةَ بِغُورِهَا وَأَنْزَلَ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ لِسِدِّهَا وَجِهَادِ  
عَدُوِّهَا وَأَنْزَلَهُ بِقُرْطُبَةَ فَاتَّخَذَهَا دَارَ إِمَارَةٍ وَأَحْلَلَ مُوسَى بِالْقَبْرِ وَأَنْ سَنَةَ  
خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ سِتٍّ بَعْدَهَا بِهَا كَانَ مَعَهُ مِنْ  
الْعَنَائِمِ وَالذَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ عَلَى التَّجَلُّلِ وَالظَّهْرِ يُقَالُ إِنَّ مِنْ مُجْلَمِيهَا  
ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السِّنِيِّ

وَوَلَّى مُوسَى عَلَى أَفْرِيقِيَّةِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَقَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ فَسَخَّطَهُ وَنَكَبَهُ وَثَارَتْ عَسَاكِرُ الْأَنْدَلُسِ بِابْنِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بِإِغْرَاءِ  
سُلَيْمَانَ فَفَتَلَوْهُ لِسَنَتَيْنِ مِنْ وَلَايَتِهِ . وَكَانَ خَيْرًا فَاضِلًا وَأَفْتَحَ فِي وَلَايَتِهِ  
مَدَائِنَ كَثِيرَةً وَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَيُّوبُ بْنُ حَبِيبٍ اللَّحْمِيُّ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ

(١) موسى بن نصير قائد جيوش الخليفة الوليد الاول افامه مولاه ملكا على افريقية  
في ٧٠٥ فاستنجد الكونت جوليانيوس في ٧١٠ فارسل مولاه طارقا فاخذ من اليزقروت  
اكثر ولاياتهم . ثم دخل البلاد فافتحها وقطع جبال بيراني وتقدم الى فرنسا حتى ابواب  
كاركاسونا فطلبه الوليد الى دمشق في ٧١٥ بصفة كونه قد اذنب بتعديده على مولاه طارق  
لحسده له فحكم عليه بدفع ٢٠٠٠٠٠ دوكا ذهب اي نحو مليوني فرنك وضرب بالعصي  
ثم نفى الى مكة فتوفي في ٧١٨ (بوللبر)

مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ فَوَلَّى عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ  
 ثُمَّ تَبَاعَثَ وَلَاؤُ الْعَرَبِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ تَارَةً مِنْ قِبَلِ الْخُلَيْفَةِ وَتَارَةً مِنْ  
 قِبَلِ عَامِلِهِ بِالْقَيْرَوَانِ وَأَخْضُوا فِي أَمْرِ النَّصَارَى وَافْتَتَحَ بَرْشَلُونَةَ مِنْ جِهَةِ  
 الْمَشْرِقِ وَحُصُونِ قَشْتَالَةَ وَبَسَائِطِهَا مِنْ جِهَةِ الْجُوفِ وَأَنْقَرَضَتْ أُمُّ  
 الْقُوطِ وَأَوَى الْجَلَالَةُ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمِّ الْعَجْرِ إِلَى جِبَالِ قَشْتَالَةَ وَلَرْبُونَةَ  
 وَأَفْوَاهِ الدَّرُوبِ فَخَصَّصُوا بِهَا وَأَجَازَتْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا وَرَاءَ  
 بَرْشَلُونَةَ مِنْ دُرُوبِ الْحَزْبِ حَتَّى أَحْتَلُّوا الْبَسَائِطَ وَرَأَتْهَا وَتَوَعَّلُوا فِي  
 بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ وَعَصَفَتْ رِيحُ الْإِسْلَامِ بِأَمْرِ النَّصَارَى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ  
 وَرُبَّمَا كَانَتْ بَيْنَ جُنُودِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْعَرَبِ اخْتِلَافٌ وَتَنَازُعٌ أَوْجَدَ  
 لِلْعَدُوِّ بَعْضَ الْكَرْفِ فَرَجَعَ الْإِفْرَنْجُ مَا كَانُوا غَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ  
 بَرْشَلُونَةَ لِعَهْدِ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ لَدُنْ فَتْحِهَا وَاسْتَمَرَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ

انتهى المنقول

من كتاب فتح الطيب من غصن الاندلس الرطيب  
 للعلامة المقرئ



مِنْ كِتَابِ الْإِفَادَةِ وَالْإِعْبَارِ فِي الْأُمُورِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْخَوَادِثِ

الْمُعَايَنَةِ بِأَرْضِ مِصْرَ

لِأَبِي اللَّطِيفِ

الْمَقَالَةُ الْأُولَى وَهِيَ سِتَّةُ فُصُولٍ

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِي خَوَاصِّ مِصْرَ الْعَامَّةِ لَهَا

إِنَّ أَرْضَ مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الْعَجِيبَةِ الْأَثَرِ الْغَرِيبَةِ الْأَخْبَارِ وَهِيَ وَادٍ  
يَكْتَنِفُهُ جَبَلَانِ شَرْقِيٌّ وَغَرْبِيٌّ وَالشَّرْقِيُّ أَكْثَرُ مِنْ الْغَرْبِيِّ بَيْنَهُمَا مِائَتَانِ مِنْ أَسْوَافِ  
وَيْتَفَارِ بَنِي إِسْنَا حَتَّى يَكْدَانِ بَيْنَهُمَا سَائِي. ثُمَّ يَنْفَرُ جَانِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَكُلُّمَا أَمْتَدَا  
طُولًا أَنْفَرَجَا عَرْضًا حَتَّى إِذَا أَرَبَا الْفُسْطَاطَ كَانَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةُ يَوْمٍ فَأَمَّا  
دُونَهُ. ثُمَّ يَتْبَاعِدَانِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَالنَّيْلُ يَنْسَابُ بَيْنَهُمَا وَيَتَشَعَّبُ  
بِأَسَافِلِ الْأَرْضِ وَجَمِيعُ شُعْبِهِ تُصَبُّ فِي الْبَحْرِ الْمَلْحِ

وَهَذَا النَّيْلُ لَهُ خَاصَّتَانِ الْأُولَى بَعْدَ مَرَمَاهُ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ فِي الْمَعْبُورَةِ مَهْرًا  
أَبْعَدَ مَسَافَةٍ مِنْهُ لِأَنَّ مَبَادِئَهُ عِيُونٌ تَأْتِي مِنْ جَبَلِ الْفَهْرِ وَرَعَبُوا أَنَّ هَذَا  
الْجَبَلَ وَرَأَى خَطَّ الْإِسْنَوَاءِ بِأَحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةٍ. وَعَرْضُ أَسْوَافِ وَهِيَ  
مَبْدَأُ أَرْضِ مِصْرَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَنِصْفُ دَرَجَةٍ وَعَرْضُ حِمْبَاطٍ  
وَهِيَ أَقْصَى أَرْضِ مِصْرَ أَحْدَى وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَتِلْكَ دَرَجَةٌ. فَتَكُونُ مَسَافَةُ  
النَّيْلِ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ ثَلَاثًا وَارْبَعِينَ دَرَجَةً تَنْقُصُ سُدْسًا وَمَسَاحَةُ  
ذَلِكَ تَقْرِبًا تِسْعُ مِائَةٍ فَرَسَخٍ هَذَا سِوَى مَا يَأْخُذُ مِنَ التَّعْرِيجِ وَالتَّوَرُّبِ  
فَإِنَّ أَغْيَبَ ذَلِكَ تَضَاعَفَتِ الْمَسَاحَةُ جِدًّا

وَالْخَاصَّةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ يَزِيدُ عِنْدَ نُضُوبِ سَائِرِ الْأَنْهَارِ وَنَشِيشِ الْبَيَاءِ  
لَأَنَّهُ يَتَدَيُّ بِالزِّيَادَةِ عِنْدَ أَنْهَاةِ طُولِ النَّهَارِ وَتَنَاهَايِ زِيَادَتِهِ عِنْدَ  
الْإِعْدَالِ الْخَرِيفِيِّ وَحِينَئِذٍ تَنْخُ الثَّرَعُ وَتَفِضُ عَلَى الْأَرَاضِي وَعِلَّةُ ذَلِكَ  
أَنْ مَوَادَّ زِيَادَتِهِ أَمْطَارُ غَزِيرَةٍ دَائِمَةٍ وَسُبُلُ مُتَوَاصِلَةٍ تَهْدِي فِي هَذَا  
الْأَوَانِ. فَإِنَّ أَمْطَارَ الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِنَّمَا تَغْزُرُ فِي الصَّبِيفِ وَالْقَبِيطِ  
وَأَمَّا أَرْضُ مِصْرَ فَلَهَا أَيْضًا خَوَاصٌ مِنْهَا أَنَّهُ لَا يَقَعُ بِهَا مَطَرٌ إِلَّا مَا لَا  
أَحْتِنَالَ بِهِ وَخُصُوصًا صَعِيدُهَا. فَأَمَّا أَسَافِلُهَا فَتَقْدِرُ بِقَعِهَا مَطَرٌ جَوْدٌ  
لَكِنَّهُ لَا يَنِي بِحَاجَةِ الزَّرْعَةِ. وَأَمَّا دِمْبَاطُ وَالْإِسْكَندَرِيَّةُ وَمَا دَانَا هُمَا فِيهِ  
غَزِيرَةُ الْمَطَرِ وَمِنْهُ يَشْرَبُونَ وَلَيْسَ بِأَرْضٍ مِصْرَعَيْنِ وَلَا نَهْرٍ سِوَى نِيلِهَا  
وَمِنْهَا أَنَّ أَرْضَهَا رُمْلِيَّةٌ لَا تَصْلُحُ لِلزَّرْعَةِ لَكِنَّهُ بَأَنْبِيهَا طِينٌ أَسْوَدٌ عَلَيْكَ  
فِيهِ دُسُومَةٌ كَثِيرَةٌ بَسْمَى الْإِلِيلِزِ بَأَنْبِيهَا مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ مُخْتَلِطًا بِمَاءِ  
النَّيْلِ عِنْدَ مَكَّةَ فَيَسْتَفِرُّ الطِّينُ وَيَنْضَبُ الْمَاءُ فَجَرَتْ وَزُرِعَ وَكُلَّ سَنَةٍ  
بَأَنْبِيهَا طِينٌ جَدِيدٌ وَلِهَذَا يُزْرَعُ جَمِيعُ أَرْضِهَا وَلَا بُرَاجَ شَيْءٍ مِنْهَا كَمَا يُفْعَلُ  
فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ. لَكِنَّهَا تُخَالِفُ عَلَيْهَا الْأَصْنَافُ. وَقَدْ لَحِظْتُ الْعَرَبُ  
ذَلِكَ فَإِنَّهَا تَقُولُ إِذَا كَثُرَتِ الرِّيَّاحُ جَادَتِ الْحِرَاءَةُ لِأَنَّهَا تَجِيءُ بِتُرَابٍ  
غَرِيبٍ وَتَقُولُ أَيْضًا إِذَا كَثُرَتِ الْهَوْتَفَكَاتُ زَكَا الزَّرْعُ. وَلِهَذَا الْعِلَّةُ  
تَكُونُ أَرْضُ الصَّعِيدِ زَكِيَّةً كَثِيرَةً إِلَّا تَاءً وَالرَّبْعَ إِذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى  
الْمَبْدَأِ فَتَحْصُلُ فِيهَا مِنْ هَذَا الطِّينِ مِقْدَارٌ كَثِيرٌ بِخِلَافِ أَسْفَلِ الْأَرْضِ  
فَإِنَّهَا أَسَافَةٌ مُضَوِيَّةٌ إِذَا كَانَتْ رَفِيفَةً ضَعِيفَةً الطِّينِ لِأَنَّهُ بَأَنْبِيهَا الْمَاءُ  
وَقَدَرِاقٌ وَصَفَا وَلَا أَعْرِفُ شَيْهًا بِذَلِكَ إِلَّا مَا حَكِي لِي عَنْ بَعْضِ جِبَالِ

الْإقْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّ الرِّيحَ تَأْتِيهِ وَقْتُ الزَّرْعَةِ بِزَبَابٍ كَثِيرٍ ثُمَّ يَقَعُ عَلَيْهِ  
الْمَطَرُ فَيَنْتَلِدُ فَيَحْرُثُ وَيُزْعُ فَإِذَا حُصِدَ جَاءَتْهُ رِيحٌ أُخْرَى فَتَسْفَتْهُ حَتَّى  
بُعْدَ أَجْرَدٍ كَمَا كَانَ أَوَّلًا

وَمِنْهَا أَنَّ الْفُصُولَ بِهَا مُتَغَيِّرَةٌ عَنْ طَبِيعَتِهَا أَلْفِي لَهَا. فَإِنَّ أَحْصَى  
الْأَوْقَاتِ بِالْبَيْسِ فِي سَائِرِ الْإِلَادِ أَغْنَى الصِّفِّ وَالْحَرِيفَ تَكَثُرُ فِيهِ  
الرُّطُوبَةُ يَهْضُرُ بِهَذَا نِيلُهَا وَقَبْضُهُ لِأَنَّهُ يَهْدُ فِي الصِّفِّ وَيُطَبِّقُ الْأَرْضَ  
فِي الْحَرِيفِ. فَأَمَّا سَائِرُ الْإِلَادِ فَإِنَّ مِيَاهَهَا تَنْشُ فِي هَذَا الْأَوَانِ وَتَغْزُرُ  
فِي أَحْصَى الْأَوْقَاتِ بِالرُّطُوبَةِ أَغْنَى الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَمِصْرُ إِذَا ذَاكَ تَكُونُ  
فِي غَابَةِ الْخَوْلَةِ وَالْبَيْسِ وَلِهَذَا الْعِلَّةُ تَكَثُرُ عُفُونَاتُهَا وَاخْتِلَافُ هَوَائِهَا  
وَتَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهَا الْأَمْرَاضُ الْعَفْنِيَّةُ الْمُحَادَّةُ عَنْ أَخْلَاطِ صَفْرَاوِيَّةٍ  
وَبَلْغِيَّةٍ وَقَلْبًا تَجِدُ فِيهِمْ أَمْرَاضًا صَفْرَاوِيَّةً خَالِصَةً بَلِ الْغَالِبُ عَلَيْهَا الْبَلْغُمُ  
حَتَّى فِي الشَّبَابِ وَالْخُرُورِ وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ مَعَ الصَّفْرَاءِ خَامٌ وَكَثُرُ  
أَمْرَاضِهِمْ فِي آخِرِ الْحَرِيفِ وَأَوَّلِ الشِّتَاءِ لِكُنْهَا يَغْلِبُ عَلَيْهَا حَمِيدُ الْعَافِيَةِ  
وَقِلُّ فِيهِمْ الْأَمْرَاضُ الْمُحَادَّةُ وَالْدُمُومَةُ الْوَحِيَّةُ. وَأَمَّا أَصْحَاؤُهُمْ فَيَغْلِبُ  
عَلَيْهِمُ التَّرَهُّلُ وَالْكَسَلُ وَشُحُوبُ اللَّوْنِ وَكُمُودَتُهُ وَقَلْبًا تَرَى فِيهِمْ  
مَشُوبَ اللَّوْنِ ظَاهِرَ الدَّمِ. وَأَمَّا صِبْيَانُهُمْ فَضَاوِيُونَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الدَّمَامَةُ  
وَقِلَّةُ النَّصَارَةِ وَإِنَّمَا تَحْدُثُ لَهُمُ الْبِدَانَةُ وَالْفَسَامَةُ غَالِبًا بَعْدَ الْعِشْرِينَ.  
وَأَمَّا ذَكَائُهُمْ وَتَوَقُّدُ أَذْهَانِهِمْ وَخَفَةُ حَرَكَاتِهِمْ فَلِحَرَارَةِ بَلَدِهِمُ الدَّائِيَّةِ لِأَنَّ  
رُطُوبَتَهُ عَرَضِيَّةٌ. وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الصَّعِيدِ أَفْجَلُ جُسُومًا وَأَجْفَ أَمْرِجَةً  
وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ السَّمْعُ وَكَانَ سَاكِنُوا الْفُسْطَاطِ إِلَى دِمِيطَاطِ أَرْطَبَ أَبْدَانًا

وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ الْبَيَاضُ

وَلَمَّا رَأَى قُدَمَاةَ الْبَصْرِ بَيْنَ أَنْ عِمَارَةَ أَرْضِهِمْ إِنَّمَا هِيَ بَيْنَهُمَا جَعَلُوا  
أَوَّلَ سَنَتِهِمْ أَوَّلَ الْخَرْيَفِ وَذَلِكَ عِنْدَ بُلُوغِ النَّبْلِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ  
الزِّيَادَةِ

وَمِنْهَا أَنَّ الصَّبَا مَحْبُوبَةٌ عَنْهُمْ بِحَبْلِهَا الشَّرْقِيِّ الْمَسْمُومِ الْمَنْطَمِ فَإِنَّهُ يَسْتُرُ  
عَنْهَا هَذِهِ الرِّيحَ الْفَاضِلَةَ وَقَلَمًا تَهْبُ عَلَيْهِمْ خَالِصَةُ اللَّهِ لَا نَكِيَّةَ . وَلِهَذَا  
أَخَارَ قُدَمَاةَ الْبَصْرِ بَيْنَ أَنْ يَجْعَلُوا مُسْتَقَرَّ الْمَلِكِ مَنْفَ وَتَحْوَهَا مَا يَبْعُدُ  
عَنْ هَذَا الْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ إِلَى الْغَرْبِيِّ وَأَخَارَ الرُّومُ الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَتَحْتَبُوا  
مَوْضِعَ الْفُسْطَاطِ لِقُرْبِهِ مِنَ الْمَنْطَمِ فَإِنَّ الْجَبَلَ يَسْتُرُ عَمَّا فِي لِحْفِهِ أَكْثَرَ مَا  
يَسْتُرُ عَمَّا بَعْدَ مِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ بِنَاخِرِ طُلُوعِهَا عَلَيْهِمْ فَيَقِلُّ فِي هَوَائِهِمُ  
الْفُجْجُ وَيَبْقَى زَمَانًا عَلَى نَهْوَةِ اللَّيْلِ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْمَوَاضِعَ الْمُنْكَشِفَةَ لِلصَّبَا  
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ غَيْرِهَا وَلِكثَرِ رُطُوبَتِهِ يَتَسَارَعُ الْعَفْنُ  
إِلَيْهَا وَيَكْثُرُ فِيهَا الْفَارُ وَتَوَلَّدُ مِنَ الطِّينِ وَالْعَنَارِ بُتُكُثُرٌ يَقُوصُ وَكَثِيرًا  
مَا تَقْتُلُ يَلْسِبُهَا وَالْبَقُ الْمُنِينُ وَالذَّبَابُ وَالْبَرَاعِثُ تَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا  
وَمِنْهَا أَنَّ الْجَنُوبَ إِذَا هَبَّتْ عِنْدَهُمْ فِي الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَفِيمَا بَعْدَ  
ذَلِكَ كَانَتْ بَارِدَةً جِدًّا وَيُسَمُّونَهَا الْمَرِيسِيَّ لِهَرُورِهَا عَلَى أَرْضِ الْمَرِيسِ  
وَهِيَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ . وَسَبَبُ بَرْدِهَا مُرُورُهَا عَلَى بَرَكٍ وَنَفَاتِغٍ . وَالذَّلِيلُ  
عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ إِنَّهَا إِذَا دَامَتْ أَيَّامًا مُتَوَالِيَةً عَادَتْ إِلَى حَرَارَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ  
وَأَسْخَنَتِ الْهَوَاءَ وَأَخَذَتْ فِيهِ يَبَسًا



## النَّصْلُ الثَّانِي

فِيمَا تَخَصَّصَ بِهِ مِنَ النَّبَاتِ

مِنْ ذَلِكَ الْجُمُيْزُ وَهُوَ يَبْصُرُ كَثِيرٌ جِدًّا وَرَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا بِعَسْفَلَانِ  
وَالسَّاحِلِ وَكَأَنَّهُ يَنْبُرُ بَرِّي وَيُخْرِجُ ثَمَرَهُ فِي الْخَشْبِ لَا تَحْتَ الْوَرَقِ  
وَيُخْلَفُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةَ بَطُونٍ وَيُؤْكَلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَيَحْمِلُ وَفَرًا عَظِيمًا  
وَقَبْلَ أَنْ يَنْجُو بِأَيَّامٍ بَصْعَدُ رَجُلٌ إِلَى الشَّجَرِ وَمَعَهُ حَدِيدٌ يَسْمُ بِهَا  
حَبَّةٌ مِنْ الشَّمَرِ فَيَجْرِبُ مِنْهَا لَبَنٌ أَيْضُ . ثُمَّ يَسْوَدُّ الْمَوْضِعُ وَيَحْلُو  
الشَّمَرُ بِذَلِكَ الْفِعْلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ  
الْتَيْنِ لَكِنَّهُ لَا يَنْفَكُ فِي آخِرِ مَضَعِهِ مِنْ طَعْمِ خَشَبِيَّةٍ مَا . وَشَجَرَتُهُ  
كَبِيرَةٌ كَشَجَرَةِ الْجُوزِ الْعَالِيَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهِ وَغَصَنِهِ إِذَا فُصِدَتْ  
لَبَنٌ أَيْضُ إِذَا طَلِيَ عَلَى ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبَّغَهُ وَأَحْمَرَهُ . وَخَشَبُهُ نَعْمٌ بِهِ  
الْمَسَاكِينُ وَيَتَّخِذُ مِنْهُ الْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَلَاتِ الْحَافِيَةِ وَلَهُ بَقَاةٌ عَلَى  
الدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى الْهَاءِ وَالشَّمْسِ وَقَلَمًا يَتَأَكَّلُ هَذَا مَعَ أَنَّهُ خَشَبٌ  
خَفِيفٌ قَلِيلُ اللَّدُونَةِ . وَيَتَّخِذُ مِنْ ثَمَرِهِ خَلٌّ حَادِقٌ وَنَبِيذٌ حَادِثٌ . قَالَ  
جَالِينُوسُ الْجُمُيْزُ بَارِدٌ رَطْبٌ فِيمَا بَيْنَ الثَّوْبِ وَالتَّيْنِ وَهُوَ رَدِيٌّ لِلْبَعِغِ  
وَلَبَنُ شَجَرَتِهِ لَهُ قُوَّةٌ مُلِينَةٌ تُلْصِقُ الْأَجْرَاجَ وَتَفْشُ الْأَوْرَامَ وَيُلْطِخُ عَلَى لَسَعِ  
الْهُوَامِ . وَيُجَلِّلُ جَسَاءَ الْيَطْحَالِ وَلَوْ جَاعَ الْبَعِغُ ضَامِدًا وَيَتَّخِذُ مِنْهُ شَرَابٌ  
لِلسُّعَالِ الْمُتَقَادِمِ وَتَوَازِلِ الصَّدْرِ وَالرَّيَّةِ وَعَمَلُهُ بِأَنْ يُطْبَخَ فِي الْهَاءِ حَتَّى  
يَخْرُجَ فِيهِ قُوَّتُهُ وَيُطْبَخُ ذَلِكَ الْهَاءُ مَعَ السُّكَّرِ حَتَّى يَنْعَقِدَ وَيَرْفَعُ . وَقَالَ  
أَبُو حَنِيفَةَ وَمِنْ أَجْنَاسِ التَّيْنِ الْجُمُيْزُ وَهُوَ تَيْنٌ حُلْوٌ رَطْبٌ لَهُ

مَعَالِقُ طَوَالٍ وَيَرْبُ وَيَضْرِبُ آخِرُ مِنَ الْجَمِيزِ حَمْلُهُ كَالْتَيْنِ فِي الْخِلْفَةِ  
وَوَرَقُهُ أَضْغَرُ مِنَ وَرَقِ التَّيْنِ، وَبَيْنَهُ أَضْفَرُ صَغَارُهُ وَأَسْوَدُ وَيَكُونُ بِالْعَوْرِ  
وَيُسَمَّى التَّيْنِ الذَّكَرَ وَالْأَضْفَرُ مِنْهُ حَلْوٌ وَالْأَسْوَدُ يُدْعَى أَلْفَمٌ وَلَيْسَ  
لِيَبْنِهِ عِلَاقَةٌ بَلْ لَاصِقٌ بِالْعَوْدِ

وَمِنْ ذَلِكَ الْبَلَسَانُ فَإِنَّهُ لَا يُوجَدُ الْيَوْمَ إِلَّا بِبَصْرَ بَعَيْنِ شَمْسٍ فِي  
مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحَنَظٌ بِهِ مَسَاحَتُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدَنَةٍ، وَأَرْتِفَاعُ شَجَرَتِهِ  
نَحْوُ ذِرَاعٍ وَكَثْرَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا فِشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرُ خَفِيفٌ وَالْأَسْفَلُ  
أَخْضَرُ نَخِيفٌ، وَإِذَا مُضِغَ ظَهَرَ فِي أَلْفَمٍ مِنْهُ دُهْنِيَّةٌ وَرَاحِيَّةٌ عَطِرَةٌ، وَوَرَقُهُ  
شَبِيهُ بَوَرَقِ السَّدَابِ وَيَحْتَقِي دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشُّعْرَى بِأَنْ تُشْدَخَ السُّوقُ  
بَعْدَ مَا يَحْتُ عَنْهَا جَمِيعُ وَرَقِهَا وَشَدَخُهَا يَكُونُ مُجْجَرٍ مُنْقَذُ مُحَدَّدَةٍ وَيَنْتَفِرُ  
شَدَخُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ يَحْتُ يَنْقَطِعُ الْفِشْرُ الْأَعْلَى وَيَشُقُّ الْأَسْفَلُ شَقًّا لَا يَنْتَفِذُ  
إِلَى الْخَشَبِ فَإِنْ نَفَذَ إِلَى الْخَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِذَا شَدَخَهُ كَمَا وَصَفْنَا  
أَمَهَلَهُ رَبُّنَا يَسِيلُ لَنَاهُ عَلَى الْعَوْدِ فَيَجْمَعُهُ بِأَصْبَعِهِ مَسْحًا إِلَى قَرْنٍ فَإِذَا أَمْتَلَا  
صَبَّهُ فِي قَنَانِي زُجَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جَنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لَنَاهُ  
وَكُلَّمَا كُنَّ النَّدَى فِي الْجَوْ كَانَ لَنَاهُ أَكْثَرُ وَأَغْزَرُ وَفِي الْجَدْبِ وَقَلَّةُ النَّدَا  
يَكُونُ اللَّثَا أَنْزَرَ وَمَقْدَارُ مَا خَرَجَ مِنْهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ  
وَهِيَ عَامُ جَدْبٍ نَبَفٌ وَعَشْرُونَ رِطْلًا، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْقَنَانِي فَتُدْفَنُ إِلَى  
الْقَبْطِ وَحِمَارَةِ الْحَرِّ وَتَخْرُجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ، ثُمَّ تُنْفَقُ كُلُّ  
يَوْمٍ فَيُوجَدُ الدَّهْنُ وَقَدْ طَفَأَ فَوْقَ رُطُوبَةٍ مَائِيَّةٍ وَأَنْقَالٍ أَرْضِيَّةٍ فَيَنْقَطِفُ  
الدَّهْنُ ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ بِشَمْسِهَا وَيَقْطِفُ دُهْنُهَا

حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا دُهْنٌ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ الدُّهْنُ وَيَطْبَخُهُ فِيهِ فِي الْخَبْئَةِ لَا  
يُطْلَعُ عَلَى طَبْخِهِ أَحَدًا. ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى خِزَانَةِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارُ الدُّهْنِ الْخَالِصِ  
مِنَ الثَّلَاثِ أَلْفِ رَوْبِي نَحْوُ عَشْرِ أَجْمَلَةٍ وَقَالَ لِي بَعْضُ أَرْبَابِ الْخَبْئَةِ إِنَّ  
الَّذِي يَحْصُلُ مِنْ دُهْنِهِ نَحْوُ عَشْرِينَ رِطْلًا

وَرَأَيْتُ جَالِينُوسَ يَقُولُ إِنَّ أَجْوَدَ دُهْنِ الْبَلْسَانِ مَا كَانَ بِأَرْضِ  
فَلَسْطِينَ وَأَضَعَفُهُ مَا كَانَ بِبَصْرَ وَنَحْنُ فَلَا نَجِدُ الْيَوْمَ مِنْهُ بِفَلَسْطِينَ شَيْئًا  
الْبَتَّةَ وَقَالَ يَنْفُولَاوُسُ فِي كِتَابِ النَّبَاتِ. وَمِنَ النَّبَاتِ مَا لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ  
فِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَمِنْهُ مَا رَائِحَتُهُ الطَّيِّبَةُ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ كَالْبَلْسَانِ الَّذِي  
يَكُونُ فِي السَّامِ يَقْرُبُ بَحْرَ الزَّيْتِ وَالْبَيْدُ الَّتِي تُسَمَّى مِنْهَا تُسَمَّى بِدْرِ الْبَلْسَمِ  
وَمَاؤُهَا عَذْبٌ. وَقَالَ ابْنُ سَعْدُونَ: إِنَّمَا يُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِبَصْرَ  
فَقَطْ وَيُسْتَخْرَجُ دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ كَلْبِ الْجَبَّارِ وَهُوَ الشَّعْرَاءُ وَذَلِكَ فِي  
الشُّبَاطِ. وَمِقْدَارُ مَا يُخْرَجُ مَا بَيْنَ خَمْسِينَ رِطْلًا إِلَى سِتِينَ وَيَبَاقُ فِي مَكَانِهِ  
بِضْعَيْنِ فِضَّةً. وَكَانَ هَذِهِ الْحَالُ قَدْ كَانَتْ فِي زَمَنِ ابْنِ سَعْدُونَ وَحُكْمِ  
عَنِ الرَّازِيِّ أَنَّ بَدْلَهُ دُهْنُ الْفُجْلِ وَهَذَا يَعْبُدُ. وَالْبَلْسَانُ الدُّهْنِيُّ لَا يُشْرَدُ  
وَأِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْهُ فُسُوحٌ فَتُغْرَسُ فِي شُبَاطٍ فَتَعْلَقُ وَتَنْبِي. وَإِنَّمَا الثَّمَرُ  
لِلدَّكْرِ الْبَرِّيِّ وَلَا دُهْنَ لَهُ وَيَكُونُ يَجِدَ وَتِهَامَةً وَبَرَارِي الْعَرَبِ  
وَسَوَاحِلِ الْيَمَنِ وَبَارِضِ فَارِسَ وَيُسَمَّى الْبَشَامَ وَيُرَى فِشْرُهُ قَبْلَ  
اسْتِخْرَاجِ دُهْنِهِ فَيَكُونُ نَافِعًا مِنْ جَمِيعِ السُّمُومِ. وَأَمَّا خَوَاصُّهُ وَمَنَافِعُهُ  
فَأَلَّا يَبْقَى بِهَا غَيْرُ هَذَا الْكِتَابِ

٢٧٠  
النَّضْلُ الثَّالِثُ

فِيمَا تَخَصَّصُ بِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ

مِنْ ذَلِكَ الْحَبِيدُ وَالْحَبِيدُ بِبَصَرِ فَارِهَةٍ جَدًّا وَتُرْكَبُ بِالسُّرُجِ وَتَجْرِي  
مَعَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ النَّفِيسَةِ وَلَعَلَّهَا تَسْبُحُهَا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَثِيرَةُ الْعَدَدِ  
وَمِنْهَا مَا هُوَ عَالٍ يَحْتِثُ إِذَا رُكِبَ بِسَرْجٍ اخْتَلَطَ مَعَ الْبَغَالِ . يَرْكَبُهُ  
رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . يَبْلُغُ ثَمَنُ الْوَاحِدِ مِنْهَا عَشْرِينَ دِينَارًا إِلَى  
أَرْبَعِينَ

وَأَمَّا بَقَرُهُمْ فَعَظِيمَةُ الْخَلْفِ حَسَنَةُ الصُّورِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ هُوَ أَحْسَنُهَا  
وَأَعْلَاهَا فِيهِمَ يُسَمَّى الْبَقَرُ الْحَبِيسِيَّةُ وَهِيَ ذَوَاتُ فُرُونٍ كَأَنَّهَا الْقِسِيُّ غَرِيرَاتُ  
الْبَلْبَنِ

وَأَمَّا خَيْلُهَا فِعِتَاقٌ سَائِفَةٌ . وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ ثَمَنُهُ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ  
وَمِنْ ذَلِكَ الْتَمَاسِجُ وَالْتَمَاسِجُ كَثِيرَةٌ فِي الْبَيْلِ وَخَاصَّةً فِي الصَّعِيدِ  
الْأَعْلَى وَفِي الْجَنَادِلِ فَإِنَّهَا تَكُونُ عَلَى الْمَاءِ وَيَنُصُّ صُخُورَ الْجَنَادِلِ كَالَّذُودِ  
كَثْرَةً وَتَكُونُ كِبَارًا وَصِغَارًا وَيَنْتَهِي فِي الْكِبَرِ إِلَى ثِنْفٍ وَعَشْرِينَ ذِرَاعًا  
طُولًا . وَتُوجَدُ فِي سَطْحِ جَسَدِهِ مِمَّا يَلِي بَطْنَهُ سِلْعَةٌ كَالثِيضَةِ تَحْتَوِي عَلَى  
رُطُوبَةٍ دَمَوِيَّةٍ وَهِيَ كَمَا فَجَحَ الْيَسْكُ فِي الصُّورَةِ وَالطَّبِيبُ وَخَبَّرَنِي أَنَّ ثِقَتَهُ  
أَنَّهُ يَنْدُرُ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي عُلُوِّ الْيَسْكِ لَا يَنْقُصُ عَنْهُ شَيْئًا . وَالْتِمَسَاجُ  
يَبْيَضُ يَبْضًا شَبِيهَا بَيَاضِ الدُّجَاجِ وَرَأَيْتُ فِي كِتَابٍ مَنْسُوبٍ إِلَى أَرِسْطُو  
مَا هِيَ صُورَتُهُ . قَالَ الْتِمَسَاجُ وَلَا يَعْمَلُ فِي جِلْدِهِ أَحَدٌ . وَمِنْ فَقَارِ  
رَقَبَتِهِ إِلَى ذَنَبِهِ عَظْمٌ وَاحِدٌ وَلِهَذَا إِذَا انْقَلَبَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ

يَرْجِعُ . قَالَ وَيَبِيضُ يَبْضَاطًا وَلَا كَالْأَوَّلِ وَيَذْفُنُهُ فِي الرَّمْلِ فَإِذَا أُخْرِجَ  
كَانَ كَالْحَرَاذِينِ فِي جِسْمِهَا وَخِلْفَتِهَا . ثُمَّ يَعْظُمُ حَتَّى يَكُونَ عَشْرَ أَذْرُعَ  
وَأَزِيدَ وَيَبِيضُ سِتِينَ بَيْضَةً لِأَنَّ خِلْقَتَهُ تَجْرِي عَلَى سِتِينَ سَنًا وَسِتِينَ عِرْفًا  
وَمِنْ ذَلِكَ فَرَسُ الْبَحْرِ وَهَذِهِ تَوْجَدُ بِأَسْفَلِ الْأَرْضِ وَخَاصَّةً بِبَحْرِ  
دِمْبَاطَ وَهُوَ حَيَوَاتٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ هَائِلُ الْمَنْظَرِ شَدِيدُ الْبَلْسِ يَنْتَبِعُ  
الْمَرَاكِبَ فَيُغْرِقُهَا وَيُهْلِكُ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهَا وَهُوَ بِأَجَامُوسَ أَشْبَهُ مِنْهُ  
بِالْفَرَسِ لَكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قَرْنٌ وَفِي صَوْنِهِ صَحْلَةٌ بِشِبْهِ صَهْلِ الْفَرَسِ بَلْ  
الْبَغْلِ وَهُوَ عَظِيمُ الْهَامَةِ هَرِيثُ الْأَشْدَاقِ حَدِيدُ الْأَنْبَابِ عَرِيضُ  
الْكُلْكُلِ مُتَنَفِّخُ الْأَجُوفِ قَصِيرُ الْأَرْجُلِ شَدِيدُ الْوُتْبِ قَوِيٌّ الدَّفْعِ مَهِيْبُ  
الصُّورَةِ مَخُوفُ الْعَائِلَةِ وَخَبَرَنِي مِنْ أَصْطَاذِهَا مَرَاتٍ وَشَقَّهَا وَكَشَفَ عَنْ  
أَعْضَائِهَا الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ أَنَّهَا خِزِيرٌ كَبِيرٌ وَأَنَّ أَعْضَاءَهَا الْبَاطِنَةَ  
وَالظَّاهِرَةَ لَا تُغَادِرُ مِنْ صُورَةِ الْخِزِيرِ شَيْئًا إِلَّا فِي عِظَمِ الْخِلْقَةِ . وَرَأَيْتُ  
فِي كِتَابِ نَبُطَوَالِيسَ فِي الْخَيَوَانِ مَا بَعْضُهُ ذَلِكَ وَهَذِهِ صُورَتُهُ . قَالَ  
خِزِيرُ الْمَاءِ تَكُونُ فِي بَحْرِ مِصْرَ وَهِيَ تَكُونُ فِي عِظَمِ الْفِيلِ وَرَأْسُهَا بِشِبْهِ  
رَأْسِ الْبَغْلِ وَلَهَا شِبْهُ الْجَمَلِ . قَالَ وَشَمُّ مَتْنِهَا إِذَا أُذِيبَ وَلَتْ بِسَوِيْقِ  
وَشَرِبَتْهُ أَمْرَأَةٌ اسْمُهَا حَتَّى تَجُوزَ الْبَقْدَارَ

وَكَانَتْ وَاحِدَةً بِبَحْرِ دِمْبَاطَ قَدْ ضَرَبَتْ عَلَى الْمَرَاكِبِ تَغْرِقُهَا وَصَارَ  
الْمَسَافِرُ فِي تِلْكَ الْأَجْهَةِ مُغْرَرًا وَضَرَبَتْ أُخْرَى بِجَهَةِ أُخْرَى عَلَى الْجَوَائِيسِ  
وَالْفَرَ وَبَنَى آدَمَ تَقْلَهُمْ وَتَفْسَدُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ . وَاعْمَلِ النَّاسُ فِي  
قَتْلِهِمَا كُلَّ حِيلَةٍ مِنْ نَصْبِ الْخَبَائِلِ الْوَيْفَةِ وَحَشْدِ الرِّجَالِ بِأَصْنَافِ

السِّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَلَمْ يُجِدْ شَيْئًا فَأَسْتَدْعَى بَنِيهِ مِنَ الْمَرِيضِ صَنِيفٍ مِنَ  
السُّودَانِ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صَيْدَهَا وَأَنَّهَا كَثِيرَةٌ عِنْدَهُمْ وَمَعَهُمْ  
مَزَارِيقُ . فَتَوَجَّهُوا نَحْوَهَا فَفَقَتَلُوهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَبَاهُونَ سَعْيَ وَاتِّقَا  
بِهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَشَاهَدَتْهُمَا فَوَجَدَتْ جِلْدَهُمَا أَحَدَاهُمَا أَسْوَدَ أُجْرَدَ خَيْبًا  
جِدًّا وَطَوَّلُهَا مِنْ رَأْسِهَا إِلَى ذَنْبِهَا عَشْرُ خُطَوَاتٍ مُعْتَدِلَاتٍ وَهِيَ فِي غِلْظِ  
أَجْمَامِ مُوسَى نَحْوَ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ وَكَذَلِكَ رَفِئَتْهَا وَرَأْسُهَا . وَفِي مَقْدَمِ فِيهَا  
أَثْنَا عَشَرَ نَابًا سِتَّةٌ مِنْ فَوْقٍ وَسِتَّةٌ مِنْ أَسْفَلِ الْمِطْرِ فَهُنَّ مِنْهَا نِصْفُ ذِرَاعٍ  
زَائِدٌ وَالْمَتَوَسِّطَةُ أَنْقَصُ بِقَلِيلٍ . وَبَعْدَ الْأَنْبَابِ أَرْبَعَةُ صُفُوفٍ مِنْ  
الْأَسْنَانِ عَلَى خُطُوطٍ مُسْتَقِيمَةٍ فِي طَوْلِ النَّهْرِ فِي كُلِّ صَفٍّ عَشْرَةٌ كَأَمْثَالِ  
بَيْضِ الدُّجَاجِ الْمُصْطَفَى صَفَانٍ فِي الْأَعْلَى وَصَفَانٍ فِي الْأَسْفَلِ عَلَى  
مُقَابِلَتِهَا . وَإِذَا فَعِرْفُوهَا وَسِعَ شَاةٌ كَثِيرَةٌ وَذَنْبُهَا فِي طَوْلِ نِصْفِ ذِرَاعٍ  
زَائِدٍ غَلِظٌ وَطَرَفُهُ كَالْأَصْبَعِ أُجْرَدٌ كَأَنَّهُ عَظْمٌ شَبِيهُ يَدَنِ الْوَرَلِ  
وَأَرْجُلُهَا فِصَارٌ طَوَّلُهَا نَحْوُ ذِرَاعٍ وَثَلَاثٌ وَلَهَا شَبِيهُ يَخْفُفُ الْبَعِيرِ إِلَّا أَنَّهُ  
مَشْفُوقُ الْأَطْرَافِ بِأَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ وَأَرْجُلُهَا فِي غَايَةِ الْغِلْظِ . وَجُمْلَةُ جَنْبِهَا  
كَأَنَّهَا مَرْكَبٌ مَكْبُوبٌ لِعَظْمٍ مَنظَرُهَا . وَبِالْجُمْلَةِ هِيَ أَطْوَلُ وَأَغْلَظُ مِنْ  
الْفِيلِ إِلَّا أَنَّ أَرْجُلَهَا أَقْصَرُ مِنْ أَرْجُلِ الْفِيلِ بِكَثِيرٍ وَلَكِنْ فِي غِلْظِهَا أَقْ  
أَغْلَظُ مِنْهَا

وَأَمَّا أَصْنَافُ السَّمَكِ عِنْدَهُمْ فَكَثِيرَةٌ لِأَنَّهُ يَجْنَعُ إِلَيْهِمْ سَمَكُ الْبَيْلِ  
وَسَمَكُ الْبَحْرِ أَلْحٌ وَلَا يَفِي الْقَوْلُ بِتَعْنِيهَا لِكَثَرَةِ أَصْنَافِهَا وَأَحْيَالِهَا أَشْكَالِهَا  
وَالْوَانِهَا

## ٤٠ الفصل الرابع في اقتصاص ما شوهد من آثارها القديسة

أما ما يوجد بمصر من الآثار القديسة فثمة لم أروا لم أسمع بمثله في غيرها فاقصر على أعجب ما شاهدته

فإن ذلك الأهرام وقد أكثر الناس من ذكرها وصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر النجعة وعلى سمت مصر القديسة وتمتد في نحو مسافة يومين وفي بؤصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولين وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس. وقد كان منها بالنجعة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب على يدي قراقوش بعض الأمراء. وكان خصباً رومياً سامي الهمة وكان يتولى عمارة مصر وهو الذي بنى السور من الحجارة محبطين بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم وهو أيضاً الذي بنى القلعة وأنبت فيها الزيتون الموجودين اليوم وهما من العجائب وينزل إليهما بدرج نحو ثلاثمائة درجة. وأخذ حجارة هذه الأهرام الصغار وبنى القناطر الموجودة اليوم بالنجعة. وهذه القناطر من الآبنة العجيبة أيضاً ومن أعمال الجبارين وتكون بنفاً وأربعين قنطرة. وفي هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمس مائة تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدّها رجاء أن يجنّس الماء فيروبه النجعة فقويت عليها جربة الماء فزلزلت منها ثلث قناطر ونشفت. ومع

ذَلِكَ فَلَمْ يَزُومَا رَجَا أَنْ يُزَوِيَ. وَقَدْ بَقِيَ مِنْ هَذِهِ الْأَهْرَامِ الْمَهْدُومَةِ قَلْبُهَا  
وَحَشُونُهَا وَهِيَ رَذَمٌ وَحِجَارَةٌ صِغَارٌ لَا تَصْلُحُ لِلْفَنَائِيرِ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ  
تُرِكَتْ

وَأَمَّا الْأَهْرَامُ الْمُتَحَدِّثُ عَنْهَا الْمَشَارُ إِلَيْهَا الْمَوْصُوفَةُ بِالْعِظَمِ. فَتَلَفَتْ  
أَهْرَامَ مَوْصُوعَةٍ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ بِالتَّجْبِيزِ قِبَالَةَ الْفَسْطَاطِ وَبَيْنَهَا مَسَافَاتُ  
بَسِيرَةٌ وَذَوَايَاهَا مُتَقَابِلَةٌ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَاثْنَانِ مِنْهَا عِظِمَانِ جِدَاوِي فِي قَدْسٍ  
وَاحِدٍ وَبِهَا أُورِجُ الشُّعْرَاءِ وَشَبَّهُوهَا بِبَيْتَيْنِ قَدْ نَهَدَا فِي صَدْرِ الدِّيَارِ  
الْمِصْرِيَّةِ وَهِيَ مُتَقَارِبَانِ جِدَاوِيَيْنِ بِالتَّجَارَةِ الْبَيْضِ. وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَيَنْقُصُ  
عَنْهَا بَخْوُ الرَّبْعِ لَكِنَّهُ مَبْنِيٌّ بِحِجَارَةِ الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ الْمُنْقَطِ الشَّدِيدِ  
الْصَّلَاةِ وَلَا يُؤَثَّرُ فِيهِ التَّحْدِيدُ إِلَّا فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَتَجِدُ صَغِيرًا  
بِالْقِيَاسِ إِلَى ذُنُوبِكَ فَإِذَا اقْرَبْتَ مِنْهُ وَأَفْرَدْتَهُ بِالنَّظَرِ هَالِكٌ مَرَأَةٌ وَحَسَرَ  
الْطَّرْفُ عِنْدَ تَأْمُلِهِ

وَقَدْ سَلِكَ فِي بِنَائِهِ الْأَهْرَامِ طَرِيقَ مِنَ الشَّكْلِ وَالْإِتْقَانِ وَلِذَلِكَ  
صَبَرَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ بَلْ عَلَى مَرِّهَا صَبَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّكَ إِذَا تَجَرَّعْتَهَا وَجَدْتَ  
الْأَذْهَانَ الشَّرِيفَةَ قَدْ اسْتَهْلَكَتْ فِيهَا وَالْعُقُولَ الصَّافِيَةَ قَدْ أَفْرَعَتْ عَلَيْهَا  
مَجْهُودَهَا وَالْأَنْفُسَ النَّيِّرَةَ قَدْ أَفَاضَتْ عَلَيْهَا أَشْرَفَ مَا عِنْدَهَا لَهَا وَالْمَلَكَاتِ  
الْهَنْدَسِيَّةَ قَدْ أَخْرَجَتْهَا إِلَى الْفِعْلِ مِثْلًا هِيَ غَايَةُ امْكَانِهَا حَتَّى أَنَّهَا تَكَادُ  
تُحَدِّثُ عَنْ قَوْمِهَا وَتُخَبِّرُ بِحَالِهِمْ وَتَنْطِقُ عَنْ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَتَتَرَجِّمُ  
عَنْ سِيرَتِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ وَضْعَهَا عَلَى شَكْلِ مَخْرُوطٍ يَتَدَيُّ مِنْ  
قَاعِكَ مُرَبَّعَةٍ وَيَنْتَبِي إِلَى نُقْطَةٍ. وَمِنْ خَوَاصِّ الشَّكْلِ الْخُرُوطِ أَنَّ مَرَكَزَ



ثِقَلِهِ فِي وَسْطِهِ وَهُوَ يَتَسَانَدُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَوَاقِعُ عَلَى ذَاتِهِ وَيَحْمَلُ بَعْضُهُ  
عَلَى بَعْضٍ فَلَيْسَ لَهُ جِهَةٌ أُخْرَى خَارِجَةٌ عَنْهُ يَتَسَاقُطُ عَلَيْهَا. وَمِنْ عَجِيبِ  
وَضْعِهِ أَنَّهُ شَكْلُ مَرْبَعٍ قَدْ قُوِيَ بِزَوَايَاهُ مَهَبُّ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ فَإِنَّ الرِّيحَ  
تَنْكَسِرُ سَوْرَتَيْهَا عِنْدَ مُضَادِّهَا الزَّوَايَا وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَلْقَى  
السَّطْحَ

وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ الْأَرْمَنِ الْعَظِيمِينَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ ذَكَرُوا أَنَّ قَاعِدَةَ كُلِّ  
مِنْهَا أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ طُولًا فِي مِثْلِهَا عَرْضًا وَأَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ  
ذِرَاعٍ وَذَلِكَ كُلُّهُ بِالذِّرَاعِ السُّودَاءِ. وَيَنْقَطِعُ الْخُرُوطُ فِي أَعْلَاهُ عِنْدَ  
سَطْحٍ مِسَاحَتُهُ عَشْرُ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا. وَأَمَّا الَّذِي شَاهَدْتُهُ مِنْ حَالِهَا فَإِنَّ  
رَأْسَهَا كَانَ مَعَارِضَ سَهْمٍ فِي فُطْرٍ أَحَدِهَا وَفِي سَمَكِهِ فَسَطَ السَّهْمِ دُونَ  
نِصْفِ الْمَسَافَةِ وَخَبِرْنَا أَنَّ فِي الْقَرْيَةِ النُّجَاوِرَةِ لَهَا قَوْمًا قَدِ اعْتَادُوا أَرْبَعَةَ  
أَلْهَمَ بِأَلْكَفَةِ فَاسْتَدْعَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ وَرَضَخْنَا لَهُ بِشَيْءٍ. فَجَعَلَ يَصْعَدُ فِيهَا  
كَمَا يَرَقِي أَحَدُنَا فِي الدَّرَجِ بَلْ أَسْرَعَ وَرَقَى بِنَعْلَيْهِ وَأَثْوَابِهِ وَكَانَتْ سَابِغَةً  
وَكُنْتُ أَمْرْتُهُ أَنَّهُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى سَطْحِهِ فَاسَهُ بِعَازِمَتِهِ. فَلَمَّا نَزَلَ ذَرَعْنَا  
مِنْ عِزَامَتِهِ مِقْدَارَ مَا كَانَ فَاسَ فَكَانَ إِحْدَى عَشْرَةَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْبَيْدِ.  
وَرَأَيْتُ بَعْضَ أَرْبَابِ الْفِيَّاسِ قَالَ أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا  
وَنَحْوُ سَبْعِ عَشْرَةَ ذِرَاعًا يُحِيطُ بِهِ أَرْبَعَةُ سُطُوحٍ مُثَلَّثَاتٍ الْأَضْلَاعِ طُولُ  
كُلِّ ضِلْعٍ مِنْهَا أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ وَسِتُّونَ ذِرَاعًا وَلَرَّيْ هَذَا الْفِيَّاسَ  
خَطَاءً وَلَوْ جُعِلَ الْعَمُودُ أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ لَصَحَّ فَيَاسُهُ وَإِنْ سَاعَدَتْ  
الْمَقَادِيرُ تَوَلَّيْتُ فَيَاسَهُ بِنَفْسِي

وَفِي أَحَدِ هَذَيْنِ الْهَرَمَيْنِ مَدْخَلٌ يَلِيحُهُ النَّاسُ يُفْضِي بِهِمْ إِلَى مَسَالِكِ  
صَيْفَةٍ وَأَسْرَابٍ مُتَنَافِئَةٍ وَأَبَارٍ وَمَهَالِكٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَحْكِيهِ مَنْ يَلِيحُهُ  
وَيَتَوَغَّلُهُ. فَإِنَّ نَاسًا كَثِيرِينَ لَهُمْ غَرَامٌ بِهِ وَتَحْمِلٌ فِيهِ فَيُؤْغِلُونَ فِي أَعْمَافِهِ  
وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى مَا يَعْزُونَ عَنْ سُلُوكِهِ. وَأَمَّا الْمَسْلُوكُ فِيهِ الْمَطْرُوقُ  
كَبِيرًا فَزَلَاةٌ تُفْضِي إِلَى أَعْلَاهُ. فَيُوجَدُ فِيهِ بَيْتٌ مُرَبَّعٌ فِيهِ نَاقُوسٌ مِنْ  
حَجَرٍ وَهَذَا الْمَدْخَلُ لَيْسَ هُوَ الْبَابُ الْمَتَّخَذُ لَهُ فِي أَصْلِ الْبِنَاءِ وَأَمَّا هُوَ  
مُنْتَوَبٌ نَقْبًا صُودِفَ اتِّفَاقًا. وَذِكْرُ أَنَّ الْمَأْمُونَهُ هُوَ الَّذِي فَتَحَهُ وَجُلُّ مَنْ  
كَانَ مَعَنَا وَلَجُوا فِيهِ وَصَعِدُوا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ. فَلَمَّا نَزَلُوا أَحَدُهُمْ  
بِعَظِيمٍ مَا شَاهَدُوا وَأَنَّهُ مَسْلُوبٌ بِالْخُفَافِشِ وَأَبْوَالِهَا حَتَّى يَكَادُ يُبْغِضُ السَّالِكُ  
وَيَعْظُمُ فِيهَا الْخُفَافُ حَتَّى يَكُونَ فِي قَدْرِ الْحِمَامِ. وَفِيهِ طَافَاتٌ وَرَوَازِينُ  
نَحْوِ أَعْلَاهُ وَكَأَنَّهُمَا جُعِلَتَا مَسَالِكَ لِلرَّيْحِ وَمَنَافِذَ لِلضُّوءِ وَوَجْنَهُ مَعَهُ  
أُخْرَى مَعَ جَاعَةٍ وَبَلَّغْتُ نَحْوَ ثُلَاثِي الْمَسَافَةِ فَأُغْيِيَ عَلَيَّ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ  
فَرَجَعْتُ بِرَمَقٍ

وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ مَبْنِيَّةٌ بِحِجَارٍ جَافِيَةٍ يَكُونُ طُولُ الْحَجَرِ مِنْهَا مَا بَيْنَ عَشْرٍ  
أَذْرَعٍ إِلَى عَشْرِينَ ذِرَاعًا وَسَمَكُهُ مَا بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ إِلَى ثَلَاثٍ وَعَرْضُهُ نَحْوُ  
ذَلِكَ وَعَجَبُ كُلِّ الْعَجَبِ فِي وَضْعِ الْحَجَرِ عَلَى الْحَجَرِ بِهَذَا مَا لَيْسَ فِي  
الْإِمْكَانِ أَحْسَنُ مِنْهُ حَيْثُ لَا يَجِدُ بَيْنَهُمَا مَدْخَلٌ يُبْرِقُ وَلَا خَلَلٌ شَعْرِيٌّ وَبَيْنَهُمَا  
طِينٌ كَأَنَّهُ الْوَرَقَةُ لَا أَذْرِي مَا صَنَعَهُ وَلَا مَا هُوَ. وَعَلَى تِلْكَ أَنْجَارَةٌ كِتَابَاتٌ  
بِالْقَلَمِ الْقَدِيمِ الْجَهْلُولِ الَّذِي لَمْ أَجِدْ بِدِيَارِ مِصْرَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ  
بَعْرِفِهِ. وَهَذِهِ الْكِتَابَاتُ كَثِيرَةٌ جِدًّا حَتَّى لَوْ نَقَلَ مَا عَلَى الْهَرَمَيْنِ فَنَقَطَ إِلَى

صُحُفٍ لَكَانَتْ زُهُورًا عَشْرَةَ آلَافٍ صِحْفَةٍ. وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الصَّابِئَةِ  
الْقَدِيمَةِ أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْأَهْمَيْنِ هُوَ قَبْرُ أَغَاذِيْبُونَ وَالْآخَرُ قَبْرُ هَرْمِيسَ  
وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمَا نَبِيَّانِ عَظِيمَانِ وَأَنَّ أَغَاذِيْبُونَ أَقْدَمُ وَأَعْظَمُ وَأَنَّهُ كَانَ  
مُحْجًى إِلَيْهِمَا وَهُوَ يَحْوِي تَحْوَهُمَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَقَدْ وَسَّعْنَا الْقَوْلَ فِي  
الْمَسْئُولِ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ فَمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فَعَلَيْهِ بِهِ فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ  
مَنْصُورٌ عَلَى الْمَشَاهِدِ

وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عَزْمُنُ بْنُ يُوسُفَ لَمَّا اسْتَقَلَّ بَعْدَ أَبِيهِ سَوَّلَ لَهُ  
جَهْلُهُ أَصْحَابِيهِ أَنْ يَهْدِمَ هَذِهِ الْأَهْرَامَ. فَبَدَأَ بِالصَّغِيرِ الْآخَرِ وَهُوَ ثَالِثَةُ  
الْآثَانِي. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الْحَلِيَّةَ وَالنَّقَائِينَ وَالْحَجَارِينَ وَجَاعَةً مِنْ عُظْمَاءِ  
دَوْلَتِهِ وَأَمْرَاءِ مَمْلَكَتِهِ وَأَمْرُهُمْ يَهْدِمُهُ وَوَكَلَهُمْ بِخَرَائِهِ. فَحَبُّوا عَنْدَهَا  
وَحَشَرُوا عَلَيْهَا الرِّجَالَ وَالصَّنَاعَ وَوَقَرُوا عَلَيْهِمُ النَّفَقَاتِ وَأَقَامُوا نَحْوَ  
ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ يَحْتَلِمُهُمْ وَرَجَلُهُمْ يَهْدِمُونَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ بَدَلِ الْجَهْدِ  
وَأَسْتَفْرَاغِ الْوُسْعِ أَنْجَرَ وَالْحَجَرِينَ. فَقَوْمٌ مِنْ فَوْقَ يَدْفَعُونَهُ بِالْأَسَافِينِ  
وَالْأَمْخَالِ وَقَوْمٌ مِنْ أَسْفَلٍ يَجْذُبُونَهُ بِالْقُلُوسِ وَالْأَشْطَانِ فَإِذَا سَقَطَ  
سُمِعَ لَهُ وَجِبَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ حَتَّى تَرْجُفَ لَهُ الْجِبَالُ وَتَزَلْزَلَ  
الْأَرْضُ وَيَغُوضُ فِي الرَّمْلِ فَيَتَعَبُونَ تَعَبًا آخَرَ حَتَّى يُخْرِجُوهُ ثُمَّ يَضْرِبُونَ  
فِيهِ الْأَسَافِينَ بَعْدَ مَا يَنْتَبُونَ لَهَا مَوْضِعًا وَيَبْنِيُونَهَا فِيهِ فَيَنْقَطِعُ قِطْعًا  
فَتُسْحَبُ كُلُّ قِطْعَةٍ عَلَى الْعَجَلِ حَتَّى تُتْلَقَ فِي ذَيْلِ الْجَبَلِ وَهِيَ مَسَافَةٌ  
قَرِيبَةٌ. فَلَمَّا طَالَ ثَوَاؤُهُمْ وَنَفِدَتْ نَفَقَاتُهُمْ وَتَضَاعَفَ نَصَبُهُمْ وَوَهَتْ  
عَزَائِمُهُمْ وَخَارَتْ قُوَاهُمْ كَفُّوا مُحْسُورِينَ مَذْمُومِينَ لَمْ يَنَالُوا بَغْيَةً وَلَا

بَلَّغُوا غَايَةَ بَلِّ كَانَتْ غَايَتُهُمْ أَنْ شَوْهُوَ الْهَرَمَ وَأَبَانُوا عَنْ عَجْزٍ وَقَسَلٍ .  
وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّائِي  
لِحِجَارَةِ الْهَرَمِ يَظُنُّ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ اسْتَوْصِلَ فَإِذَا عَايَنَ الْهَرَمَ ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ  
يَهْدَمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنَّمَا جَانِبٌ مِنْهُ كُشِطَ بَعْضُهُ . وَحِينَ مَا شَاهَدْتُ الْمَشْفَةَ  
الَّتِي يَجِدُونَهَا فِي هَدْمِ كُلِّ حَجَرٍ سَأَلْتُ مُقَدِّمَ الْحَجَّارِيِّنَ فَقُلْتُ لَهُ لَوْ  
بُذِلَ لَكُمْ أَلْفُ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تَرُدُّوا حَجَرًا وَاحِدًا إِلَى مَكَانِهِ وَهَذَا هَلْ  
كَانَ يَتَمَكِّنُكُمْ ذَلِكَ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُمْ لَيَعْجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ  
بُذِلَ لَهُمْ أَضْعَافُهُ

وَيُزَادُ الْأَهْرَامَ مِنَ الصِّفَةِ الشَّرْقِيَّةِ مَغَايِرُ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ كَثِيرَةُ الْمَقْدَارِ  
عَمِيقَةُ الْأَغْوَارِ مُتَدَاخِلَةٌ . وَفِيهَا مَا هُوَ ذُو طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ وَتُسَمَّى الْمَدِينَةُ حَتَّى  
لَعَلَّ الْفَارِسَ يَدْخُلُهَا بِرُجُوعِهِ وَيَخْبُلُهَا يَوْمًا أَجْمَعَ وَلَا يَنْبَغُهَا لِكثَرَتِهَا وَسَعَتِهَا  
وَبُعْدِهَا وَيُظْهِرُ مِنْ حَالِهَا أَنَّهَا مَقَاطِعُ حِجَارَةِ الْأَهْرَامِ . وَأَمَّا مَقَاطِعُ حِجَارَةِ  
الصُّوَانِ الْأَحْمَرِ فَيُقَالُ إِنَّهَا بِالْقَلْزَمِ وَبِالسُّوَانِ

وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَهْرَامِ آثَارُ أُنْبِيَاءَ جَبَّارَةٍ وَمَغَايِرُ كَثِيرَةٌ مُتَفَنَّةٌ وَقَلَمَا تَرَى  
مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا وَتَرَى عَلَيْهِ كِتَابَاتٍ بِهَذَا الْقَلَمِ الْخُجُولِ

وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَهْرَامِ بِأَكْثَرِ مِنْ غُلُوفِ صُورَةِ رَأْسٍ وَعُغْبٍ بَارِزَةٍ مِنْ  
الْأَرْضِ فِي غَايَةِ الْعِظَمِ يُسَمِّيهِ النَّاسُ أَبَا الْهَوْلِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ جُسْنَهُ  
مَذْفُونَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَقْتَضِي الْقِيَاسُ أَنْ تَكُونَ جُسْنُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَأْسِهِ  
سَبْعِينَ خِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَفِي وَجْهِهِ خُرْقٌ وَدِهَانٌ أَحْمَرٌ يَلْمَعُ عَلَيْهِ رَوْنَقُ  
الطَّرَةِ وَهُوَ حَسَنُ الصُّورَةِ مَقْبُولُهَا عَلَيْهِ مَسْحَةٌ بِهَا وَجَالٌ كَأَنَّهُ يَضْحَكُ

تَبَسُّمًا. وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْفُضَلَاءِ مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ فَقُلْتُ تَنَاسُبُ وَجْهِ أَبِي  
 أَهْوَلُ فَإِنَّ أَعْضَاءَ وَجْهِهِ كَالْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالْأُذُنِ مُتَنَاسِبَةٌ كَمَا تَصْنَعُ  
 الطَّبِيعَةُ الصُّورَ مُتَنَاسِبَةً. فَإِنَّ أَنْفَ الْطِفْلِ مِثْلًا مُنَاسِبٌ لَهُ وَهُوَ حَسَنٌ  
 بِهِ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْأَنْفُ لِرَجُلٍ لَكَانَ مُشَوَّهًا بِهِ وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ  
 أَنْفُ الرَّجُلِ لِلصَّبِيِّ لَتَشَوَّهَتْ صُورَتُهُ وَعَلَى هَذَا سَائِرُ الْأَعْضَاءِ فَكُلُّ  
 غُضْوٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى مِقْدَارٍ وَهَيْئَةٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَعَلَى  
 نِسْبَتِهَا فَإِنَّ لَمْ تُوجَدْ الْمُنَاسَبَةُ تَشَوَّهَتْ الصُّورَةُ وَالْعَجَبُ مِنْ مُصَوِّرِهِ  
 كَيْفَ قَدَرَ أَنْ يَخْفِظَ نِظَامَ التَّنَاسُبِ فِي الْأَعْضَاءِ مَعَ عِظَمِهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ  
 فِي أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ مَا يُعْجِزُهَا وَيَقْصِرُهَا

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَثَارُ الَّذِي بَعَيْنِ شَمْسٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ يُشَاهِدُ سُورُهَا  
 مُحْدِقَاتٍ بِهَا مَهْدُومًا وَيُظْهَرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهُمَا قَدْ كَانَتْ بَيْتَ عِبَادَةٍ. وَفِيهَا مِنْ  
 الْأَصْنَامِ أَلْهَاتُهُ الْعَظِيمَةُ الشَّكْلِي مِنْ نَحْبِ الْمِحْجَارَةِ يَكُونُ طُولُ الصَّمِّ  
 زُهَاءً ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَأَعْضَاؤُهُ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ مِنَ الْعِظَمِ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ  
 هَذِهِ الْأَصْنَامِ قَائِمًا عَلَى قَوَاعِدَ وَبَعْضُهَا قَاعِدًا يُنْصَبَاتُ عَجِيبَةٍ وَإِنْقَانَاتٍ  
 مُحْكَمَةٍ وَبَابُ الْمَدِينَةِ مَوْجُودٌ إِلَى الْيَوْمِ. وَعَلَى مُعْظَمِ تِلْكَ الْمِحْجَارَةِ نَصَاوِيرُ  
 الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَكُنُوبَاتٌ كَثِيرَةٌ بِالْقَلَمِ الْجَهُولِ وَقَلَمًا  
 تَرَى حَجَرًا غَفْلًا مِنْ كِتَابَةٍ أَوْ نَفْسٍ أَوْ صُورَةٍ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْيَسْلَتَانِ  
 الْمَشْهُورَتَانِ وَتُسَمَّيَانِ مِسْلَتِي فِرْعَوْنَ وَصَفَةُ الْيَسْلَةِ أَنَّ قَاعِدَةَ مُرَبَّعَةً طُولُهَا  
 عَشْرُ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا عَرْضًا فِي نَحْوِهَا سِتْمَا قَدْ وُضِعَتْ عَلَى أَسَاسٍ ثَابِتٍ  
 فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أُقِيمَ عَلَيْهَا عِمْدٌ مُرَبَّعٌ مَخْرُوطٌ يَنْبَغِي طُولُهُ عَلَى مِائَةِ ذِرَاعٍ

يَبْدِي بَيْنَ قَاعَيْهِ لَعْلٌ فَطَرَهَا خَمْسُ أَذْرُعٍ وَيَنْتَبِي إِلَى نَقْطَةٍ وَقَدْ لَيْسَ  
رَأْسُهَا بِفَلَنْسُورَةٍ نَحَاسٍ إِلَى نَحْوِ ثَلَاثِ أَذْرُعٍ مِنْهَا كَالْفِهْرِ . وَقَدْ تَزَجَّرَ  
بِالْمَطَرِ وَلَعُولِ الْمَدَى وَأَخْضَرَ وَسَالَ مِنْ خُضْرَتِهِ عَلَى بَسِيطِ الْمَسَلَةِ .  
وَالْمَسَلَةُ كُلُّهَا عَلَيْهَا كِتَابَاتٌ بِذَلِكَ الْقَلَمِ وَرَأَيْتُ إِحْدَى الْمَسَلَتَيْنِ  
وَقَدْ خَرَّتْ وَأَنْصَدَعَتْ مِنْ نِصْفِهَا لِعَظْمِ الثَّقَلِ وَأَخَذَ الثُّخَاسُ مِنْ رَأْسِهَا .  
ثُمَّ لَوَّ حَوْلَهَا مِنَ الْمَسَالِ شَيْئًا كَثِيرًا لَا يَحْصِي عَدْدُهَا وَمَقَادِيرُهَا عَلَى نِصْفِ  
تِلْكَ الْعُظْمَى أَوْ ثُلَاثِهَا وَقَلَمًا تَجِدُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِ الصِّغَارِ مَا هُوَ قِطْعَةٌ  
وَاحِدَةٌ بَلْ فُصُوصٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَقَدْ تَهَدَّمَتْ أَكْثَرُهَا وَإِنَّمَا بَقِيََتْ  
قَوَاعِدُهَا . وَرَأَيْتُ يَا لِسُكَنْدَرِيَّةِ مَسَلَتَيْنِ عَلَى سَيْفِ الْبَحْرِ فِي وَسْطِ  
الْعِارَةِ أَكْبَرَ مِنْ هَذِهِ الصِّغَارِ وَأَصْغَرَ مِنَ الْعُظْمَتَيْنِ

وَأَمَّا الْبَرَابِيُّ بِالصَّعِيدِ فَالْحِكَايَاتُ عَنْ عِظَمِهَا وَإِنْفَانِ صَنَعِهَا وَأَحْكَامِ  
صُورِهَا وَتَجَاوِبِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْكَالِ وَالنُّقُوشِ وَالنَّصَاوِيرِ وَالْمُخْطُوطِ  
مَعَ إِحْكَامِ الْبِنَاءِ وَجَفَاءِ الْأَلَاتِ وَالْأَحْجَارِ مِمَّا يَفُوتُ الْحُضَرَ وَهِيَ مِنْ  
الشَّهْرِ بِحَيْثُ نَغْنِي عَنْ الْإِطَالَةِ فِي الصِّفَةِ

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَثَارُ الَّذِي يَهْضُرُ الْقَدِيمَةَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ بِالْمَجِيئَةِ فُوقَ  
الْفُسْطَاطِ وَهِيَ مَنْفُ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُهَا الْفَرَاعِنَةُ وَكَانَتْ مُسْتَقَرًّا مَبْلُكَ  
مُلُوكِ مِصْرَ

فَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَعَ سَعْنِهَا وَتَقَادُومِ عَهْدِهَا وَتَدَاوُلِ الْهَلَالِ عَلَيْهَا وَأَسْنِثْصَالِ  
الْأَمْرِ إِيَّاهَا مِنْ تَغْيِيَةِ أَثَارِهَا وَمَحْوِ رُسُومِهَا وَنَقْلِ حِجَارَتِهَا وَأَلَاتِهَا  
وَأَفْسَادِ أَسْنِنَتِهَا وَتَشْوِيهِ صُورِهَا مُضَافًا إِلَى مَا قَعَلْتُهُ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَلْفِ

سَنَةٍ فَصَاعِدًا يَجِدُ فِيهَا مِنْ الْعَجَائِبِ مَا يَفُوتُ قَهْمَ الْفَطَنِ الْمُنَامِلِ وَيَحْصُرُ  
 دُونَ وَصْفِهِ الْبَلِيغُ اللَّسِنُ وَكُلُّمَا زِدْتَهُ تَأْمَلًا زَادَكَ عَجِبًا وَكُلُّمَا زِدْتَهُ  
 نَظْرًا زَادَكَ طَرَبًا وَمَهْمَا اسْتَنْبَطْتَ مِنْهُ مَعْنَى أَنْبَاكَ بِهَا هُوَ أَغْرَبُ وَمَهْمَا  
 اسْتَنْزَلْتَ مِنْهُ عِلْمًا ذَلِكَ عَلَى أَنْ وَرَأَاهُمَا هُوَ أَعْظَمُ

فَمِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُسَمَّى بِالْبَيْتِ الْأَخْضَرِ وَهُوَ حَجَرٌ وَاحِدٌ تَسَعُ  
 أَذْرُعُ أَرْتِقَاعًا فِي ثَمَانِ طُولًا فِي سَبْعِ عَرْضًا قَدْ خُفِرَ فِي وَسْطِهِ بَيْتٌ قَدْ  
 جُعِلَ سَمَكُ حِطَانِهِ وَسَفْنَاهُ وَأَرْضِيهِ ذِرَاعَيْنِ ذِرَاعَيْنِ وَالْبَاقِي فُضَاءٌ  
 الْبَيْتِ وَجَمِيعُهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَنُوشٌ وَمُصَوَّرٌ وَمَكْتُوبٌ بِالْقَلَمِ الْقَدِيمِ  
 وَعَلَى ظَاهِرِهِ صُورَةُ الشَّمْسِ بِمَا يَلِي مَطْلِعَهَا وَصُورٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكَوَاكِبِ  
 وَالْأَفْلَاقِ وَصُورُ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النُّصَبَاتِ وَالْهَيْئَاتِ  
 فَمِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَمَاشٍ وَمَازٍ رَجْلِيهِ وَصَافِيهَا وَمُسْتَشِيرٌ (مُشِيرٌ) لِلْخِدْمَةِ  
 وَحَامِلٌ آلَاتٍ وَالْمُشِيرُ بِهَا. يُنْبِئُ ظَاهِرُ الْأَمْرِ أَنَّهُ قُصِدَ بِذَلِكَ مُحَاكَاةُ  
 أُمُورٍ جَلِيلَةٍ وَأَعْمَالٍ شَرِيفَةٍ وَهَيئَاتٍ فَاضِلَةٍ وَإِشَارَاتٍ إِلَى أَسْرَارٍ غَامِضَةٍ  
 وَأَنَّهَا لَمْ تُتَّخَذْ عَبَثًا وَلَمْ يُسْتَفْرَغْ فِي صَنْعَتِهَا الْوُسْعُ لِجُرْدِ الزَّيْنَةِ وَالْحُسْنِ .  
 وَقَدْ كَانَ هَذَا الْبَيْتُ مُمَكَّنًا عَلَى قَوَاعِدٍ مِنْ حِجَارَةِ الصُّوَانِ الْعَظِيمَةِ الْوُثْقَةِ  
 فَخَفَرَتْ تَحْتَهَا الْجُهْلَةُ وَالْحَقْفَى طَبْعًا فِي الْمَطَالِبِ فَتَغَيَّرَ وَضْعُهُ وَفَسَدَ هَيْئَتُهُ  
 وَاخْتَلَفَ مَرَكُزُ ثِقَلِهِ وَثَقَلَ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَتَصَدَّعَ صُدُوعًا لَطِيفَةً  
 بَسِيرَةً . وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ كَانَ فِي هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ مَبْنِيٍّ بِحِجَارَةِ عَائِيَةٍ جَافِيَةٍ  
 عَلَى أَتَقَنِ هَنْدَامٍ وَأَحْكَمِ صَنْعَةٍ وَفِيهَا قَوَاعِدُ عَلَى عُيُدٍ عَظِيمَةٍ وَحِجَارَةُ  
 الْأَهْذَمِ مُتَوَاصِلَةٌ فِي جَمِيعِ أَفْطَارِ هَذَا الْخَرَابِ . وَقَدْ بَنِيَ فِي بَعْضِهَا حِطَانٌ

مَا لَيْلَةُ يَتْلُوكَ الْحَجَارَةَ الْجَافِيَةَ . وَفِي بَعْضِهَا أَسَاسٌ وَفِي بَعْضِهَا أَطْلَالٌ  
وَرَأَيْتُ عِنْدَ بَابِ شَاهِقًا رُكْنَاهُ حَجَرَانِ فَنَطَّ وَأَزْجَاهُ حَجَرٌ وَاحِدٌ قَدْ سَفَطَ  
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَجِدُ هَذِهِ الْحَجَارَةَ مَعَ الْهَنْدَامِ الْحَكْمِ وَالْوَضْعِ الْهَنْتَنِ قَدْ حُفِرَ  
بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ مِنْهَا نَحْوُ شِبْرٍ فِي أَرْتِفَاعٍ أَصْبَعَيْنِ وَفِيهِ صَدَاةُ الْخَنَاسِ  
وَزَجَرَتُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ قُبُورُ الْحَجَارَةِ الْيَنَاءِ وَتَوْثِيقُ لَهَا وَرِبَاطَاتُ  
بَيْنَهَا بِأَنَّ يُجْعَلَ بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِ الرِّصَاصُ وَقَدْ تَنَبَّعَهَا  
الْأَنْدَالُ وَالْهَدُودُونَ فَفَعَلُوا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَسَرُوا لِاجْلِلِهَا كَثِيرًا  
مِنَ الْحَجَارَةِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَيْهَا وَلَعَمْرِ اللَّهِ لَقَدْ بَذَلُوا الْجُهْدَ فِي اسْتِخْلَاصِهَا  
وَأَبَانُوا عَنْ تَهَكُّنٍ مِنَ اللَّؤْمِ وَتَوَعُّلٍ فِي التَّحْسَاسَةِ

وَأَمَّا الْأَصْنَامُ وَكَثْرَةُ عَدْدِهَا وَعِظَمُ صُورِهَا فَأَمْرٌ يَفُوتُ الْوُصْفَ  
وَيَجَاوِزُ التَّنْقِيدَ . وَأَمَّا إِنْتَانُ أَشْكَالِهَا وَأَحْكَامُ هَيْئَتِهَا وَالْحَاكَاةُ بِهَا  
الْأُمُورَ الطَّبِيعِيَّةَ فَمَوْضِعُ التَّعَجُّبِ بِالْخَفِيَّةِ . فَبَيْنَ ذَلِكَ صَمٌّ ذَرَعَانَهُ  
سَوَى قَاعِدَتِهِ فَكَانَ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَكَانَ مَدَاهُ مِنْ جِهَةِ الْيَسِينِ إِلَى  
الْبَسَارِ نَحْوَ عَشْرِ أَذْرُعَ . وَمِنْ جِهَةِ الْخُلْفِ إِلَى الْأَمَامِ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ  
وَهُوَ حَجَرٌ وَاحِدٌ مِنَ الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ وَعَلَيْهِ مِنَ الدِّهَانِ الْأَحْمَرِ كَأَنَّهُ لَمْ  
يَزِدْهُ تَقَادُمُ الْأَيَّامِ إِلَّا جِدَّةً . وَالتَّعَجُّبُ كُلُّ التَّعَجُّبِ كَيْفَ حِفْظَ فِيهِ مَعَ  
عِظَمِهِ النِّظَامُ الطَّبِيعِيُّ وَالتَّنَاسُبُ الْخَفِيَّةُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ  
الْأَعْضَاءِ الْآلِيَةِ الْمُنَشَابَةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ مِقْدَارٌ مَا وَلَهُ إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ  
نِسْبَةٌ مَا بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ وَبِتِلْكَ النِّسْبَةِ يَحْصُلُ حُسْنُ الْهَيْئَةِ وَمَلَاحَةُ  
الصُّورَةِ فَإِنْ أَخْلَلَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَدَثَ مِنْ أَنْ تَنْجِبَ مِقْدَارُ الْخُلَلِ :



وَقَدْ أَحْكَمَ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ هَذَا النِّظَامُ إِحْكَامًا أَسْبَغَ إِحْكَامًا فَمِنْ ذَلِكَ  
مَقَادِيرُ الْأَعْضَاءِ فِي نَفْسِهَا ثُمَّ نَسَبُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ  
وَرَأَيْتُ أَسَدَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ بَيْنَهُمَا أَمَدٌ قَرِيبٌ وَصُورُهُمَا هَائِلَةٌ جِدًّا وَقَدْ  
حُفِظَ فِيهَا النِّظَامُ الطَّبِيعِيُّ وَالتَّنَاسُبُ الْحَيَوَانِيُّ مَعَ كَوْنِهَا أَكْثَمَ جَنَّةٍ مِنَ  
الْحَيَوَانِ الْخَفِيِّ جِدًّا وَقَدْ تَكَسَّرَ أَوْرُدِيمَا بِالْأَرَابِ وَوَجَدْنَا مِنْ سُورِ  
الْمَدِينَةِ قِطْعَةً صَالِحَةً مَبْنِيَّةً بِأَمْحَارَةِ الصُّغَارِ وَالطُّوبِ وَهَذَا الطُّوبُ  
كَبِيرٌ جَانِبُ مُطَاوِلِ الشَّكْلِ وَمِقْدَارُهُ نِصْفُ الْأَجْرِ الْكُسْرِيِّ بِالْعِرَاقِ  
كَأَنَّ طُوبَ مِصْرَ الْيَوْمِ نِصْفُ أَجْرِ الْعِرَاقِ الْيَوْمِ أَيْضًا  
(ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ) يَحْدُون نَوَافِسَ تَحْتَ الْأَرْضِ فَمِيسَمَةُ الْأَرْجَاءِ مُحْكَمَةٌ  
الْبِنَاءِ وَفِيهَا مِنْ مَوْتَى الْقَدَمَاءِ أَكْثَرُ الْعَفِيرِ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ قَدْ لَفُوا بِأَكْفَانٍ  
مِنْ ثِيَابِ الْقَنْبِ لَعَلَّهُ يَكُونُ عَلَى الْمَيِّتِ مِنْهَا زُهَاءٌ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَقَدْ كُنِيَ  
كُلُّ عِضْوٍ عَلَى أَنْفَرَادِهِ كَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْأَصَابِعِ فِي فُطَيْ دُقَاقٍ ثُمَّ  
بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثُ جَنَّةٍ الْمَيِّتِ جُمْلَةً حَتَّى يَرْجِعَ كَأَنَّهُمْ الْعَظِيمُ وَمَنْ كَانَ  
يَتَّبِعُ هَذِهِ النَّوَافِسَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الرِّيفِ وَغَيْرِهِمْ يَأْخُذُ هَذِهِ  
الْأَكْفَانَ فَمَا وَجَدَ فِيهِ تَمَاسُكًا أَخَذَ ثِيَابًا أَوْ بَاعَهُ لِلرُّوَافِقِ يَعْمَلُونَ مِنْهُ  
وَرَقَّ الْعُطَارِينَ . وَيُوجَدُ بَعْضُ مَوْتَاهُمْ فِي نَوَافِسَ مِنْ خَشَبِ جَبِينِ  
نَجْدِينَ وَيُوجَدُ بَعْضُهُمْ فِي نَوَافِسَ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ رَحَامٍ أَوْ مَا صَوَّرَ وَبَعْضُهُمْ  
فِي أَرْبَابٍ مَمْلُوءَةٍ عَسَلًا . وَخَبَرَنِي الثُّغَةُ أَنَّهُمْ بَيْنَا كَانُوا يَتَفَقَّهُونَ الْمُطَالِبَ  
عِنْدَ الْأَهْرَامِ صَادِقُوا دَنَّا مَخْتُومًا فَفَضُّهُ فَإِذَا فِيهِ عَسَلٌ فَكُلُّوا مِنْهُ فَعَلِقَ  
فِي أَصْبَعِ أَحَدِهِمْ شَعْرَةً فَجَذَبَهُ فَظَهَرَ لَهُ صَبِيٌّ صَغِيرٌ مُتَمَاسِكُ الْأَعْضَاءِ

رَطَبُ الْبَدَنِ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْجَوْهَرِ. وَهُوَ لَا الْمَوْتَى قَدْ يُوجَدُ عَلَى  
جِبَاهِهِمْ وَعُيُونِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَرَقٌّ مِنَ الذَّهَبِ كَالْفِشْرِ. وَرُبَّمَا وَجَدَ فِشْرٌ  
مِنَ الذَّهَبِ عَلَى جَمِيعِ الْمَيِّتِ كَالْغِشَاءِ وَرُبَّمَا وَجَدَ عِنْدَ شَيْءٍ مِنَ الذَّهَبِ  
وَالْحُلِيِّ وَالْجَوْهَرِ وَرُبَّمَا وَجَدَ عِنْدَ آتَةٍ الْيَاسْرِ كَانَ بَزَائِلُهَا فِي حَبَانِهِ.  
وَأَخْبَرَنِي الْفَقْهَ أَنَّهُ وَجَدَ عِنْدَ مَيِّتٍ مِنْهُمْ آتَةَ الْهَرَمِ يَسْنًا وَمُوسَى وَعِنْدَ  
آخِرِ آتَةِ الْحَجَامِ وَعِنْدَ آخِرِ آتَةِ الْحَائِكِ وَيَظْهَرُ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ  
مِنْ سُنَّتِهِمْ أَنْ يَذْفُقُوا مَعَ الرَّجُلِ آتَهُ وَمَا لَهُ. وَسَمِعْتُ أَنَّ طَوَائِفَ مِنَ  
الْحَبَشَةِ هَذِهِ سُنَّتُهُمْ وَيَتَطَيَّرُونَ بِبَتَاعِ الْمَيِّتِ إِنْ يَمْسُوهُ أَوْ يَتَصَرَّفُوا فِيهِ  
وَقَدْ كَانَ مِنْ سُنَّتِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ يُجْعَلُ مَعَ الْمَيِّتِ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ.  
فَخَبَّرَنِي بَعْضُ قُضَاةِ بُوَيْصِرٍ وَهِيَ مُحَاوِرَةٌ مَدَافِيمُ أَنَّهُمْ نَبَشُوا ثَلَاثَةَ أَفْقَرٍ  
فَوَجَدُوا عَلَى كُلِّ مَيِّتٍ فِشْرًا رَقِيقًا مِنَ الذَّهَبِ لَا يَكَادُ يُجْنَعُ وَفِي فِيهِ  
سَيِّكَةٌ مِنَ الذَّهَبِ فَجَمَعَ السَّبَائِكُ الثَّلَاثَةَ فَكَانَ زَوْنُهَا تِسْعَةُ مَقَابِلَ  
وَالْحِكَايَاتُ فِي ذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَحْصُرَهَا هَذَا الْكِتَابُ  
وَأَمَّا مَا يُوجَدُ فِي أَجْوَادِهِمْ وَأَذْيَعُهُمْ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ مُوْمِيَا  
فَكَبِيرٌ جَدًّا يَحْلِبُهُ أَهْلُ الرِّيفِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَيُبَاغُ بِالشَّيْءِ النَّزْرِ وَلَقَدْ  
أَشْرَيْتُ ثَلَاثَةَ أَرْؤُسٍ مَمْلُوءَةٍ مِنْهُ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ مِصْرِيِّ وَأَرَانِي بِأَتْعَهُ  
جُودًا مَمْلُوءًا مِنْ ذَلِكَ. وَكَانَ فِيهِ الصَّدْرُ وَالْبَطْنُ وَحَشْوُهُ مِنْ هَذَا  
الْمُومِيَا وَرَأَيْتُهُ قَدْ دَاخَلَ الْعِظَامَ وَتَشَرَّبَتْهُ وَسَرَى فِيهَا حَتَّى صَارَتْ  
كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْهُ وَرَأَيْتُ أَبْضَا عَلَى فَخْفِ الرَّأْسِ أَثَرُ ثَوْبٍ الْكُفَنِ وَأَثَرُ  
النِّسَاجَةِ قَدْ انْتَقَشَ فِيهِ كَمَا يَرْتَمِ عَلَى الشَّمْعِ إِذَا خَمَّتْ بِهِ عَلَى ثَوْبٍ

وَهَذَا الْمُومِيَا هُوَ أَسْوَدُ كَالْقَرِ وَرَأَيْتُهُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ حَرُّ الصَّيْفِ  
يَجْرِي وَيَلْصِقُ بِهَا يَدُ نَوْمِهِ وَإِذَا طَرِحَ عَلَى الْجَمْرِ عَلَى وَدَّخَنَ وَشَبَّتَ  
مِنْهُ رَائِحَةُ الْقَرِ أَوْ الزَّفْتِ وَالْغَالِبُ أَنَّهُ زَفْتٌ وَمَرَّةً وَأَمَّا الْمُومِيَا بِالتَّحْقِيقَةِ  
فَشَيْءٌ يَخْدِرُ مِنْ رُؤُسِ الْجِبَالِ مَعَ الْبَيَاهِ ثُمَّ يَجْعَدُ كَالْقَارِ وَيَفُوحُ مِنْهُ  
رَائِحَةُ زَفْتٍ مَخْلُوطٍ بِقَرٍ. وَقَالَ جَالِينُوسُ الْمُومِيَا يَخْرُجُ مِنَ الْعُيُونِ  
كَالْقَارِ وَالنَّفْطِ. وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ صَنْفٌ مِنَ الْقَارِ وَيُسَمَّى حَبْصَ الْجِبَالِ  
وَهَذَا الَّذِي يُوجَدُ فِي تَجَاوِيفِ الْمَوْتَى يَبْصُرُ لَا يَبْعُدُ عَنْ طِبَاعِ الْمُومِيَا  
وَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ بِدَلَالَةٍ إِذَا تَعَدَّسَ

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يُوجَدُ فِي مَدَائِنِهِمْ أَصْنَافُ الْخُيَّوَانِ مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ  
وَالْحَشَرَاتِ وَقَدْ كُنِيَ الْوَاحِدُ مِنْهَا فِي كَذَا كَذَا ثَوْبًا وَهُوَ مُخْنَطٌ عَلَيْهِ  
مُخْنَفٌ بِهِ. وَخَبَّرَنِي الثَّقَفَةُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا يَتَنَاخَتُ الْأَرْضُ مُحْكَمًا فَفَتَحُوهُ  
فَوَجَدُوا فِيهِ لَفَائِفَ ثِيَابِ الْقَبْرِ وَقَدْ تَبَعَّطَتْ فَأَزَالُهَا مَعَ كَثَرَتِهَا  
فَوَجَدُوا تَحْتَهَا عِجَالًا صَحِيحًا قَدْ أَحْكَمُ تَقْبِيطُهُ. وَحَدَّثَنِي آخَرُهُمْ وَجَدُوا  
صَفْرًا فَفَتَحُوا عَنْهُ مِنْ لَفَائِفِ الثِّيَابِ حَتَّى عَيُوا فَوَجَدُوهُ لَمْ تَسْفُطْ مِنْهُ  
رِبْشَةٌ. وَحَكِي لِي مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ هَرِيرٍ وَعَنْ عُصْفُورٍ وَعَنْ خُنْفَسَاءَ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مَا يَطُولُ شَرْحُهُ وَيَفْجَأُ ذِكْرُهُ

وَحَكِي لِي أَيْضًا الْأَمِيرُ الصَّادِقُ أَنَّهُ كَانَ يَفُوصَ فَجَاءَ إِلَيْهِ مَنْ يَبْعَثُ  
عَنِ الْمَطَالِبِ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُمْ انْخَسَفَتْ بِهِمْ هُوَّةٌ مُوَهَّجَةٌ أَنَّ فِيهَا دَفِينًا  
فَخَرَجَ مَعَهُمْ بِجَمَاعَةٍ مُتَسَلِّحِينَ وَحَفَرُوا فَوَجَدُوا زَبْرًا كَبِيرًا مُوْتَقًى الرَّأْسِ  
بِالتَّحْصِ فَفَتَحُوهُ بَعْدَ التَّجَهُّدِ فَوَجَدُوا فِيهِ كَالْأَصَابِعِ مُكَمَّنَةً يَخْرُقُ فَحَلَّوْهَا

فَوَجَدُوا نَحْتَهَا صَيْدًا وَهُوَ سَمَكٌ صِغَارٌ وَصَارَ كَالْهَبَاءِ إِذَا نُفِخَ طَارَ فَنَقَلُوا  
الزَّيْرَ إِلَى مَدِينَةِ فُوصَ بَيْنَ بَدَيْهِ الْوَالِي وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَحْوُ مِائَةِ رَجُلٍ  
فَحَلُّوا الْجَمِيعَ حَتَّى أَتَوْا عَلَى آخِرِهِ وَهُوَ كُلُّهُ صَيْدٌ مُكَنَّيٌّ لَيْسَ فِيهِ سِوَى ذَلِكَ  
وَرَأَيْتُ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَدَائِنِهِمْ يَبُوصِدَرِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُفِي بِهِ  
هَذَا الْكِتَابُ. فَمِنْ ذَلِكَ أَنِّي وَجَدْتُ فِي هَذِهِ الْمَدَائِنِ مَغَايِرَ تَحْتَ الْأَرْضِ  
مَبْنِيَّةٌ بِإِثْنَيْنِ وَفِيهَا رِمَمٌ مُكَنَّيٌّ فِي كُلِّ مَغَارَةٍ عَدَدٌ لَا يُحْصَى. وَمِنْ الْمَغَايِرِ  
مَا هُوَ مَسْلُوكٌ بِرِمَمِ الْكِلَابِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مَسْلُوكٌ بِرِمَمِ الْبَقَرِ وَمِنْهَا مَا فِيهِ رِمَمٌ  
السَّنَائِيرِ وَالْجَمِيعُ مُكَنَّيٌّ يَخْرُقُ الْقَنْبَ. وَرَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ عِظَامِ بَنِي آدَمَ  
وَقَدْ تَمَشَّقَ حَتَّى صَارَ كَاللِّبَنِ الْأَبْيَضِ لِقَدَمِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَكَثُرَ الرِّمَمُ  
الَّتِي رَأَيْتُهَا صَلِيَةً مُنَاسِكَةً جِدًّا بَظَهَرُ مِنْ عَلَيْهَا الطَّرَافَةُ أَكْثَرُ مِنْ رِمَمِ  
أَهْلِ لَيْكِنَ سَنَةِ سَعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ الْآتِي ذِكْرُهَا آخِرَ كِتَابِنَا هَذَا  
وَلَا سِيَّمًا مَا كَانَ مِنَ الرِّمَمِ الْقَدِيمَةِ قَدْ أَنْصَبَ بِالزَّرْفِ أَوْ الْقَطْرَانِ فَإِنَّكَ  
تَجِدُهَا فِي لَوْنِ الْحَدِيدِ وَصَلَاتِهِ وَرَزَانَتِهِ. وَرَأَيْتُ مِنْ جَاوِمِ الْبَقَرِ مَا شَاءَ  
اللَّهُ وَكَذَلِكَ جَاوِمِ الْغَنَمِ وَفَرَّقْتُ بَيْنَ رُؤُسِ الْمَعَزِ وَالضَّأْنِ وَبَيْنَ  
رُؤُسِ الْبَقَرِ وَالْثِيرَانِ وَوَجَدْتُ لَحْمَ الْبَقَرِ قَدْ اتَّصَقَ بِالْأَكْفَانِ حَتَّى  
صَارَ قُطْعَةً وَاحِدَةً حَمْرًا تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ وَيَخْرُجُ الْعَظْمُ مِنْ نَحْتِهَا  
أَبْيَضَ يَبْقَى وَبَعْضُ الْعِظَامِ أَحْمَرُ وَبَعْضُهَا أَسْوَدُ وَكَذَلِكَ فِي عِظَامِ  
الْأَدَمِيِّ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَكْفَانَ كَانَتْ تُبَلُّ بِالصَّيْرِ وَالْقَطْرَانِ وَتُشْرَبُ  
بِهِ ثُمَّ يَكْنَفُ بِهَا فَلِذَلِكَ بَصُغُ اللَّحْمِ وَبَيْقُهُ وَمَا نَالَ مِنْهَا الْعَظْمُ صَبَغَهُ  
فَأَحْمَرُ وَأَسْوَدُ. وَوَجَدْتُ فِي عِيَةِ مَوَاضِعَ نِلَالًا مِنْ رِمَمِ الْكِلَابِ لَعَلَّهُ

يَكُونُ فِي جُمْلَتِهَا مِائَةُ أَلْفِ رَأْسٍ كَلْبٍ أَوْ يَزِيدُ وَذَلِكَ مَا يُبِيرُ الْبَاحِثُونَ  
عَنِ الْمَطَالِبِ فَإِنَّ جَمَاعَةً يَجْعَلُونَ مَكَاسِبَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْقُبُورِ وَأَخِذُوا مَا سَخَّ لَكُمْ  
مِنَ الْحَشَبِ وَالْخَرَقِ وَغَيْرِهِ . وَاسْتَفْرِثُ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ الْمُمْكِنَةِ فَلَمْ أَجِدْ  
فِيهَا رَأْسَ فَرَسٍ وَلَا جَمَلٍ وَلَا حَارٍ فَبَقِيَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي فَسَأَلْتُ مَشَايِخَ  
بُوصِيرَ فَبَادَرُوا إِلَى إِخْبَارِي بِأَنَّهُمْ قَدْ تَقَدَّسَتْ فِكْرَتُهُمْ فِي ذَلِكَ  
وَاسْتَفَرَّأُوهُمْ إِيَّاهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ . وَكَثُرَ تَوَائِينُهُمْ مِنْ خَشَبِ الْجُمَيْرِ وَفِيهِ  
الْقَوِيُّ الصَّلْبُ وَمِنْهُ مَا صَارَ فِي دَرَجَةِ الرَّمَادِ . وَخَبَّرَنِي فُضَاءُ بُوصِيرَ  
بِجَائِبِ مِنْهَا أَنَّهُمْ وَجَدُوا نَاوُوسًا مِنْ حَجَرٍ فَفَضُّوهُ فَأَلْفَوْا فِيهِ نَاوُوسًا  
فَفَضُّوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ تَابُوتًا فَفَتَحُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ سَحَابَةً وَهِيَ سَامٌ أَبْرَصَ  
مُكَفَّنَةً مُحْنَاطًا عَلَيْهَا مَعْنِيًا بِهَا . وَوَجَدْنَا عِنْدَ بُوصِيرَ أَهْرَامًا كَثِيرَةً مِنْهَا  
هَرَمٌ قَدْ أَنهَدَمَ وَبَقِيَ قَلْبُهُ فَنَسْنَاهُ مِنْ مَبْدَأِ آسَاسِهِ فَوَجَدْنَاهُ لَا يَتَفَاصَرُ عَنْ  
هَرَمِي الْجَبِينَةِ وَجَمِيعُ مَا حَكَبْنَاهُ مِنْ أَحْوَالِ مَدَائِنِهِمْ يُبُوصِيرَ يُوجَدُ نَحْوُهُ  
وَأَمْثَالُهُ بِعَيْنِ شَمْسٍ وَبِالْبَرَّاءِ وَبِغَيْرِهَا



## الفصل الخامس

فِيمَا شُوهِدَ بِهِمَا مِنْ غَرَائِبِ الْأَيْنِيَةِ وَالسُّفَنِ

وَأَمَّا أَيْنِيَتُهُمْ فَبَيْنَهَا هَنْدَسَةٌ بَارِعَةٌ وَتَرْتِيبٌ فِي الْغَايَةِ حَتَّى أَنَّهُمْ قَلَمًا يَنْزُكُونَ مَكَانًا غَفَلًا خَالِيًا عَنْ مَضَلَّةٍ وَدُورُهُمْ أَفْنَجٌ وَغَالِبُ سُكْنَاهُمْ فِي الْأَعَالِي وَيَجْعَلُونَ مَنَافِذَ مَنَازِلِهِمْ تِلْقَاءَ الشَّمَالِ وَالرِّيَّاحِ الطَّيِّبَةِ وَقَلَمًا يَجِدُ مَزَلًا إِلَّا وَفِيهِ بَادَا هَنْجٌ وَبَادَا هَنْجَاتُهُمْ كِبَارٌ وَاسِعَةٌ لِلرَّيْحِ عَلَيْهَا تَسْلُطُ وَيُحْكِمُونَهَا غَايَةَ الْإِحْكَامِ حَتَّى أَنَّهُ يُغْرَمُ عَلَى عَارَةِ الْوَاحِدِ مِنْهَا مِائَةُ دِينَارٍ إِلَى خَمْسِ مِائَةٍ وَإِنْ كَانَتْ بَادَا هَنْجَاتُ الْمَنَازِلِ الصِّغَارِ يُغْرَمُ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهَا دِينَارٌ. وَأَسْوَأُهُمْ وَشَوَارِعُهُمْ وَاسِعَةٌ وَأَيْنِيَتُهُمْ شَاهِقَةٌ وَيَسُونُ بِالْحَجَرِ النَّجِيبِ وَالطُّوبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ الْأَجْرُ وَشَكْلُ طُوبِهِمْ عَلَى نِصْفِ طُوبِ

الْعِرَاقِ

وَيُحْكِمُونَ قَنَوَاتِ الْمَرَاجِضِ حَتَّى أَنَّهُ تَخَرَّبُ الدَّارُ وَالْقَنَاءُ قَائِمَةٌ وَيَحْفَرُونَ الْكَتْفَ إِلَى الْمَعِينِ فَيَغْبِرُ عَلَيْهَا بُرْهَةٌ مِنَ الدَّهْرِ طَوِيلَةٌ وَلَا يَنْتَفِرُ إِلَى كَنْعٍ

وَأَمَّا سُفْنُهُمْ فَكَثِيرَةٌ الْأَصْنَافِ وَالْأَشْكَالِ وَأَغْرَبُ مَا رَأَيْتُ فِيهَا مَرْكَبٌ يُسَمُّونَهُ الْعُشَيْرَى شَكْلُهُ شَكْلُ شِبَارَةٍ دِجَلَةٍ إِلَّا أَنَّهُ أَوْسَعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ وَأَطْوَلُ وَأَحْسَنُ هَنْدَامًا وَشَكْلًا قَدْ سُوِّجَ بِالْوَجْهِ خَشَبٌ يُخَيِّنُهُ مُحْكَمُهُ وَأُخْرِجَ مِنْهَا أَفَارِيزُ كَالرُّوَاثِينَ نَجْوَى ذِرَاعَيْنِ وَبَنِي فَوْقَ هَذَا السَّطْحِ بَيْتٌ مِنْ خَشَبٍ وَعُقِدَ عَلَيْهِ قُبَّةٌ وَفُتِحَ لَهُ طَاقَاتٌ وَرَوَازِينُ بِأَبْوَابٍ إِلَى الْبَحْرِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا ثُمَّ تَعْمَلُ فِي هَذَا الْبَيْتِ خِزَانَةٌ مُفْرَدَةٌ وَمِرْحَاضٌ

ثُمَّ يَزُوقُ بِأَصْنَافِ الْأَصْبَاغِ وَيَذْهَبُ وَيَذْهَبُ بِأَخْسَنِ دِهَانٍ . وَهَذَا  
يُخَذُّ لِلْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ يُحْبَتُ بِكُونِ الرَّئِيسِ جَالِسًا فِي وَسَادَتِهِ وَخَوَاصِهِ  
حَوْلَهُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْمَالِكُ فَيَأْمُرُ بِالْمَنَاطِقِ وَالسُّبُوفِ عَلَى تِلْكَ الرُّوَاشِ  
وَأَطْعِمَهُمْ وَحَوَائِجَهُمْ فِي قَعْرِ الْمَرْكَبِ وَالْمَلَأُونِ تَحْتَ السُّطْحِ أَيْضًا وَفِي  
بَاقِي الْمَرْكَبِ يَقْدِفُونَ بِهِ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِ الرُّكَّابِ وَلَا  
الرُّكَّابُ بِشُغْلِ خَوَاطِرِهِمْ بَلْ كُلُّ فَرِيقٍ يَهْزُلُ عَنِ الْآخِرِ وَمَشْغُولٌ  
بِمَا هُوَ بِصَدِيدِهِ وَإِذَا أَرَادَ الرَّئِيسُ الْأَخْلَاءَ بِنَفْسِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ دَخَلَ  
الْمُخَدَّعَ وَإِذَا أَرَادَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ دَخَلَ الْبِرْحَاضَ

وَالْمَلَأُونِ يَهْضِرُ يَقْدِفُونَ إِلَى وَرَائِهِمْ ثُمَّ فِي قَدْفِهِمْ بُشْبُوهَ  
الْحَبَّالِينَ فِي مَشْجَمِ الْقَهْقَرَى وَبُشْبُوهَ فِي تَحْرِيكِ السُّفْنِ مَنْ يَجْذِبُ  
ثِقَلًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَبْشِي بِهِ إِلَى خَلْفِهِ . وَأَمَّا مَلَأُوا الْعِرَاقِ ثُمَّ يَهْزِلُهُ مَنْ  
يَذْفَعُ الثَّقَلَ نَحْوَ أَمَامِهِ وَيُدْسِرُهُ فَسُفْنُهُمْ تَتَوَجَّهُ حَيْثُ الْمَلَاحُ مُجَّهٌ . وَأَمَّا  
سُفْنُ مِصْرَ فَبِهَا تَتَحَرَّكُ إِلَى ضِدِّ الْجِهَةِ الَّتِي إِلَيْهَا الْمَلَاحُ مُتَوَجِّهٌ . وَأَمَّا أَيُّ  
الْمَحَالَّتِينَ أَسْهَلُ وَالْبُرْهَانُ عَلَيْهَا فَمَوْضِعُهُ الْعِلْمُ الطَّبِيعِيُّ وَعِلْمُ تَحْرِيكِ  
الْأَثْقَالِ

## الْمَنَالَةُ الثَّانِيَّةُ

فِي النَّيْلِ وَكَيْفِيَّةِ زِيَادَتِهِ  
وَأَعْطَاهُ عِلَالَ ذَلِكَ وَقَوَائِيهِ

إِلْعَامُ أَنَّ نَيْلَ مِصْرَ بَدَأَ وَقَدْ نُصِبَ مِيَاهُ الْأَرْضِ وَذَلِكَ فِي شَمْسِ  
السُّرْطَانِ وَالْأَسَدِ وَالسُّنْبُلَةِ فَيَعْلُو عَلَى الْأَرْضِ وَيُغِيْمُ أَبَآمًا فَإِذَا نَزَلَ عَنْهَا  
حُرِّثَتْ وَزُرِعَتْ ثُمَّ يَكْثُرُ النَّدَا فِي اللَّيْلِ جِدًّا وَيَبْتَغِى الزَّرْعُ إِلَى أَنْ  
يُسْتَحْصَدَ وَنَهَايَةُ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الزِّيَادَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا  
فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُرْوَى أَمْكَنَةً مُسْتَعِيلَةً وَكَأَنَّهُ نَافِلَةٌ عَلَى جِهَةِ  
التَّبَرُّعِ وَنَهَايَةُ مَا يَزِيدُ عَلَى جِهَةِ النَّدَرَةِ أَصَابِعُ مِنْ عِشْرِينَ ذِرَاعًا  
وَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْتَجِيرُ أَمْكَنَةٌ بِدُومٍ مَكْتُهُ الْمَاءِ عَلَيْهَا فَتَقُوتُ زُرَاعَتَهَا  
وَيُورُونَ مِنَ الْإِلَادِ مَا عَادَتْهُ أَنْ يُزْرَعَ نَحْوَهَا (نَحْوَمَا) رَوَى مَا عَادَتْهُ  
أَنْ يُشْرَقَ وَلَسَمَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ نَهَايَةَ الضَّرُورِيِّ وَلَسَمَ الْعِشْرِينَ نَهَايَةَ  
الْإِفْرَاطِ وَكُلُّ نَهَايَةٍ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَلَهَا أَنْ يَبْدَأَ بِقَابِلِهَا فَابْتَدَى الضَّرُورِيُّ  
سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَيُسَمَّى مَاءُ السُّلْطَانِ إِذْ عِنْدَهُ يُسْتَحَقُّ الْخِرَاجُ وَيُرْوَى  
بِهِ نَحْوُ نِصْفِ الْإِلَادِ وَيُعْلَى مِنَ الْقُوتِ يَبْتَغِي مَا يَهْنُ أَهْلَ الْإِلَادِ  
سِتِّمْ جَمَاعَةً تَوْسَعُ وَيُرْوَى سَائِرُ الْإِلَادِ الْمُعْتَادَةِ بِالرِّيِّ بِهَا زَادَ عَلَى  
سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا إِلَى ثَمَانِي عَشْرَةَ وَهَذَا يُعْلَى مِقْدَارَ مَا يَبِيرُ أَهْلَ الْإِلَادِ  
سَتَيْنِ فَصَاعِدًا . وَأَمَّا مَا نَقَصَ عَنْ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَيُرْوَى بِهِ مَا هُوَ  
دُونَ الْكِفَايَةِ وَلَا تَحْصُلُ مِنْهُ مِيرَةُ سَتِّمْ وَيَكُونُ تَعْدُّ الْقُوتِ يَبْتَغِي  
نَفْصَايَهُ عَنْ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَحِينَئِذٍ يُقَالُ إِنَّ الْإِلَادَ قَدْ شَرَقَتْ



وَأَتَّفَقَ أَنَّ زِيَادَةَ النَّيْلِ بَلَغَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةِ  
 اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَاحِدَى وَعِشْرِينَ أَصْبَعًا. وَهَذَا الْيَقْدَارُ نَادِرٌ جِدًّا  
 فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْنَا مُذِ الْيَوْمِ إِلَى الْآنَ أَنَّ النَّيْلَ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ قَطُّ إِلَّا  
 فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِينَ فَإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى دُونَ هَذَا الْيَقْدَارِ  
 بِأَرْبَعِ أَصَابِعٍ. وَأَمَّا وَقُوفُهُ عَلَى ثَلَاثِ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَصَابِعٍ فَإِنَّهُ وَقَعَ نَحْوَ  
 سِتِّ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ الطَّوِيلَةِ. وَأَمَّا أَرْبَعُ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَصَابِعٍ فَإِنَّهُ  
 وَقَعَ نَحْوَ عِشْرِينَ مَرَّةً. وَأَمَّا خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا  
 وَنَحْنُ نَسُوقُ أَحْوَالَ زِيَادَتِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَغْنِي سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ  
 وَخَمْسٍ مِائَةٍ ثُمَّ نَتَّبِعُ ذَلِكَ بِمَا حَصَلَ عِنْدَنَا مِنْ عِلَلٍ ذَلِكَ وَقَوَائِينِهِ  
 فنَقُولُ إِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً أَنْ تَبْدَأَ الزِّيَادَةُ مِنْ أَيْبٍ وَتَعْظُمَ فِي مِسْرَى  
 وَتَنْتَهَى فِي ثَوْبٍ أَوْ بَابَةٍ ثُمَّ يَخْطُ. فَدَخَلَ أَيْبٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَابْتَدَأَ  
 النَّيْلُ يَتَحَرَّكُ بِالزِّيَادَةِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَغْوِ شَهْرَيْنِ قَدْ بَدَتْ فِي مَائِهِ  
 خُضْرَةٌ سَلْبِيَّةٌ ثُمَّ كَثُرَتْ وَظَهَرَتْ فِي رَأْسِهِ دَفْعَةٌ كَرِيهَةٌ وَعُفُونَةٌ طَحْلِيَّةٌ  
 كَأَنَّهُ عَصَارَةُ السَّلْبِيِّ إِذَا بَقِيَ أَيَّامًا حَتَّى يَغْفَنَ وَجَعَلَتْ مِنْهُ فِي وَعَاءٍ ضَيْقِ  
 الرَّاسِ فَعَلَاهُ سَحَابَةٌ خَضْرَاءُ فَرَقَعْنَاهَا بِرِفْفٍ وَتَرَكَهَا تَجِفُّ وَإِذَا جَاءَ  
 طَحْلَبٌ لَاشَكَّ فِيهِ وَيَبْقَى الْمَاءُ بَعْدَ رَفْعِ هَذِهِ السَّحَابَةِ عَنْهُ صَافِيًا لَا خُضْرَ  
 فِيهِ إِلَّا أَنْ طَعَّمَهُ وَرِيحَهُ بِأَفْيَانٍ وَيَجِدُ فِيهِ أَيْضًا أَجْسَامًا صِغَارًا نَبَاتِيَّةً  
 مَبْثُوثَةً كَالْهَبَاءِ لَا تَرُسُّبُ. وَصَارَ أَرْبَابُ الْحَمِيَةِ يَتَجَبَّهُونَ شَرْبَهُ وَإِنَّمَا  
 يَشْرَبُونَ مَا لَا بَارٍ وَأَعْلَيْتُهُ بِالنَّارِ طَنَّا مِنِّي أَنَّهُ يَصْلُحُ بِذَلِكَ كَمَا وَصَّى  
 الْأَطِبَّاءُ بِفَعْلٍ بِالْيَبَاءِ الْمُتَغَيَّرِ فَزَادَ طَعْمُهُ وَرِيحُهُ كَرَاهَةً وَسَهْكًَا

فَوَجَدَتْ عِلَّةَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَجْرَةَ النَّبَاتِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَثْوَةٌ فِيهِ بِلطْفِ  
الطَّبِخِ جَوْهَرَهَا فَتَجَلَّطُ بِالْمَاءِ اخْتِلَاطًا أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ فَيُظْهِرُ التَّغْيِيرَ  
(التَّغْيِيرُ) فِي رِيحِهِ وَطَعْمِهِ أَكْثَرَ وَيَصِيرُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ إِذَا طُبِخَ فِيهِ  
سِلْكٌ أَوْ نُجْلٌ أَوْ نَحْوُهُ فَإِنَّ النَّارَ تَنْزِجُ بَيْنَ الْمَاءِ وَلَطِيفِ النَّبَاتِ . وَأَمَّا  
الْمَاءُ الَّذِي يَصْلُحُ بِالطَّبِخِ وَإِيَّاهُ قَصَدَ الْأَطِبَاءُ فَهُوَ الَّذِي تَغْيِيرُهُ بِخَالِطَةِ  
أَجْرَةِ أَرْضِيَّةٍ فَإِنَّهَا تَنْفَصِلُ عَنْهُ بِالطَّبِخِ لِأَنَّ الْمَاءَ حَبِيدٌ يَلْطَفُ فَتَرْسُبُ

فِيهِ

ثُمَّ إِنَّهُ دَامَتْ خُضْرَتُهُ أَبَامًا مِنْ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَأَصَحَّتْ  
فِي شَوَّالٍ وَكَانَ يَصْحَبُ الْخُضْرَ دُودٌ وَحَبَوَانَاتٌ أَجْمِيَّةٌ وَهَذَا التَّغْيِيرُ فِي  
الْمَاءِ يَكُونُ بِالصَّعِيدِ أَكْثَرَ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَبْدَأِ وَالْمَعْدِنِ وَأَنْتَهَتْ زِيَادَتُهُ  
فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ ثَوْبٍ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَاحِدَى وَعِشْرِينَ  
لِصَاعًا ثُمَّ انْحَطَّ

فَرَأَيْتُ الْعَالِبَ مِنْ حَالِ الْقَاعِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَقَلُّ مِنَ الْمُعْتَادِ أَنَّ  
الزِّيَادَةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَكُونُ أَقَلُّ مِنَ الْمُعْتَادِ هَذَا حُكْمُهُ الْأَكْثَرُ  
فَإِنَّ أَتَتْ الْخُضْرُ فِي أَوَّلِ زِيَادَتِهِ وَفِيئَلَهَا قَوِي الطَّنُّ يَضَعُفُ جِزْيَتُهُ  
فَإِنَّ طَالَتْ أَيَّامُ الْخُضْرِ وَضَعُفَ مِقْدَارُ الزِّيَادَةِ قَوِي الطَّنُّ جِدًّا يَفْلِتُهُ  
فَإِنَّ دَامَتْ الْخُضْرُ فِي أَيَّامٍ فَأَذِنَ بِقِلَّةِ الْمَدِّ

وَعِلَلُ هَذَا ظَاهِرَةٌ أَمَّا كَوْنُ قِلَّةِ الْقَاعِ دَلِيلًا عَلَى قِلَّةِ الزِّيَادَةِ فَلِأَنَّ  
الْمَطَرَ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ الزِّيَادَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْكَثَرَةِ مَا يَرُدُّ الْقَاعَ  
إِلَى الْحَالَةِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يَزِيدُ عَلَيْهَا الزِّيَادَةَ الْمُعْتَادَةَ وَهِيَ كَثْرَةٌ لَا تَقْبَلُ

بِهَا أَمْطَارُ كُلِّ سَنَةٍ وَلَا تُوجَدُ كُلُّ وَفْتٍ مِثَالُهُ أَنَّ الْقَنَاعَ إِذَا كَانَ ذِرَاعًا  
 مَثَلًا فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا حَتَّى يُلْغُ مَاءُ السُّلْطَانِ  
 فَإِنْ كَانَ الْقَنَاعُ سِتِّ أَذْرُعٍ أَحْتَاجَ مِنَ الزِّيَادَةِ إِلَى عَشْرِ أَذْرُعٍ وَكَوْنُ  
 هَذَا أَبْسَرُ مِنَ الْأَوَّلِ . وَأَبْضًا فَإِنْ جَرِيَةِ النَّيْلِ الْأَصْلِيَّةِ مَا دُتُّهَا عُمُونَ .  
 وَأَمَّا زِيَادَتُهُ فَأَدَّتُهَا أَمْطَارُ وَتَقْصَانُ الْعُبُونِ دَلِيلٌ عَلَى اخْتِرَاقِ السَّنَةِ  
 وَيَسَّرَ أَلْهَوَاءَ وَقَلَّةِ الْبَخَارِ فَيَقِلُّ الْمَطَرُ لِذَلِكَ وَأَبْضًا فَإِنَّ الْمَدَّ الزَّائِدَ عَلَى  
 الْقَنَاعِ أَكْثَرُ فِي الْغَالِبِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَإِذَا كَانَ الْقَنَاعُ ذِرَاعًا أَوْ  
 ذِرَاعَيْنِ . ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمَدِّ وَهُوَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا لَمْ يَلْحَقْ مَاءُ  
 السُّلْطَانِ

وَأَمَّا كَوْنُ التَّخْضَعِ دَلِيلًا عَلَى قَلَّةِ الزِّيَادَةِ فَلِأَنَّ النَّيْلَ الْمَاضِي بُغَادِمَ  
 نَقَائِعٍ وَغُدْرَانَا بَعْضُهَا يَنْضُبُ وَبَعْضُهَا يُطْحَلِبُ وَيَعْطَنُ وَيَأْسِنُ فَإِذَا  
 مَرَّتْ بِهَا أَمْطَارٌ ضَعِيفَةٌ اخْتَلَطَتْ بِهَا وَصَبَّتْهَا إِلَى النَّيْلِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا  
 مِنَ الْكَثَرَةِ مَا يَغْلِبُ عَلَى النَّقَائِعِ فَيُضْلِحُهَا بِلِ النَّقَائِعِ تَغْلِبُ عَلَى الْأَمْطَارِ  
 الْمَنْصِلَةِ بِهَا فَتَحْبِلُهَا إِلَى الْفَسَادِ وَيَنْحَطُّ مِنْهَا مِقْدَارٌ بَعْدَ مِقْدَارٍ وَيَتَوَاصَلُ  
 إِلَيْنَا وَكُلَّمَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ أَوْفَعًا وَأَقْلَ كَانَتْ أَيَّامُ جَرِيَةِ التَّخْضَعِ  
 أَطْوَلَ فَإِذَا كَانَتْ أَمْطَارٌ قَوِيَّةٌ غَسَلَتْ نِلَكَ الْمُسْتَنْفَعَاتِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا  
 وَحَدَرَتْهَا بِسُرْعَةٍ مَغْمُورَةٍ بِطِينٍ تُجْرِفُهُ بِقُوَّهَا فَتَحْبِلُ مَنْظَرَهَا وَيَتَعَفَى  
 لِنَرُهَا . وَأَبْضًا فَإِنَّ الْأَنْهَارَ الْمُخَارِجَةَ مِنْ جَبَلِ الْقَهَرِ تَجْنُبُ بِأَخْرِجٍ إِلَى  
 بَرَكَةِ عَظِيمَةٍ ذَاتِ مِسَاحَةٍ فَسِيحَةٍ وَمِنْ هَذِهِ الْبَرَكَةِ يَخْرُجُ هَذَا النَّيْلُ وَلَا  
 شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَكَةَ مَا وَهَّاءُهَا دَائِمٌ فَيُطْحَلِبُ وَلَا سِيَمَا شُطُوطَهَا وَضَحَائِجُهَا

فَإِذَا وَفَعَ الْوَسْبِيُّ وَجَرَى إِلَيْهَا سُبُؤُهُ أَثَارَتْ مَا فِي قَعْرِهَا وَحَرَّكَتْ مَا كَانَ  
سَاكِناً فِيهَا وَانْتَحَسَحَ أَيْضاً مَا فِي الشُّطُوطِ إِلَى الْأَوْسَاطِ وَانْتَسَحَبَ إِلَى الْخُرْجَةِ  
فَاسْتَضَجَبَتْهُ

وَأَمَّا كَوْنُ الْخُضْرِ فِي أَيْبٍ دَلِيلٌ عَلَى النُّقْصَانِ فَلِأَنَّ أَيْبَ مَظْنَةُ  
الزِّيَادَةِ وَغَلَبَةِ الْمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَوْشَابِ فَإِذَا بَقِيَ عَلَى خُضْرَتِهِ إِثْبَانٌ زِيَادَتِهِ  
أَدْنَى يَفْلُتِهِ. وَهَذِهِ الْأَجْزَاءُ النَّبَاتِيَّةُ الَّتِي تَصْبُغُ الْمَاءَ إِثْمَانِي حُطَامُ النَّبَاتِ  
الْمُنَكُونُ فِي الْمَاءِ وَحَوْلَهُ كَالْبَرْدِيِّ وَالْدَنَسِ وَالسَّهَارِ وَالطَّحْلِبِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ فَتَتَعَفَّنُ فِيهِ وَتَتَصَغَّرُ أَجْزَاؤُهَا وَتَنْشَعُ مَعَهُ. وَمِمَّا يُوجِبُ انْبِعَاشَهَا  
أَيْضاً نَقْصَانُ الْمَاءِ مِنْ تِلْكَ الْبَرَكَةِ فَإِنَّ مَا هِيَ إِذَا اتَّصَلَتْ الْخُرْجَةُ بِقَعْرِهَا  
فَانْتَسَحَبَ كَدَرُهَا وَرَأْسُهَا وَإِذَا كَانَتْ غَيْرَ كَانَتْ الْخُرْجَةُ مِنْ أَعْلَاهَا  
وَصَفْوَاهَا فَاعْرِفْ ذَلِكَ وَلِهَذَا لَا تَأْتِي هَذِهِ الْخُضْرُ إِلَّا فِي السَّنَةِ الَّتِي يَحْتَرِقُ  
فِيهَا النَّبِيلُ وَكُلَّمَا كَانَ أَحْتِرَاقُهُ أَشَدَّ كَانَ ظُهُورُ الْخُضْرِ أَكْثَرَ. وَفِي السَّنَةِ  
الَّتِي يَكُونُ نَيْلُهَا غَيْرَ لَا يَحْتَرِقُ وَلَا تَرَى الْخُضْرَ لِأَنَّ كَثَرَتَهُ لِيَكْثَرَ  
مَبْدَأِيهِ وَأَرْتِفَاعِ جَرِيَّتِهِ عَنْ مَقَرِّ كُدُورَتِهِ

انتهى المقول

من كتاب الامادة والاعتبار في الامور المشامة بارض مصر

لاني اللطيف

## مِنْ مُخَفَّةِ النَّظَارِ

فِي غَرَائِبِ الْأَمْصَارِ وَعَجَائِبِ الْأَسْفَارِ  
لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّوَانِيِّ  
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بَطْوَلَةَ

وَصَلْنَا فِي أَوَّلِ جُدَادِي الْأَوَّلَى إِلَى مَدِينَةِ الإسْكَدَرِيَّةِ حَرَسَهَا اللَّهُ وَهِيَ  
الشَّعْرُ الْمُحْرُوسُ. وَالْفَطْرُ الْهَائُوسُ. الْعَجِيبَةُ الشَّانُ. الْأَصِيلَةُ الْبَنِيَانُ. بِهَا  
مَا شِئْتَ مِنْ تَحْسِينٍ وَتَحْصِينٍ. وَمَا ثَرِ دُنْيَا وَدِينٍ. كَرُمْتَ مَعَانِيهَا.  
وَلَطَفْتَ مَعَانِيهَا. وَجَمَعْتَ بَيْنَ الضَّخَامَةِ وَالْإِحْكَامِ مَبَانِيهَا. فِيهَا الْقَرِيدَةُ  
تَجَلَّى سَنَاها. وَالْخَرِيدَةُ تُجَلَّى فِي حُلَاهَا. الزَّاهِيَةُ بِجَمَاهَا الْمَغْرِبِ. الْجَمَاعَةُ  
لِمَقَرِّقِ الْعَاسِينِ لِنَوْسَطِهَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. فَكُلُّ بَدِيعَةٍ بِهَا  
أَجْنِلَاؤُهَا. وَكُلُّ طَرْفَةٍ فَإِلَيْهَا أَنْتَاهَا وَهِيَ. وَقَدْ وَصَفَهَا النَّاسُ فَأَطْنَبُوا.  
وَصَنَّفُوا فِي عَجَائِبِهَا فَأَغْرَبُوا. وَحَسَبُ الْمُشْرِفِ إِلَى ذَلِكَ مَا سَطَرَ أَبُو  
عَيْنٍ فِي كِتَابِ الْمَسَالِكِ

ذَكَرَ أَبْوَابَهَا وَمَرَسَاهَا. وَلِمَدِينَةِ الإسْكَدَرِيَّةِ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ. بَابُ السِّدْرَةِ  
وَالْبَابُ يُشْرِعُ طَرِيقُ الْمَغْرِبِ. وَبَابُ رَشِيدٍ وَبَابُ الْبَحْرِ وَالْبَابُ الْأَخْضَرُ  
وَلَيْسَ يُفْتَحُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُخْرِجُ النَّاسُ مِنْهُ إِلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ. وَهِيَ  
الْمَرْتَى الْعَظِيمُ الشَّانُ وَلَمْ أَرِ فِي مَرَاسِي الدُّنْيَا مِثْلَهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْتَى  
كُومٍ وَقَالِيفُوطَ بِيْلَادِ الْهِنْدِ. وَمَرْتَى سُودَاقَ بِيْلَادِ الْأَنْرَاكِ وَمَرْتَى  
الزَّيْتُونِ بِيْلَادِ الصِّينِ وَسَبَقَ ذِكْرُهَا

ذَكَرَ الْمَنَارَ. فَصَدْتُ الْمَنَارَ فِي هَذِهِ الْوَجْهَةِ قَرَأْتُ أَحَدَ جَوَانِيهِ

مُهْدِمًا وَصَفَتْهُ أَنَّهُ بِنَاءٌ مُرَبَّعٌ ذَاهِبٌ فِي الْهَوَاءِ وَبَابُهُ مُرْتَفِعٌ عَلَى الْأَرْضِ .  
وَأَزَاقَهُ بَابُهُ بِنَاءً بِقَدْرِ أَرْتِفَاعِهِ وَضَعَتْ بَيْنَهُمَا الْوَاجِ حَشَبٌ يُعْبَرُ عَلَيْهَا إِلَى  
بَابِهِ . فَإِذَا أَرَيْتَ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ . وَدَاخِلَ الْبَابِ مَوْضِعٌ لِحُلُوسِ  
حَارِسِ الْمَنَارِ . وَدَاخِلَ الْمَنَارِ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ . وَعَرْضُ الْمَمَرِ يَدَاخِلُهُ  
تِسْعَةُ أَشْبَارٍ . وَعَرْضُ الْحَائِطِ عَشْرَةُ أَشْبَارٍ . وَعَرْضُ الْمَنَارِ مِنْ كُلِّ  
جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ الْأَرْبَعِ مِائَةٌ وَارْبَعُونَ شِبْرًا . وَهُوَ عَلَى تَلٍّ مُرْتَفِعٍ .  
وَمَسَافَةٌ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ فَرْسَخٌ وَاحِدٌ فِي بَرٍّ مُسْتَطِيلٍ يُحِيطُ بِهِ الْبَحْرُ  
مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ إِلَى أَنْ يَبْصَلَ الْبَحْرُ بِسُورِ الْبَلَدِ فَلَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلُ  
إِلَى الْمَنَارَةِ فِي الْبَرِّ إِلَّا مِنَ الْمَدِينَةِ . وَفِي هَذَا الْبَرِّ الْمُنْصِلِ بِالْمَنَارِ  
مَقْبَرَةُ الْأِسْكَندَرِيَّةِ . وَقَصْدْتُ الْمَنَارَ عِنْدَ عَوْدِي إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
عَامَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ الْخَرَابُ بِحِثِّ لَا يُمَكِّنُ  
دُخُولَهُ وَلَا الصُّعُودُ إِلَى بَابِهِ . وَكَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ شَرَعَ  
فِي بِنَاءِ مَنَارٍ مِثْلِهِ بِأَزَاقِهِ عَاقَةُ الْمَوْتُ عَنْ إِنْهَائِهِ

ذَكَرَ عُمُودُ السَّوَارِي . وَمِنْ غَرَائِبِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عُمُودُ الرِّخَامِ الْهَائِلُ  
الَّذِي يُخَارِجُهَا الْمَسْمَى عِنْدَهُمْ بِعُمُودِ السَّوَارِي وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي غَايَةِ  
تَخْلِ . وَقَدْ أَمْتَازَ عَنْ شَجَرَاتِهَا سُمُومًا وَأَرْتِفَاعًا . وَهُوَ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مُحْكَمَةٌ  
الْتَحَتْ قَدْ أَقِيمَ عَلَى قَوَاعِدِ حِجَارَةٍ مُرَبَّعَةٍ أَمْثَالِ الدُّكَاكِينِ الْعَظِيمَةِ وَلَا  
تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ وَضْعِهِ هُنَاكَ وَلَا يَتَحَقَّقُ مَنْ وَضَعَهُ . قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ :  
أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِ الرَّحَالِينِ أَنَّ أَحَدَ الرَّمَاةِ بِإِسْكَندَرِيَّةٍ صَعِدَ إِلَى  
أَعْلَى ذَلِكَ الْعُمُودِ وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَكَانَتْهُ وَاسْتَقَرَّ هُنَاكَ وَشَاعَ خَبَرُهُ .

فَاجْتَمَعَ الْجَمْعُ الْغَيْرُ لِمُشَاهَدَتِهِ وَطَالَ الْعَجَبُ مِنْهُ وَخَفِيَ عَلَى النَّاسِ وَجْهَ أَخِيَّالِهِ وَأَظْنَهُ كَانَ خَائِنًا أَوْ طَالِبَ حَاجَةٍ. فَأَتَتْهُ لَهُ فِعْلُهُ الْوُصُولُ إِلَى قَصْدِهِ لِعَرَابَةِ مَا أَتَى بِهِ. وَكَيْفِيَّةُ أَخِيَّالِهِ فِي صُورِهِ أَنَّهُ رَمَى بِنِشَابَةٍ قَدْ عَنَدَ يَفَوْضَهَا خَيْطًا طَوِيلًا. وَعِنْدَ يَطْرِفِ الْخَيْطِ حَبْلًا وَثِيقًا فَتَجَاوَزَتِ النِّشَابَةُ أَعْلَى الْعُيُودِ مُعْرِضَةً عَلَيْهِ. وَوَقَعَتْ مِنَ الْجِهَةِ الْمَوَازِيَةِ لِلرَّامِي فَصَارَ الْخَيْطُ مُعْرِضًا عَلَى أَعْلَى الْعُيُودِ فَجَذَبَهُ حَتَّى تَوَسَّطَ الْحَبْلُ عَلَى الْعُيُودِ مَكَانَ الْخَيْطِ فَأَوْقَفَهُ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ فِي الْأَرْضِ وَتَعَلَّقَ بِهِ صَاعِدًا مِنَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى وَاسْتَفَرَّ بِأَعْلَاهُ وَجَذَبَ وَاسْتَضَبَّ مِنْ أَحْمَلِهِ. فَلَمْ يَهْتَدِ النَّاسُ لِحِيلَتِهِ وَتَعَجَّبُوا مِنْ شَأْنِهِ

ثُمَّ سَافَرَتْ فِي أَرْضٍ رَمَلَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ دِمْبَاطَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ قَاسِيَةٌ الْأَقْطَارِ. مُتَنَوِّعَةُ الشِّجَارِ. عَجِيبَةُ التَّرْيِيبِ. أَخَذَتْ مِنْ كُلِّ حُسْبٍ بِنَصِيبٍ. وَالنَّاسُ يُضَيِّطُونَ أَسْمَاءَ بَاغِمَامِ الدَّالِ. وَكَذَلِكَ ضَبَطَهُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ الرَّشَاطِيُّ. وَكَانَ شَرَفُ الدِّينِ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنِ خَلْفِ الدِّمْبَاطِيِّ إِمَامُ التَّحْدِيثِ يَضِطُّهَا بِإِهَالِ الدَّالِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ بِأَنْ يَقُولَ خِلَافَ الرَّشَاطِيِّ وَغَيْرِهِ وَهُوَ أَغْرَفُ يَضِطُّ أَسْمَ بَلَكٍ. وَمَدِينَةُ دِمْبَاطَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ وَأَهْلُ الدُّوْرِ الْمَوَالِيَةِ لَهُ يَسْتَفُونَ مِنْهُ أَلْمَاءَ بِالْأَلَاءِ. وَكَثِيرٌ مِنْ دُورِهَا بِهَا دَرَكَاتٌ يُنْتَلُ فِيهَا إِلَى النَّيْلِ. وَشَجَرُ الْمَوْزِ بِهَا كَثِيرٌ يُجْمَلُ نَسْمُ إِلَى مِصْرَ فِي الْمَرَائِبِ وَغَنَمُهَا سَائِيَةٌ هَبْلًا بِالنَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَلِهَذَا يُقَالُ فِي دِمْبَاطَ سُورُهَا حُلُومًا وَكَلَامُهَا غَنَمٌ. وَإِذَا دَخَلَهَا أَحَدٌ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى الْخُرُوجِ

عَنْهَا إِلَّا بِطَائِعِ الْوَلِيِّ . فَمَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ مُعْتَبَرًا طَبِيعَ لَهُ فِي قِطْعَةٍ  
كَأَنَّهَا بَسْطَ طَبِيعُ بِهِ لِحْرَاسٍ بِأَيِّهَا وَغَيْرُهُمْ يُطَبِّعُ عَلَى ذِرَاعِهِ فَيَسْتَظْهِرُ بِهِ .  
وَالطَّبِيرُ الْبَحْرِيُّ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ كَثِيرٌ مُتَنَاهِي السَّمَانِ وَبِهَا الْأَلْبَانُ الْجَامُوسِيَّةُ  
الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا فِي عُدُوبَةِ الطَّعْمِ وَطِيبِ الْمَذَاقِ وَبِهَا أَنْحُوتُ الْبُورْبُ  
يُحْمَلُ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَمِصْرَ . وَيَخَارِجُهَا جَزِيرَةٌ بَيْنَ الْبَحْرِ  
وَالنَّيْلِ تُسَمَّى الْبَرْزَخُ بِهَا مَسْجِدٌ وَزَاوِيَةٌ لَقِيتُ بِهَا شَيْخَهَا الْمَعْرُوفَ بِأَبْنِ  
فُلٍّ . وَحَضَرْتُ عِنْدَهُ لَيْلَةً جُمُعَةٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْفُضَّلَاءِ  
الْمُتَعَبِّدِينَ الْأَخْبَارِ قَطَعُوا لَيْلَتَهُمْ صَلَوةً وَفِرَاقَةً وَذِكْرًا . وَدِمَاطُ هَذِهِ  
حَدِيثَةُ الْبِنَاءِ وَالْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ هِيَ الَّتِي خَرَبَهَا الْأَفَرَنْجُ عَلَى عَهْدِ الْمَلِكِ  
صَالِحٍ وَبِهَا زَاوِيَةُ الشَّيْخِ جَالِ الدِّينِ السَّائِي فُذُوهُ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ  
بِالْقُرْلَنْدَرِيَّةِ وَهُمْ الَّذِينَ يَحْلِقُونَ لِحَاهُمْ وَحَوَاجِمَهُمْ وَيَسْكُنُ الزَّوَايَةَ فِي  
هَذَا الْعَهْدِ الشَّيْخُ فَتَحَ الْتُكْرُورِيُّ

ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ كُورَوِي مَدِينَةٍ عَلَى سَاحِلِ النَّيْلِ وَالْكَافُ  
الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا مَضْمُومٌ وَتَزَلْتُ بِخَارِجِهَا وَلَحَفَنِي هُنَاكَ فَارِسٌ وَجْهَهُ  
إِلَى الْأَمِيرِ الْخُسَيْنِيِّ فَقَالَ لِي إِنَّ الْأَمِيرَ سَأَلَ عَنْكَ وَعَرَفَ بِسِيرَتِكَ  
فَبَعَثَ إِلَيْكَ بِهَذِهِ الْتَفَقَّةِ وَدَفَعَ إِلَيَّ جُمْلَةَ دَرَاهِمٍ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا

ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ أَشْمُونِ الرُّمَانِ وَضَبَطْتُ أَسْمَهَا بِتَفْعِ الْمَدِينَةِ وَأَسْكَانِ  
الشَّيْخِ الْمُعْجَبَةِ وَنُسِبَتْ إِلَى الرُّمَانِ لِكَثَرَتِهِ بِهَا وَمِنْهَا يُحْمَلُ إِلَى مِصْرَ .  
وَهِيَ مَدِينَةٌ عَنِيْقَةٌ كَثِيرَةٌ عَلَى خَلِيجٍ مِنْ حُلُجِ النَّيْلِ وَبِهَا فَنَطَرٌ خَشَبٍ  
تَرْسُو الْأَرَاكِبُ عِنْدَهَا فَإِذَا كَانَ الْعَصْرُ رُفِعَتْ تِلْكَ الْأَخْشَبُ وَجَارَتْ



الْمَرَآبُ صَاعِدَةً وَمُنْخَدِرَةً وَبِهِدِ الْبَلَدِ قَاصِي الْقَضَاءِ وَوَالِي الْوَلَاةِ . ثُمَّ  
سَافَرْتُ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ سَمُودَ وَهَجَّ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ كَثِيرُ الْمَرَآبِ  
حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَلَّةِ الْكَثِيرَةِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخَ وَضَبَطْتُ أَسْمَهَا  
يَفْعُ السَّيْنِ الْمَهْمَلِ وَالْبِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَضَمَّهَا وَوَاوٍ وَدَالٍ مَهْمَلٍ  
مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ رَكِبْتُ النَّيْلَ مُصْعِدًا إِلَى مِصْرَ مَا بَيْنَ مَدَائِنَ وَقُرَى  
مُنْتَظِمَةً مُتَّصِلَةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا يَنْقُصُ رَاكِبُ النَّيْلِ إِلَى اسْتِصْحَابِ  
الزَّادِ لِأَنَّهُ مَهْمَا أَرَادَ التَّنْزُولَ بِالشَّاطِئِ نَزَلَ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَشَرَّاهُ  
الزَّادَ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَالْأَسْوَاقُ مُتَّصِلَةٌ مِنْ مَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ إِلَى مِصْرَ  
وَمِنْ مِصْرَ إِلَى مَدِينَةِ أَسْوَانَ مِنْ الصَّعِيدِ . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى مِصْرَ هِيَ أُمُّ  
الْبِلَادِ وَقَرَارَةُ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . ذَاتُ الْأَقَالِيمِ الْعَرِيضَةِ . وَالْبِلَادِ  
الْأَرِيضَةِ . الْمُنْتَاهِيَّةِ فِي كَثَرَةِ الْعَارَةِ . الْمُنْبَاهِيَّةِ بِالْحُسْنِ وَالنَّصَارَةِ . جَمْعُ  
الْوَارِدِ وَالصَّادِرِ . وَمَحَطُّ رَحْلِ الضَّعِيفِ وَالْقَادِرِ . وَبِهَا مَا شِئْتَ مِنْ  
عَالِمٍ وَجَاهِلٍ . وَجَادٍ وَهَازِلٍ . وَحَلِيمٍ وَسَفِيهِ . وَوَضِيعٍ وَنَبِيهِ . وَشَرِيفٍ  
وَمَشْرُوفٍ . وَمُنْكَرٍ وَمَعْرُوفٍ . تَمُوجُ مَوْجِ الْبَحْرِ بِسُكَّانِهَا . وَتَكَادُ أَنْ تَضِيقَ  
بِهِمْ عَلَى سَعَةِ مَكَانِهَا وَإِمْكَانِهَا . شَبَابُهَا يَجِدُّ عَلَى طُولِ الْعَهْدِ . وَكَوْكَبُ  
تَعْدِيلِهَا لَا يَبْرُحُ عَنْ مَنْزِلِ السَّعْدِ . قَهَرَتْ قَاهِرَتِهَا الْأُمَمَ . وَتَمَلَّكَتْ  
مُلُوكَهَا نَوَاحِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . وَلَهَا خُصُوصِيَّةُ النَّيْلِ الَّتِي جَلَّ خَطَرُهَا .  
وَأَغْنَاهَا عَنْ أَنْ يَسْتَبِدَّ الْقَطْرُ قُطْرُهَا . وَأَرْضُهَا مَسِيرَةُ شَهْرِ لِحْدِ السَّيْرِ .  
وَفِيهَا يَقُولُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ نَاهِضٍ

شَاطِئُ مِصْرَ جَنَّةٌ مَا مِثْلُهَا مِنْ بَلَدٍ

لَاسِيَمًا مَذْزُخِرَفَتْ      بِنِيلِهَا الْمَطْرِدِ  
وَلِلرِّيَاحِ فَوْقَهُ      سَوَابِغٌ مِنْ زَرْدِ  
مَسْرُودَةٍ مَا مَسَّهَا      دَاوُدُهَا يَهْبَرِدِ  
سَائِلَةٌ هَوَاؤُهَا      يُرْعِدُ عَارِي الْجَسَدِ  
وَالْفُلُكُ كَالْأَفْلَاقِ      بَيْنَ حَادِرٍ وَمُصْعَدِ

رَجَعَ وَيَقَالُ إِنَّ بِيْضَرَمِينَ السَّقَائِينَ عَلَى الْيَحْمَالِ أَتْنِي عَشَرَ أَلْفَ سَقَاءَ  
فَإِنْ جَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُكَارٍ. وَإِنَّ بِنِيلِهَا مِنَ الْمَرَكَبِ سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا  
لِلسُّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ تَمْرٌ صَاعِدَةٌ إِلَى الصَّعِيدِ وَمُنْخَدِرَةٌ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ  
وَدِمْنِيَّاتٍ بِأَنْوَاعِ الْخُبَرَاتِ وَالْمَرَاغِفِ. وَعَلَى ضَفَةِ النَّيْلِ مِمَّا يُوَاجِهُ مِصْرَ  
الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالرَّوْضَةِ وَهُوَ مَكَانُ الثَّزْهَةِ وَالتَّنْفُجِ. وَبِهِ الْبَسَاتِينُ  
الْكثِيرَةُ الْحَسَنَةُ. وَأَهْلُ مِصْرَ ذُو طَرْبٍ وَسُرُورٍ وَهُوَ شَاهِدَتْ مَرَّةً فُرْجَةً  
بِسَبَبِ بُرْءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مِنْ كَسْرِ أَصَابِ يَدِهِ فَرَزَيْنَ كُلُّ أَهْلِ سُوقِ  
سُوقِهِمْ وَعَلَّقُوا بِحَوَائِجِهِمْ الْحُلَّ وَالْحُلَى وَثِيَابَ الْخُرْبِرِ وَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ أَبَامًا  
ذِكْرُ مَسْجِدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمَارِسْتَانِ وَالزَّوَايَا

وَمَسْجِدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مَسْجِدٌ شَرِيفٌ كَبِيرٌ الْقَدْرِ. شَهِيرٌ الدِّكْرِ يُقَامُ  
فِيهِ الْجُمُعَةُ. وَالطَّرِيقُ بَعْدَ رُضْهِ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ. وَيُشْرِفُهُ الزَّوَايَةُ  
حَيْثُ كَانَ يُدْرَسُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ. وَأَمَّا الْمَدَارِسُ بِيْضَرَمِينَ  
فَلَا يُحِيطُ أَحَدٌ بِحَصْرِهَا لِكَثْرَتِهَا. وَأَمَّا الْمَارِسْتَانُ الَّذِي بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ  
عِنْدَ تَرْبَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ فَلَاوُونَ قَبِغْزُ الْوَاصِفِ عَنْ مُحَاسِنِهِ. وَقَدْ أُعِدَّ  
فِيهِ مِنَ الْمَرَاغِفِ وَالْأَذْوِيَةِ مَا لَا يُحْصَرُ وَيَذْكَرُ أَنَّ حِجَابَهُ أَلْفُ دِينَارٍ كُلِّ

يَوْمٍ . وَأَمَّا الزَّوَايَا فَكَبِيرَةٌ وَهُمْ يُسَمُّونَهَا الْخَوَانِقَ وَاحِدَتُهَا خَائِنَةٌ وَالْأُمَرَاءُ  
يَهْضُرُ يَتَنَافُسُونَ فِي بِنَائِهَا الزَّوَايَا . وَكُلُّ زَاوِيَةٍ يَهْضُرُ مَعْنَتُهُ لَطَائِفُهُ مِنْ  
الْفُقَرَاءِ وَكَثَرَتْهُمْ الْأَعَاجِمُ وَهُمْ أَهْلُ آدَابٍ وَمَعْرِفَةٍ بِطَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ  
وَلِكُلِّ زَاوِيَةٍ شَيْخٌ وَحَارِسٌ وَتَرْتِيبُ أُمُورِهِمْ عَجِيبٌ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ  
فِي الطَّعَامِ أَنَّهُ يَأْتِي خَدِيمُ الزَّوَايَةِ إِلَى الْفُقَرَاءِ صَبَاحًا فَيُعِينُ لَهُ كُلَّ وَاحِدٍ  
مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الطَّعَامِ . فَإِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ جَعَلُوا لِكُلِّ إِنْسَانٍ خُبْنٌ  
وَمَرَقَةٌ فِي إِنَاءٍ عَلَى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ . وَطَعَامُهُمْ مَرَّتَانٍ فِي الْيَوْمِ  
وَلَهُمْ كِسْوَةُ الشِّتَاءِ وَكِسْوَةُ الصَّيْفِ وَمَرْتَبُ شَهْرِيٍّ مِنْ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا  
لِلْوَاحِدِ فِي الشَّهْرِ إِلَى عِشْرِينَ وَلَهُمُ الْحَلَاوَةُ مِنَ الْأُسْكُرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ  
وَالصَّابُونَ لِيَغْسِلَ أَثْوَابَهُمْ وَالْأَجْرَةُ لِدُخُولِ الْحَمَامِ وَالزَّيْتُ لِلْإِسْتِنْبَاحِ  
وَهُمْ أَغْرَابٌ . وَلِلْمَتْرُوحِينَ زَوَايَا عَلَى حِدَةٍ وَمِنْ الْمَشْتَرِطِ عَلَيْهِمْ حُضُورُ  
الصلوات الخمس والبيت بالزواوية واجتماعهم بقبة داخل الزواوية . ومن  
عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَجْلِسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى سَجَادَةٍ مُخَنَصَةٍ بِهِ وَإِذَا صَلَّوْا صَلَاةَ  
الصُّبْحِ قَرَأُوا سُورَةَ الْفَتْحِ وَسُورَةَ الْمَلِكِ وَسُورَةَ عَم . ثُمَّ يُؤْتَى بِسُخْرِ مِنْ  
الْقُرْآنِ مُجَزَّأً فَيَأْخُذُ كُلُّ فَقِيرٍ جُزْأً وَيَخْنُمُونَ الْقُرْآنَ وَيَذْكُرُونَ . ثُمَّ  
يَقْرَأُ الْفُقَرَاءُ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ يَفْعَلُونَ بَعْدَ صَلَاةِ  
الْعَصْرِ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ مَعَ الْقَادِمِ أَنَّهُ يَأْتِي بِبَابِ الزَّوَايَةِ فَيَقِفُ بِهِ مَشْدُودَ  
الْوَسْطِ وَعَلَى كَاهِلِهِ سَجَادَةٌ وَيُهْنَاهُ الْعُكَّازُ وَيُسْرَاهُ الْإِبْرِيْقُ فَيُعْلِمُ الْبَوَابُ  
خَدِيمَ الزَّوَايَةِ يَسْكُنُهُ فَيُخْرِجُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ مِنْ أَمْرِ الْبِلَادِ أَنَّى وَآيَ الزَّوَايَا  
تَزَلُ فِي طَرِيقِهِ وَمَنْ شَيْخُهُ . فَإِذَا عَرَفَ صِحَّةَ قَوْلِهِ أَذْخَلَهُ الزَّوَايَةَ وَفَرَشَ

لَهُ سَجَادَتُهُ فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ وَلَرَأَهُ مَوْضِعَ الظُّهَارَةِ فَجَدَّ دُالْوُضُوءَ بَاتِي  
إِلَى سَجَادَتِهِ فَبَجَلَ وَسَطَهُ وَبُصِّلِي رَكْعَتَيْنِ وَبُصَاغُ الشَّيْخِ وَمَنْ حَضَرَ وَبَقَعْدُ  
مَعَهُمْ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا كَانَتْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَخَذَ التَّحَادِمُ جَمِيعَ  
سَجَادِهِمْ فَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَفْرُشُهَا لَهُمْ هُنَاكَ وَيَخْرُجُونَ مُجْتَمِعِينَ  
وَمَعَهُمْ شَيْخُهُمْ فَيَأْتُونَ الْمَسْجِدَ وَيُصَلِّي كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى سَجَادَتِهِ فَإِذَا قَرَأُوا مِنْ  
الصَّلَاةِ قَرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَادَتِهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ مُجْتَمِعِينَ إِلَى الزَّوَايَةِ  
وَمَعَهُمْ شَيْخُهُمْ

ثُمَّ كَانَ سَفَرِي مِنْ مِصْرَ عَلَى طَرِيقِ الصَّعِيدِ بِرِسْمِ الْحِجَارِ الشَّرِيفِ فَبِتُّ  
لَيْلَةً خُرُوجِي بِالرِّبَاطِ الَّذِي بَنَاهُ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ حِنَّا بِدَيْرِ  
الطِّينِ وَهُوَ رِبَاطٌ عَظِيمٌ بَنَاهُ عَلَى مَفَاخِرَ عَظِيمَةٍ وَأَثَارُ كَرِيمَةٍ ثُمَّ خَرَجْتُ  
مِنَ الرِّبَاطِ الْمَذْكُورِ وَمَرَرْتُ بِمِنِيَةِ الْقَائِدِ وَهِيَ بَلَدٌ صَغِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ  
النِّيلِ . ثُمَّ سِرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بُوشَ وَضَبَطَهَا بِضَمِّ الْبَاءِ الْهَوَاحِفِ  
وَأَخْرَاهَا شَيْخٌ مُجْتَمِعٌ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ أَكْثَرُ يَلَادٍ مِصْرَ كُنَّا وَمِنْهَا يُجْلَبُ إِلَى  
سَائِرِ الدِّيَارِ الْبَصْرِيَّةِ وَالْأَفْرِيقِيَّةِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ  
دَلَّاصَ وَضَبَطْتُ أَسْمَهَا بِفَتْحِ الدَّالِ الْهَمْلِ وَأَخْرَاهَا صَادُّ مَهْلٍ وَهَذِهِ  
الْمَدِينَةُ كَثِيرَةُ الْكُتَّانِ أَيْضًا بِمِثْلِ الدَّيْءِ ذَكَرْنَا قَبْلَهَا وَبِحَمْلِ أَيْضًا مِنْهَا  
إِلَى دِيَارِ مِصْرَ وَأَفْرِيقِيَّةِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بَبَا ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا  
إِلَى مَدِينَةِ الْبَهْسَةِ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ وَبَسَاتِينُهَا كَثِيرَةٌ وَتُصْنَعُ بِهَذِهِ  
الْمَدِينَةِ ثِيَابُ الصُّوفِ الْحَبِئَةِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ مَنِيَةِ ابْنِ خَصِيبٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ

السَّاحَةِ . مُتَّسِعَةُ الْمَسَاحَةِ . مَبْنِيَّةٌ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ . وَحَفِيقٌ حَقِيقٌ كَمَا عَلَى  
 بِلَادِ الصَّعِيدِ النَّفْضِلِ . بِهَا الْمَدَارِسُ وَالْمَشَاهِدُ . وَالزُّوَابَا وَالْمَسَاجِدُ .  
 وَكَانَتْ فِي الْقَدِيمِ مَبْنِيَّةً لِحَصْبٍ عَامِلٍ مِصْرَ

### حِكَايَةُ حَصْبٍ

يُذَكِّرُ أَنَّ أَحَدَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غَضِبَ عَلَى أَهْلِ  
 مِصْرَ فَكَانَ أَنْ يُؤْتِيَ عَلَيْهِمْ أَحْفَرُ عَيْدِهِ وَأَصْغَرُهُمْ شَأْنًا فَصَدَّا لِإِرْخَالِهِمْ  
 وَالْتِكُلِ . وَكَانَ حَصْبٌ أَحْفَرُهُمْ إِذْ كَانَ بَتَوَلَّى تَسْخِينَ الْحَمَامِ . فَخَلَعَ  
 عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ عَلَى مِصْرَ وَظَنَّهُ أَنَّهُ يَسِيرُ فِيهِمْ سَيْرَ سُوءٍ وَيَقْصِدُهُمْ بِالْإِذَاءِ  
 حَسَبًا هُوَ الْمَعْدُودُ مِنْ وَلِيٍّ عَنْ غَيْرِ عَهْدٍ بِالْعِزِّ . فَلَمَّا اسْتَفَرَّ حَصْبٌ  
 بِمِصْرَ سَارَ فِي أَهْلِهَا أَحْسَنَ سَيْرٍ وَشَهْرٍ بِالْكَرَمِ وَالْإِبْشَارِ فَكَانَ أَقَارِبُ  
 الْخُلَفَاءِ وَسِوَاهُمْ يَقْصِدُونَهُ فَيَجْزِلُ الْعَطَاءُ لَهُمْ وَيَعُودُونَ إِلَى بَغْدَادَ  
 شَاكِرِينَ لِمَا أَوْلَاهُمْ . وَإِنَّ الْخُلَيْفَةَ أَفْتَقَدَ بَعْضَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَغَابَ عَنْهُ مَدَّةٌ .  
 ثُمَّ أَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ مَغِيبِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَصَدَ حَصْبِيًا وَذَكَرَ لَهُ مَا أَعْطَاهُ  
 حَصْبٌ وَكَانَ عَطَاءً جَزِيلًا . فَغَضِبَ الْخُلَيْفَةُ وَأَمَرَ بِسَمْلِ عَيْنِي حَصْبٍ  
 وَإِخْرَاجِهِ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْ يُطْرَحَ فِي أَسْوَاقِهَا . فَلَمَّا وَرَدَ الْأَمْرُ  
 بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ جَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَنْزِلِهِ . وَكَانَتْ يَدُهُ بِأَقْوَتِهِ  
 عَظِيمَةُ الشَّانِ فَحَبَّأَهَا عِنْدَهُ وَخَاطَبَهَا فِي ثَوْبٍ لَهُ لَيْلًا وَسَمِلَتْ عَيْنَاهُ  
 وَطْرَحَ فِي أَسْوَاقِ بَغْدَادَ . فَهَرَّ بِهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ لَهُ يَا حَصْبُ  
 إِنِّي كُنْتُ قَصَدْتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ مَا دِحَا لَكَ بِقِصْدِكَ فَوَاقَفْتُ  
 أَنْصِرَاكَ عَنْهَا وَاجِبٌ أَنْ تَسْمَعَهَا . فَقَالَ كَيْفَ يَسْمَعُهَا وَأَنَا عَلَى مَا

تَرَاهُ: فَقَالَ إِنَّمَا قَصْدِي سَمَاعُكَ لَهَا. وَأَمَّا الْعَطَاءُ فَقَدْ أُعْطِيتَ النَّاسَ  
وَأَجَزَلَتْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا: قَالَ فَأَفْعَلْ فَأَنْشَدَهُ

أَنْتَ الْحَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فِكَلَاكُمَا بَحْرُ

فَلَمَّا أَتَى عَلَى آخِرِهَا قَالَ لَهُ أَتُنْفِ هَذِهِ الْحِجَابَةَ فَقَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ  
خُذِ الْبَاقِيَّةَ: فَأَبَى فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهَا فَأَخَذَهَا وَدَهَبَ بِهَا إِلَى سُوقِ  
الْجَوْهَرِيِّينَ. فَلَمَّا عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ إِنَّ هَذِهِ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ.  
فَرَفَعُوا أَمْرَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِخْضَارِ الشَّاعِرِ وَأَسْتَفْهَمَهُ عَنْ  
شَأْنِ الْبَاقِيَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِحَبْرِهَا. فَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِحَصِيبٍ وَأَمَرَ بِمُثُولِهِ  
بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجَزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ وَحَكَّمَهُ فِيمَا يُرِيدُ فَرَعَبَ أَنْ يُعْطِيَهُ هَذِهِ  
الْمُهْبَةَ فَقَعَلَ ذَلِكَ وَسَكَنَهَا حَصِيبٌ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَأُورِثَهَا عَيْنُهُ إِلَى أَنْ  
أَنْفَرَضُوا

فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَلْبَيسَ وَضَبْتُ أَسْهَبَهَا بَفَيْحِ الْمَوْحَدَةِ الْأُولَى وَفَتَحَ  
الثَّانِيَةَ ثُمَّ بَاءَ آخِرَ الْحُرُوفِ مَسْكَنَةً وَسَيِّئَ مَهْلٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ ذَاتُ  
بَسَاتِينٍ كَثِيرَةٍ وَلَمْ أَلْقَ بِهَا مِنْ يُحِبُّ ذِكْرِي. ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ  
وَمِنْهَا دَخَلْنَا الرِّمَالَ وَنَزَلْنَا مَنَازِلَهَا مِثْلَ السَّوَادَةِ وَالْوَرَادَةِ وَالْمُطَلَبِ  
وَالْعَرِيشِ وَالْحُرُوبَةِ وَبِكُلِّ مَنَزِلٍ مِنْهَا فَنَدَقْتُ وَهُمْ يُسَمُّونَهُ الْخَانَ يَنْزِلُهُ  
الْمَسَافِرُونَ يَدَوَّابِهِمْ. وَبِخَارِجِ كُلِّ خَابِ سَايَةِ السَّبِيلِ وَحَانُوتُ  
يَشْتَرِي مِنْهَا الْمَسَافِرُ مَا يَحْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ وَدَارَتِهِ. وَمِنْ مَنَازِلِهَا قَطِيبَا  
الْمَشْهُورَةِ وَهِيَ بَفَيْحِ أَلْفَاكِ وَسُكُونِ الطَّلَاءِ وَبَاءَ آخِرَ الْحُرُوفِ مَفْتُوحَةٌ  
وَأَلْفٍ وَالنَّاسُ يُدَلُّونَ أَلْفَهَا هَاءَ تَائِيثٍ. وَبِهَا تُؤْخَذُ الزَّكَاةُ مِنَ التُّجَّارِ

وَنَقَشُ أَمْنَعْتَهُمْ وَبَحَثُ عَمَّا لَدَيْهِمْ أَشَدَّ الْبَحْثِ. وَفِيهَا الدَّوَارِينُ وَالْعُمَالُ  
وَالْكَتَّابُ وَالشُّهُودُ. وَتَجَبَّاهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ وَلَا  
يَجُوزُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الشَّامِ إِلَّا بِرَأْفَةٍ مِنْ مِصْرَ وَلَا إِلَى مِصْرَ إِلَّا بِرَأْفَةٍ  
مِنَ الشَّامِ. أَحْبَبَ طَاعًا عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ وَتَوْفِيًا مِنَ الْجَوَاسِيسِ الْعِرَاقِيِّينَ.  
وَطَرِيقُهَا فِي ضَمَانِ الْعَرَبِ قَدْ وَكَّلُوا بِحِفْظِهِ. فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَسَحُوا عَلَى  
الرَّمْلِ لَا يَبْقَى بِهِ أَثَرٌ. ثُمَّ يَأْتِي الْأَمِيرُ صَبَاحًا فَيَنْظُرُ إِلَى الرَّمْلِ فَإِنْ وَجَدَ  
بِهِ أَثَرًا طَلَبَ الْعَرَبَ بِأَحْضَارٍ مُؤَثَّرَةٍ فَيَذْهَبُونَ فِي طَلَبِهِ فَلَا يَفُوتُهُمْ  
فَيَأْتُونَ بِهِ الْأَمِيرَ فَيُعَاقِبُهُ بِمَا بَشَأَ

وَكَانَ بِهَا فِي عَهْدِ وَصُولِي إِلَيْهَا عِزُّ الدِّينِ أَسْتَاذُ الدَّارِ أَقْمَارِيٍّ مِنْ  
خِيَارِ الْأُمَرَاءِ أَضَافِيٍّ وَكَرَمِيٍّ وَأَبَاحُ الْجَوَازِ لِمَنْ كَانَ مَعِي. وَيَنْ يَدِيهِ عَبْدُ  
الْجَلِيلِ الْمَغْرِبِيُّ الْوَقَافُ وَهُوَ يَعْرِفُ الْمَغَارِبَةَ وَبِلَادَهُمْ فَيَسْأَلُ مَنْ وَرَدَ  
مِنْهُمْ مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ هُوَ لِيَلْتَأْ بِلَاسَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَغَارِبَةَ لَا بُعْثُوهَا فِي  
جَوَازِهِمْ عَلَى قَطْبِهَا

ثُمَّ سَرْنَا حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ غَزَّةَ وَهِيَ أَوَّلُ بِلَادِ الشَّامِ مِمَّا بَلِي مِصْرَ  
مُنْسَعَةً الْأَفْطَارِ كَثِيرَةً الْعَارَةَ حَسَنَةً الْأَسْوَاقِ بِهَا الْمَسَاجِدُ الْعَدِيدَةُ وَلَا  
سُورَ عَلَيْهَا. وَكَانَ بِهَا مَسْجِدٌ جَامِعٌ حَسَنٌ. وَالْمَسْجِدُ الَّذِي يُقَامُ الْآنَ بِهِ  
الْجُمُعَةُ فِيهَا بَنَاهُ الْأَمِيرُ الْمُعَظَّمُ الْجَوَارِيُّ وَهُوَ أَمِينُ الْبِنَاءِ مُحْكَمُ الصَّنْعَةِ  
وَمِنْبَرُهُ مِنَ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ وَقَاضِي غَزَّةَ بَدْرُ الدِّينِ السَّلْمِيُّ الْخُورَانِيُّ  
وَمُدَرِّسُهَا عَلَمُ الدِّينِ بْنُ سَالِمٍ. وَبَنُو سَالِمٍ كِبَرَاءُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمِنْهُمْ شَمْسُ  
الدِّينِ قَاضِي الْقُدْسِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْ غَزَّةَ إِلَى مَدِينَةِ الْخَلِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا وَهِيَ  
مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةُ كَثِيرَةٌ الْبَقْدَارِ مُشْرِفَةٌ الْأَنْوَارُ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ .  
عَجِيبَةُ الْخَبْرِ فِي بَطْنٍ وَادٍ . وَمَسْجِدُهَا أَيْقُ الصَّنْعَةِ مُحْكَمُ الْعَمَلِ . بَدِيعُ  
الْحُسْنِ . سَامِي الْأَرْتِفَاعِ مَبْنِي بِالصَّخْرِ الْمَخُوتِ فِي أَحَدِ أَرْكَانِهِ صَخْرَةٌ أَحَدُ  
أَفْطَارِهَا سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ شَبْرًا . وَيُقَالُ إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ الْجِنَّ  
بِبِنَائِهِ . وَفِي دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْغَارُ الْمَكْرَمُ الْبَقْدَسُ فِيهِ قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَيَقَالُ لَهَا قُبُورُ ثَلَاثَةِ هَيِّ قُبُورُ أَرْوَاجِهِمْ وَعَنْ  
يَمِينِ الْبَيْتِ يَلُصِقُ جِدَارِ الْقِبْلَةِ مَوْضِعٌ يَهْبِطُ مِنْهُ عَلَى دَرَجٍ رُخَامٍ  
مُحْكَمَةٍ إِلَى مَسَلِّكَ ضَيْقٍ يُفْضِي إِلَى سَاحَةِ مَفْرُوشَةٍ بِالرُّخَامِ فِيهَا صُورُ  
الْقُبُورِ الثَّلَاثَةِ وَيُقَالُ إِنَّهَا مُحَاضِنَةٌ لَهَا . وَكَانَ هُنَاكَ مَسَلِّكَ إِلَى الْغَامِرِ  
الْمُبَارَكِ وَهُوَ الْآنَ مَسْدُودٌ وَقَدْ نَزَلَتْ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مَرَّاتٍ

ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ الرَّمْلَةِ وَهِيَ فَلَسْطِينُ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ . كَثِيرَةٌ  
الْخَبَرَاتِ . حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ . وَبِهَا أَجْمَاعُ الْأَيَّامِ وَيُقَالُ لَهَا فِي قِبْلَتِهِ  
ثَلَاثُ مِائَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَذْفُونِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَفِيهَا مِنْ كِبَارِ الْفَتَاهِ  
مُحَمَّدُ الدِّينِ النَّابُلْسِيُّ . ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ نَابُلُسَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ  
كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ . مُطَرِدَةُ الْأَنْهَارِ . مِنْ أَكْثَرِ بِلَادِ الشَّامِ زَيْتُونًا . وَمِنْهَا  
يُجَمَلُ الزَّيْتُ إِلَى مِصْرَ وَدِمَشْقَ . وَبِهَا تُصْنَعُ حُلُوكُ الْخَرْوبِ وَيُجَلَّبُ  
إِلَى دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا . وَكَيْفِيَّةُ عَمَلِهَا أَنَّ بُطِخَ الْخَرْوبِ ثُمَّ يُعَصَّرُ وَيُؤْخَذَ  
مَا يُخْرَجُ مِنْهُ مِنَ الرَّبِّ فَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحُلُوكُ وَيُجَلَّبُ ذَلِكَ الرَّبُّ أَيْضًا إِلَى  
مِصْرَ وَالشَّامِ . وَبِهَا الْبُطِخُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا وَهُوَ طَيِّبٌ عَجِيبٌ . وَمَسْجِدُهَا



الْجَامِعُ فِي نَهَائِهِ مِنَ الْإِتْقَانِ وَالْحُسْنِ . وَفِي وَسْطِهِ بَرَكَةُ مَاءٍ عَذْبٍ . ثُمَّ سَافَرَتْ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةٍ عَجَلُونَ وَهِيَ بِنْعَمِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ . وَهِيَ مَدِينَةُ حَسَنَةَ لَهَا أَسْوَاقٌ كَثِيرَةٌ . وَقَلْعَةٌ خَطِيبَةٌ وَبِشْقِهَا نَهْرٌ مَاءُهُ عَذْبٌ . ثُمَّ سَافَرَتْ مِنْهَا بِقَصْدِ اللَّادِغِيَّةِ فَهَرَرَتْ بِالْفُورِ وَهُوَ وَاِدَّيْنِ نَلَالٍ بِهِ قَبْرُ أَبِي عُمَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ أَمِينِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زُرْنَاهُ وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ فِيهَا الطَّعَامُ لِإِبْنَاءِ السَّبِيلِ وَبَيْنَنَا هُنَاكَ لَبْلَةٌ ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى الْفَصِيرِ وَبِهِ قَبْرُ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . تَبَرَّكْتَ أَيْضًا بِزِيَارَتِهِ

ثُمَّ سَافَرْتُ عَلَى السَّاحِلِ فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةٍ عَكَّةَ وَهِيَ خَرَابٌ . وَكَانَتْ عَكَّةُ قَاعَةً يَلَادُ الْأَفْرَنْجُ بِالشَّامِ وَمَرَسَى سُفُنِهِمْ وَتُشْبِهُ فُسْطَاطِيْنِيَّةَ الْعُظْمَى وَبِشْرِفِهَا عَيْنٌ مَاءٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ الْبَغْرِ . يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْرَجَ مِنْهَا الْبَقْرَةَ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُنْزَلُ إِلَيْهَا فِي حَرَجٍ . وَكَانَ عَلَيْهَا مَسْجِدٌ بَقِيَ مِنْهُ مِحْرَابُهُ وَبِهِذِهِ الْمَدِينَةِ قَبْرُ صَالِحٍ ع . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ صُورَ وَهِيَ خَرَابٌ وَبِخَارِجِهَا قَرْيَةٌ مَعْبُورَةٌ وَكَثَرُ أَهْلِهَا شِيعِيُونَ وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِهَا مَرَّةً عَلَى بَعْضِ الْبِيَاهِ أُرِيدُ الْوُضُوءَ . فَأَتَى بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ لِيَتَوَضَّأَ فَبَدَأَ بِغَسْلِ رِجْلِي ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَلَمْ يَمْتَضِضْ وَلَا أَسْتَنْشِقْ . ثُمَّ مَسَحَ بَعْضُ رَأْسِهِ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهِ فَقَالَ لِي إِنَّ الْبِيَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ أَيْدَادُوهُ مِنَ الْأَسَاسِ . وَمَدِينَةُ صُورَ هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحَصَانَةِ وَالْمُنْعَةِ لِأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا وَلَهَا بَابَانِ أَحَدُهُمَا لِلْبَرِّ وَالثَّانِي لِلْبَحْرِ . وَلِبَابِهَا الَّذِي بَشَرَعُ لِلْبَرِّ أَرْبَعَةُ فُصْلَانِ كُلُّهَا فِي سَتَائِرِ مُحِيطَةٍ بِالْبَابِ . وَأَمَّا الْبَابُ الَّذِي لِلْبَحْرِ فَهُوَ بَيْنَ بُرْجَيْنِ عَظِيمَيْنِ

وَبَنَاتُهَا لَيْسَ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا أَحَبُّ وَلَا أَعْرَبُ شَأْنًا مِنْهُ لِأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ  
بِهَآئِنِ ثَلَاثَ جِهَاتِهَا . وَعَلَى أُنْجُمَةِ الرَّابِعَةِ سُورَةٌ تَدْخُلُ السُّفُنُ تَحْتَ  
السُّورِ وَتَرْسُو هُنَاكَ . وَكَانَ فِيهَا تَقْدَمَ بَيْنَ الْبُرْجَيْنِ سِلْسَلَةٌ حَدِيدٌ  
مُعْرِضَةٌ لَأَسْبِيلَ إِلَى الدَّخْلِ هُنَاكَ وَلَا إِلَى الْخَارِجِ إِلَّا بَعْدَ حَطِّهَا  
وَكَانَ عَلَيْهَا الْحُرَاسُ وَالْأَمَنَاءُ فَلَا يَدْخُلُ دَاخِلُ وَلَا يَخْرُجُ خَارِجٌ إِلَّا عَلَى  
عِلْمٍ مِنْهُمْ . وَكَانَ لِعَمَلِكَةٍ أَيْضًا مِثْلُهَا وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَحْمِلُ إِلَّا السُّفُنَ الصِّغَارَ  
ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ صَيْدَا وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَسَنَةٌ  
كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ يُحْمَلُ مِنْهَا اللَّيْنُ وَالزَّيْبُ وَالزَّيْتُ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ . نَزَلْتُ  
عِنْدَ قَاضِيهَا كَمَالِ الدِّينِ الْأَشْمُونِيِّ الْمِصْرِيِّ وَهُوَ حَسَنُ الْأَخْلَاقِ كَرِيمُ  
النَّفْسِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ طَبْرِيةَ . وَكَانَتْ فِيهَا مَضَى مَدِينَةِ  
كَيْسَ فَضْحَةٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رُسُومٌ تُنْبِئُ عَلَى صُخَّامِهَا وَعِظَمُ شَأْنِهَا .  
وَبِهَا الْحُمَامَاتُ الْعَجِيبَةُ لَهَا يَتَانِ أَحَدُهُمَا لِلرِّجَالِ وَالْآخَرُ لِلنِّسَاءِ وَمَاؤُهَا  
شَدِيدُ الْحَرَارَةِ وَلَهَا الْبَحِيرَةُ الشَّهِيدَةُ طُولُهَا تَحْوِصُ سِتَّةَ فَرَاسِخَ وَعَرَضُهَا  
أَزِيدُ مِنْ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ . وَبِطَبْرِيةَ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِ قَبْرُ  
شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنَتُهُ زَوْجَةُ مُوسَى الْكَلِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ سُلَيْمَانَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ يَهُوذَا وَقَبْرُ رُوبِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ .  
وَقَصَدْنَا مِنْهَا زِيَارَةَ الْحَبِّ الَّذِي أُلْقِيَ فِيهِ يُوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَهُوَ  
فِي صَحْنٍ مَسْجِدٍ صَغِيرٍ وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ وَالْحَبُّ كَبِيرٌ عَمِيقٌ شَرِبْنَا مِنْ مَائِهِ  
الْمُجْتَمِعِ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ وَأَخْبَرْنَا فِيهِ أَنَّ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْهُ أَيْضًا  
ثُمَّ سَرْنَا إِلَى مَدِينَةِ يَرُوتَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ . حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَجَامِعُهَا بَدِيعٌ

أَحْسَنُ وَتُجَلَّبُ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ الْقَوَاكِي وَالْحَدِيدُ. وَفَصَدْنَا مِنْهَا زِيَارَةَ  
قَبْرِ أَبِي بَعْنُوبَ يُوسُفَ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَهُوَ  
بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِكَرْكِ نُوحٍ مِنْ بَقَاعِ الْعَزِيزِ. وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ يُطْعَمُ بِهَا  
الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ وَيُقَالُ إِنَّ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ وَقَفَ عَلَيْهَا الْآوَقَافَ.  
وَقِيلَ السُّلْطَانُ نُورُ الدِّينِ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ يَنْسُجُ  
الْحَصْرَ وَيَقْنَتُ بِشَهَا

### حِكَايَةُ أَبِي بَعْنُوبَ يُوسُفَ الْمَذْكُورِ

بُحِكِّي أَنَّهُ دَخَلَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ فَبَرِضَ بِهَا مَرَضًا شَدِيدًا وَأَقَامَ  
مَطْرُوحًا بِالْأَسْوَاقِ. فَلَمَّا بَرَأَ مِنْ مَرَضِهِ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ دِمَشْقَ لِيَلْتَمِسَ  
بُسْتَانًا يَكُونُ حَارِسًا لَهُ فَاسْتَوْجَرَ لِحِرَاسَةِ بُسْتَانِ لِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ.  
وَأَقَامَ فِي حِرَاسَتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي آوَانِ الْقَاكِيَةِ أَتَى السُّلْطَانُ إِلَى  
ذَلِكَ الْبُسْتَانِ وَأَمَرَ وَكِيلَ الْبُسْتَانِ أَبَا بَعْنُوبَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِرُمَانٍ يَأْكُلُ مِنْهُ  
السُّلْطَانُ. فَأَتَاهُ بِرُمَانٍ فَوَجَدَهُ حَامِضًا. فَأَمَرَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِغَيْرِهِ فَفَعَلَ  
ذَلِكَ فَوَجَدَهُ أَيْضًا حَامِضًا. فَقَالَ لَهُ الْوَكِيلُ: أَنْتَ كُنْتَ فِي حِرَاسَةِ الْبُسْتَانِ  
مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْرِفُ الْحُلُومِينَ الْحَامِضِينَ: فَقَالَ إِنَّمَا اسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى  
الْحِرَاسَةِ لَا عَلَى الْأَكْلِ. فَأَتَى الْوَكِيلُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ. فَبَعَثَ  
إِلَيْهِ الْمَلِكُ وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَ أَبِي بَعْنُوبَ وَتَحْصُلُ  
لَهُ مِنْهُ فَائِدَةٌ فَتَفَرَّسَ أَنَّهُ هُوَ فَقَالَ لَهُ. أَنْتَ أَبُو بَعْنُوبَ قَالَ نَعَمْ. فَقَامَ  
إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَاجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ. ثُمَّ أَحْمَلَهُ إِلَى مَجْلِسِهِ. فَأَصَافَهُ بِضِيَاقِهِ  
مِنَ الْحَالِ الْمَكْتَسَبِ بِكَدِّ يَمِينِهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ

فَارَا بِنَفْسِهِ فِي أَوَانِ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ. فَأَتَى قَرِيبَةً مِنْ قُرَاهَا وَكَانَ بِهَا رَجُلٌ  
 مِنَ الضُّعَفَاءِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النُّزُولَ عِنْدَهُ فَفَعَلَ وَصَنَعَ لَهُ مَرْقَةً وَذَبَحَ لَهُ  
 دَجَاجَةً فَأَتَاهُ بِهَا وَبَحْزٍ شَعِيرٍ. فَأَكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَدَعَا لِلرَّجُلِ وَكَانَ  
 عِنْدَهُ جُمْلَةُ أَوْلَادٍ مِنْهُمْ بَنَتْ قَدْ أَنْ بَنَاهُ زَوْجَهَا عَلَيْهَا. وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي  
 تِلْكَ الْيَلَدِ أَنْ الْبَيْتَ يُجَهِّزُهَا أَبُوهَا وَيَكُونُ مُعْظَمُ الْأَجْهَازِ أَوَانِي الْتَحَاسِ  
 وَبِهِ يَتَفَاخَرُونَ وَبِهِ يَتَبَايَعُونَ. فَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ لِلرَّجُلِ: هَلْ عِنْدَكَ  
 شَيْءٌ مِنَ التَّحَاسِ قَالَ نَعَمْ: قَدْ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ لِيَجْهِّزَ هَذِهِ الْبَيْتَ: قَالَ أَتَيْتَنِي  
 بِهِ: فَأَتَاهُ بِهِ: فَقَالَ لَهُ: اسْتَعِرْ مِنْ جِيرَانِكَ مَا أَمْكَنَكَ مِنْهُ: فَفَعَلَ وَأَخْضَرَ  
 ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّيِّرَانَ وَأَخْرَجَ صُخْرًا كَانَتْ عِنْدَهُ فِيهَا الْإِكْسِيرُ  
 فَطَرَحَ مِنْهُ عَلَى التَّحَاسِ فَعَادَ كُلُّهُ ذَهَبًا وَتَرَكَهُ فِي بَيْتٍ مُغْفَلٍ وَكَتَبَ كِتَابًا  
 إِلَى نُورِ الدِّينِ مَلِكِ دِمَشْقَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ وَيُنَبِّئُهُ عَلَى بِنَاءِ مَارِسْتَانَ  
 لِلْمَرْضَى مِنَ الْغُرَبَاءِ وَيُوقِفَ عَلَيْهِ الْأَوْقَافَ وَيُنِيَّ الزَّوَايَا بِالطَّرِيقِ وَيَرْضَى  
 أَصْحَابَ التَّحَاسِ وَيُعْطِي صَاحِبَ الْبَيْتِ كِفَايَتَهُ: وَقَالَ لَهُ فِي آخِرِ الْكِتَابِ  
 وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَذْهَمَ قَدْ خَرَجَ عَنْ مُلْكِ خُرَاسَانَ فَأَنَا قَدْ خَرَجْتُ  
 مِنْ مُلْكِ الْمَغْرِبِ وَعَنْ هَذِهِ الصُّنْعَةِ وَالسَّلَامُ. وَفَرَّ مِنْ جِيبِهِ وَذَهَبَ  
 صَاحِبُ الْبَيْتِ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ. فَوَصَلَ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ  
 الْفَرِيقَةِ وَأَخْتَمَ الذَّهَبَ بَعْدَ أَنْ أَرْضَى أَصْحَابَ التَّحَاسِ وَصَاحِبَ الْبَيْتِ  
 وَطَلَبَ أَبَا يَعْقُوبَ فَلَمْ يَجِدْهُ أَثَرًا وَلَا وَقَعَ لَهُ عَلَى خَبَرِهِ. فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ  
 وَبَنَى الْمَارِسْتَانَ الْمَعْرُوفَ بِاسْمِهِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَعْمُورِ مِنْهُ  
 ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُسَ وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الشَّامِ. وَبُلْدَانِهَا

الضخام. فَنَحَرِفُهَا الْأَنْهَارُ. وَنَحْنُهَا الْبَسَائِنُ وَالْأَشْجَارُ. وَنَكْنُهَا الْبَحْرُ  
بِهَرِافِهِ الْعَبِيَّةِ. وَالْبَرْ بِخَيْرَانِهِ الْهَيْبَةِ. وَلَهَا الْأَسْوَاقُ الْعَجِيَّةُ. وَالْمَسَارِخُ  
الْخَصِيَّةُ. وَالْبَحْرُ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْهَا وَهِيَ حَدِيثَةُ الْبِنَاءِ. وَأَمَّا طَرَابُلُسُ  
الْقَدِيمَةُ فَكَانَتْ عَلَى ضَفَةِ الْبَحْرِ وَتَمَلَّكَهَا الرُّومُ زَمَانًا. فَلَمَّا اسْتَرْجَعَهَا الْمَلِكُ  
الظَّاهِرُ خَرَبَتْ وَاتَّخَذَتْ هَذِهِ التَّحْدِيثَةَ. وَبِهِذِهِ الْمَدِينَةِ نَحْوُ أَرْبَعِينَ مِنْ أَمْرَاءِ  
الْأَنْزَاكِ وَأَمِيرُهَا طَبْلَانُ الْحَاجِبُ الْمَعْرُوفُ بِمَلِكِ الْأَمْرَاءِ وَمَسْكَنُهُ مِنْهَا  
بِالدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ السَّعَادَةِ. وَمِنْ عَوَائِدِهِ أَنْ يَرْكَبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ  
وَحَمِيسٍ وَيَرْكَبَ مَعَهُ الْأَمْرَاءُ وَالْعَسَاكِرُ وَيَخْرُجَ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا  
عَادَ إِلَيْهَا وَقَارَبَ الْوُصُولَ إِلَى مَتَرِلِهِ تَرَجَّلَ الْأَمْرَاءُ وَنَزَلُوا عَنْ دَوَابِّهِمْ  
وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَ مَتَرِلُهُ وَيَنْصَرِفُونَ. وَتَضَرَّبُ الطَّبْلُخَانَةُ عِنْدَ  
دَارِ كُلِّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ بَعْدَ صَلَوةِ الْمَغْرِبِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ. وَتُوقَدُ الْمَشَاعِلُ.  
وَمِنْ كَانَ يَهْمًا مِنَ الْأَعْلَامِ كَاتِبُ السِّرِّ بِهَاكَ الدِّينِ بْنُ غَانِمٍ أَحَدُ الْفَضَلَاءِ  
الْمُحَبَّسَاءِ مَعْرُوفٌ بِالسَّخَاءِ وَالْكَرَمِ. وَأَخُوهُ حُسَامُ الدِّينِ هُوَ شَيْخُ الْقُدْسِ  
الشَّرِيفِ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَأَخُوهُمَا عَلَاءُ الدِّينِ كَاتِبُ السِّرِّ بِدِمَشْقَ وَمِنْهُمْ  
وَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ قَوَامُ الدِّينِ بْنُ مَكِينٍ مِنْ أَكَابِرِ الرِّجَالِ. وَمِنْهُمْ قَاضِي  
قُضَايَا شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ النُّفَيْسِ مِنْ أَعْلَامِ عُلَمَاءِ الشَّامِ. وَبِهِذِهِ الْمَدِينَةِ  
حَمَامَاتُ حَسَانٍ مِنْهَا حَمَامُ الْقَاضِي الْفَرَمِيِّ وَحَمَامُ سَنَدُورٍ. وَكَانَ سَنَدُورُ  
أَمِيرُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَيَذْكُرُ عَنْهُ أَخْبَارُ كَثِيرَةٌ فِي الشِّعْرِ عَلَى أَهْلِ الْخَبَائِبَاتِ مِنْهَا  
أَنَّ أَمْرَأَةً شَكَّتْ إِلَيْهِ بِأَنَّ أَحَدَ مَا لَيْكِهِ الْخَوَاصِ تَعَدَّى عَلَيْهَا فِي لَبَنِ كَانَتْ  
تَبِيعُهُ فَشَرِبَهُ وَلَمْ تَكُنْ لَهَا بَيِّنَةٌ. فَأَمَرَهُ بِفَوْسَطٍ فَخَرَجَ اللَّبَنُ مِنْ مُصْرَانِهِ.

وَقَدْ اتَّفَقَ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ لِلْعُنْرِيسِ أَحَدِ امْرَأَاتِ أَبْنَاءِ النَّاصِرِ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ  
عَلَى عَيْذَابٍ وَاتَّفَقَ مِثْلُهَا لِلْمَلِكِ بَيْكُ سُلَيمَانَ بْنِ سُلَيمَانَ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْ طَرَابُلُسَ إِلَى حِصْنِ أَمَّ دُورٍ وَهُوَ بَلَدٌ صَغِيرٌ كَثِيرُ  
الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ بِأَعْلَى تَلٍّ وَبِهِ زَائِدَةٌ مِنْ بَزَاوِيَةِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ نِسْبَةً  
إِلَى بَعْضِ كِبَرَاءِ الْأُمَرَاءِ وَتَزَلُّهُ بِهَا سَاضِيهَا وَلَا أَحَقُّقُ الْآنَ اسْمُهُ. ثُمَّ  
سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ حِصْنِ وَهْبٍ مَدِينَةٌ مُلِيحَةٌ أَرْجَاؤُهَا مُوَنَقَةٌ. وَأَشْجَارُهَا  
مُورَقَّةٌ. وَأَسْوَاقُهَا فَسِيحَةٌ أَلْوَنَةٌ. وَجَامِعُهَا مُتَمَيِّزٌ بِالْحُسْنِ الْجَمِيعِ.  
وَفِي وَسْطِهِ بَرَكَةُ مَاءٍ. وَأَهْلُهَا حَمِيدٌ عَرَبٌ لَهُمْ فَضْلٌ وَكَرَمٌ وَبِخَارِجِ  
هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَبْرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبِهِ زَاوِيَةٌ وَمَسْجِدٌ وَعَلَى الْقَبْرِ  
كِسْوَةٌ سَوْدَاءُ. وَقَاضِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ جَمَالُ الدَّيْرِ السَّيِّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ  
النَّاسِ صُورَةٌ وَأَحْسَنُهُمْ سِيرَةً. ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ سَمَّاهُ وَاحِدًا  
أُمَهَاتِ الشَّامِ الرَّفِيعَةِ. وَبَدَائِنُهَا الْبَدِيعَةِ. ذَاتُ الْمُحْسَنِ الرَّائِقِ. وَالْجَمَالِ  
الْفَائِقِ. تَحْتِهَا الْبَسَاتِينُ وَالْجَنَاحَاتُ. عَلَيْهَا النُّوَاغِيرُ كَأَلْفِ أَفْلَاقِ الدَّائِرَاتِ  
يَشْفُهَا النَّهْرُ الْعَظِيمُ الْمَسْمِيُّ بِالْعَاصِي. وَلَهَا رِبْضٌ سَمِيٌّ بِالْمَنْصُورِيَّةِ أَعْظَمُ  
مِنَ الْمَدِينَةِ فِيهِ الْأَسْوَاقُ الْحَافِلَةُ وَالْحَمَامَاتُ الْإِحْسَانُ. وَبِحِجَاةِ الْقَوَاكِي  
الْكَثِيرَةِ وَمِنْهَا الْبَشِيشُ الْوَزِي إِذَا كَثُرَتْ نَوَاتُهُ وَجِدَتْ فِي دَاخِلِهَا  
لَوْزَةٌ حُلْوَةٌ

ثُمَّ سَرْنَا إِلَى مَدِينَةِ حَلَبَ الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى وَالْفَاعِدَةِ الْعُظْمَى. قَالَ أَبُو  
الْحُسَيْنِ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي وَصْفِهَا. قَدَرُهَا خَطِيرٌ. وَذِكْرُهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ  
يَطِيرُ. خَطَابُهَا مِنَ الْمُلُوكِ كَثِيرٌ. وَمَحَلُّهَا مِنَ النَّفُوسِ أَثِيرٌ. فَكَمْ هَاجَتْ

مِنْ كِفَاجٍ . وَسَلَّ عَلَيَّاهَا بِنُ بِيضِ الصَّفَاحِ . لَهَا قَلْعَةٌ شَهِيدَةٌ لِامْتِنَاعِ .  
 بَابِئِنَّهُ الْإِزْتِنَاعِ . تَنْزَهَتْ تَمَانَةً أَنْ تُرَامَ أَوْ تُسْتَطَاعَ . مَخُوتَةُ الْأَرْجَاءِ .  
 مَوْضُوعَةٌ عَلَى نِسْبَةِ آعِيدَارٍ وَتَنْوَاهِ . قَدْ طَاوَلَتْ الْأَيَّامَ وَالْأَعْوَامَ .  
 وَشَبَعَتْ الْخَوَاصَّ وَالْعَوَامَ . أَمَّا مَرَاوَاهَا الْحَمْدَانِيُّونَ وَشُعْرَاوَاهَا .  
 فَفِي جَمِيعِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بِنَاوَاهَا . دُ الْبِلَادِ تَبَنَّى وَيَذْهَبُ أَمْلَاكُهَا .  
 وَيَهْلِكُونَ وَلَا يَقْضَى هَلَاكُهَا . وَنَحْنُ نَدْمُهُمْ فَلَا يَتَعَدَّرُ أَمْلَاكُهَا .  
 وَتُرَامُ فَيَتَبَسَّرُ بِأَهْوَنِ شَيْءٍ إِذْ رَأَتْهَا . مَدِيَّةٌ حَلَبٌ كَمْ أَذْخَلَتْ مُلُوكَهَا فِي  
 خَيْرِ كَانٍ . وَنَسَخَتْ صَرْفَ الزَّمَانِ بِأَمَانٍ . أُنِيتُ أَسْمَاءُ فَتَحَلَّتْ بِحِلْيَةِ الْغَوَانِ .  
 وَدَانَتْ بِالْعُدْرِ فَيَمْنِ دَارٍ . وَتَجَرَّتْ عَرُوسًا بَعْدَ سَيْفِ دَوْلَتِهَا أَبْنِ  
 دَانٍ . هَيْبَاتٍ سَهَرٌ تَسَاهَا . وَبُعْدُ خِطَابِهَا . وَيُسْرَعُ فِيهَا بَعْدَ حِينِ  
 سَرَابِهَا . وَتَبَنَّى الشَّهْبَاءُ . وَبَدَا خِلَافُهَا جُبَانٌ يَنْبَعُ مِنْهَا الْمَاءُ .  
 فَلَا حَرَّ أُنْشِدَ . وَيُطِيفُ بِهَا سُورَانٍ . وَعَلَيْهَا خَنْدَقٌ عَظِيمٌ يَنْبَعُ مِنْهُ  
 الْمَاءُ . وَسُورُهَا مُنْدَانِي الْأَبْرَاجِ . وَقَدْ أَنْتَضَيْتْ بِهَا الْعَلَالِي الْعَجِيبَةُ  
 الْمُنْتَحَةُ الطَّبَقَانِ . وَكُلُّ بُرْجٍ مِنْهَا مَسْكُونٌ وَالطَّعَامُ لَا يَتَغَيَّرُ فِيهِ الْقَلْعَةُ  
 عَلَى طُولِ الْعَهْدِ . وَبِهَا مَشْهُدٌ بِقِصَّةِ بَعْضِ النَّاسِ . يُقَالُ إِنَّ الْخَلِيلَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتَعَبَّدُ بِهِ . وَهَذِهِ الْقَلْعَةُ تُشَبِّهُ قَلْعَةَ رَجَبَةَ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ  
 الَّتِي عَلَى الْفَرَاتِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا قَصَدَ قَارَانُ طَاغِيَةُ التَّنِيرِ  
 مَدِينَةَ حَلَبَ حَاصِرُهُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ أَيَّامًا وَنَكَصَ عَنْهَا خَائِبًا . قَالَ ابْنُ جُزَيْ  
 وَفِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ يَقُولُ الْخَلِيدِيُّ شَاعِرُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ  
 وَخَرَفَاءُ قَدْ قَامَتْ عَلَى مَنْ يَرُومُهَا يَبْرُقُهَا الْعَالِي وَجَانِبُهَا الصَّعْبُ

يُخْرِجُ عَلَيْهَا الْجَوْجِيبَ غَمَامِهِ وَيُلِيسُهَا عِقْدًا بِأَنْجَبِهِ الشَّهْبِ  
 إِذَا مَا سَرَى بَرْقُ بَدَتْ مِنْ خِلَالِهِ كَمَا لَاحَتْ الْعَذْرَاءُ مِنْ خِلَالِ الشَّحْبِ  
 فَكَمْ مِنْ جُنُودٍ قَدْ أَمَاتَتْ بِغُصَّةٍ وَذِي سَطَوَاتٍ قَدْ أَبَانَتْ عَلَى عَقَبِ  
 رَجَعٍ وَيَقَالُ فِي مَدِينَةِ حَلَبَ حَلَبَ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ التَّحْلِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
 وَسَلَامُهُ كَانَ يَسْكُنُهَا وَكَانَتْ لَهُ الْغَنَمُ الْكَثِيرَةُ فَكَانَ يَسْفِي الْفَرَاقَةَ  
 وَالْمَسَاكِينَ وَالْوَارِدَ وَالصَّادِرَ مِنَ الْبُلَايَا. فَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ وَيَسْأَلُونَ  
 حَلَبَ إِبْرَاهِيمَ فَسَبَّيْتُ بِذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَعَزِّ الْبِلَادِ الَّتِي لَا تَظِيرُ لَهَا فِي  
 حُسْنِ الْوُضْعِ وَاتِّقَانِ التَّرْتِيبِ وَاتِّسَاعِ الْأَسْوَاقِ وَانْتِظَامِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.  
 وَأَسْوَاقُهَا مُسْتَفْتَةٌ بِالْخَشَبِ. فَأَهْلُهَا دَائِمًا فِي ظِلِّ مَهْدُودٍ. وَقَيْسَارِيَّتُهَا  
 لَا تُمَاقِلُ حُسْنَ وَكِبَارَ وَهِيَ تُحِيطُ بِمَسْجِدِهَا. وَكُلُّ سِمَاطٍ مِنْهَا مُحَادَى لِبَابٍ  
 مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ. وَمَسْجِدُهَا الْجَامِعُ مِنْ أَجْمَلِ الْمَسَاجِدِ. فِي صَحْنِهِ بَرَكَةٌ  
 مَاءٌ وَيُطَبِّفُ بِهِ بَلَاطٌ عَظِيمٌ لَا تَسَاعُ. وَمِنْبَرُهَا بِدِيعُ الْعَمَلِ. مُرْصَعٌ  
 بِالْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ. وَيُقَرَّبُ جَامِعُهَا مَدْرَسَةٌ مُنَاسِبَةٌ لَهُ فِي حُسْنِ الْوُضْعِ  
 وَاتِّقَانِ الصَّنْعَةِ تُنسَبُ لِأَمْرَأَةٍ بِنِي حَمْدَانَ. وَبِالْبَلَدِ سِوَاهَا ثَلَاثُ مَدَارِسَ  
 وَبِهَا مَارِسَتَانُ. وَأَمَّا خَارِجُ الْمَدِينَةِ فَهُوَ بَسِيطٌ أَفْجَعُ عَرِضٌ بِهِ الْمَزَارِعُ  
 الْعَظِيمَةُ وَشَجَرَاتُ الْأَعْنَابِ مُنْتَظِمَةٌ بِهِ. وَالْبَسَاتِينُ عَلَى شَاطِئِ مَهْرَهَا.  
 وَهُوَ النَّهْرُ الَّذِي يَهْرُ بِحِمَاةٍ وَيُسَمَّى الْعَاصِي. وَقِيلَ إِنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ  
 يُجْعَلُ لِنَاطِئِهِ أَنْ جَرِيَانَهُ مِنْ أَسْفَلٍ إِلَى عَلْوٍ. وَالنَّفْسُ تَجِدُ فِي خَارِجِ  
 مَدِينَةِ حَلَبَ أَنْشَرًا حَاسِرُورًا وَنَشَاطًا لَا يَكُونُ فِي سِوَاهَا وَهِيَ مِنْ  
 الْمَدِينِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْخَلَافَةِ. قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ أَطْنَبَتِ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ



مَحَاسِنِ حَلَبَ وَذَكَرَ دَاخِلَهَا وَخَارِجَهَا . وَفِيهَا يَقُولُ أَبُو عِبَادَةَ الْبُحَيْرِيُّ  
يَا بَرْقُ اسْفِرْ عَنْ فَوَيْقِي مَطَالِي حَلَبُ فَأَعْلَى الْقَصْرِ مِنْ بَطْبَاسٍ  
عَنْ مَنبَتِ الْوَرْدِ الْمُعْصِفِ صِبْغُهُ فِي كُلِّ ضَاحِيَةٍ وَجَنَفِ الْأَسْرِ  
أَرْضُهُ إِذَا اسْتَوْحَشْتُمْ يَتَذَكَّرُ حَشَدَتْ عَلَيَّ فَأَكْثَرْتُ إِبْنَائِي  
وَقَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ أَحْمَدُ أَبُو بَكْرٍ الصَّنَوْبَرِيُّ

سَفَى حَلَبُ الْهَزْنَ مَغَى حَلَبُ فَكَمْ وَصَلَتْ طَرَبًا بِالطَّرَبِ  
وَكَمْ مُسْتَطَابٍ مِنَ الْعَيْشِ لَدَى بِهَا إِذَا بِهَا الْعَيْشُ لَمْ يُسْتَطَبْ  
إِذَا نَشَرَ الزَّهْرُ أَعْلَامَهُ بِهَا وَمَطَارْفُهُ وَالْعَذَبُ  
غَدَا وَحَوَاشِيهِ مِنْ فِضَّةٍ تَرُوقُ وَأَوْسَاطُهُ مِنْ ذَهَبِ  
ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى جَبَلِ لُبْنَانَ وَهُوَ مِنْ أَحْصَبِ جِبَالِ الدُّنْيَا . فِيهِ أَصْنَافُ  
النَّوَاكِبِ وَعُيُونُ الْمَاءِ وَالظِّلالُ الْوَافِقُ . وَلَا يَجْلُو مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ  
تَعَالَى وَالزُّهَادِ وَالصَّالِحِينَ وَهُوَ شَهِيرٌ بِذَلِكَ . وَرَأَيْتُ بِهِ جَمَاعَةً مِنَ  
الصَّالِحِينَ قَدْ انْقَطَعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ لَمْ يَشْهَرِ اسْمُهُ

### حِكَايَةُ

أَخْبَرَنِي بَعْضُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَقِينَهُمْ بِهِ قَالَ : كُنَّا بِهَذَا الْجَبَلِ مَعَ  
جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ أَيَّامَ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ . فَأَوْقَدْنَا نَارًا عَظِيمَةً وَأَحْدَقْنَا بِهَا  
فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ بَصِّلْ لِهَذِهِ النَّارِ مَا يُشَوِّسُ فِيهَا : فَقَالَ أَحَدُ  
الْفُقَرَاءِ مِنْ تَزَدَرِيهِ الْأَعْيُنُ وَلَا يُوبَهُ بِهِ . إِنِّي كُنْتُ عِنْدَ صَلَوةِ الْعَصْرِ  
يَمْتَعِدُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَذْهَمَ فَرَأَيْتُ بِمَقَرَّبَةٍ مِنْهُ حِمَارٌ وَحَشِي قَدْ أَحْدَقَ  
الْقَلْبُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَظْنُهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَاتِ فَلَوْ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ لَقَدَرْتُمْ

عَلَيْهِ وَشَوِينَا لَحْمَهُ فِي هَذِهِ النَّارِ. قَالَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فِي خَمْسَةِ رَجَالٍ فَأَلْتَمَيْنَاهُ  
كَأَوْصَفِ إِلَيْنَا. فَفَبَضَّضْنَاهُ وَأَتَيْنَاهُ أَصْحَابَنَا وَذَبَحْنَاهُ وَأَشْوَيْنَا لَحْمَهُ فِي  
تِلْكَ النَّارِ وَطَلَبْنَا الْفَقِيرَ الدَّيْسَ نَبَّهَ عَلَيْهِ فَلَمْ نَحْذَهُ وَلَا وَقَعْنَا لَهُ عَلَى أَنْثَرِ  
فَقَالَ عَجَبْنَا مِنْهُ

ثُمَّ وَصَلْنَا مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ إِلَى مَدِينَةِ بَعْلَبَكْ. وَهِيَ حَسَنَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ  
أَطْيَبِ مَدَنِ الشَّامِ. نَحْدِقُ بِهَا الْبَسَائِينَ الشَّرِيفَةَ. وَالْجَنَّاتِ الْمُهَيَّبَةَ.  
وَنَحْدِقُ أَرْضَهَا الْأَنْهَارَ الْجَارِيَةَ. وَنُضَاهِي دِمَشْقَ فِي خَيْرَاتِهَا الْمَتَنَاهِيَةَ.  
وَبِهَا مِنْ حَبِّ الْمَلُوكِ مَا لَيْسَ فِي سِوَاهَا. وَبِهَا يُصْنَعُ الدِّبْسُ الْمُنْسُوبُ  
إِلَيْهَا وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الرُّبِّ يُصْنَعُونَهُ مِنَ الْعِنَبِ. وَلَهُمْ ثَرْتَةٌ يَصْعُونَهَا فِيهِ  
فَيَحْمِدُونَ تَكْسِرُ الْقُلَّةُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا قَبْنَى فِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحُلُوءُ  
وَيُجْعَلُ فِيهَا الْفُسْتُقُ وَاللُّوزُ وَيُسَمُّونَ حُلُوءَهُ بِالْمَلْبَنِ. وَهِيَ كَثِيرَةٌ  
الْأَلْبَانِ وَتُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ يَوْمٍ لِلْحَجَّادِ. وَأَمَّا الرِّقَاقُ  
فَيَخْرُجُونَ مِنْ بَعْلَبَكْ فَيَسْتَبْنُونَ بِبَيْلَتِهِ صَغِيرَةٍ تُعْرَفُ بِالزَّبْدَانِي كَثِيرَةٍ  
الْقَوَاكِهَ وَبَغْدُونَ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ. وَيُصْنَعُ بِبَعْلَبَكْ الثِّيَابُ الْمُنْسُوبَةُ  
إِلَيْهَا مِنَ الْإِحْرَامِ وَغَيْرِهِ وَيُصْنَعُ بِهَا أَوَانِي الْخَشَبِ وَمَلَاعِقُهُ الَّتِي لَا نَظِيرَ  
لَهَا فِي الْبِلَادِ وَهُمْ يَسَمُّونَ الصِّحَافَ بِالدُّسُوبِ وَرُبَّمَا صَنَعُوا الصَّخْفَةَ وَصَنَعُوا  
صَخْفَةً أُخْرَى تَسْبَعُ فِي جَوْفِهَا وَأُخْرَى فِي جَوْفِهَا إِلَى أَنْ يَبْلَغُوا الْعَشْرَةَ  
يُحْبَلُ لِرَأْيِهَا أَنَّهَا صَخْفَةٌ وَاحِدَةٌ. وَكَذَلِكَ الْمَلَاعِقُ يَصْنَعُونَ مِنْهَا عَشْرَةَ  
وَاحِدَةً فِي جَوْفِ وَاحِدَةٍ وَيَصْنَعُونَ لَهَا غِشَاءً مِنْ جِلْدٍ وَيَهْسِكُهَا الرَّجُلُ  
فِي حِزَامِهِ. وَإِذَا حَضَرَ طَعَامًا مَعَ أَصْحَابِهِ أَخْرَجَ ذَلِكَ فَيَطْنُ رَأْيِيهِ أَنَّهَا

مِلْعَنَةً وَاحِدَةً . ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِهَا نِسْعًا

وَكَانَ دُخُولِي لِبَعْلِكَ عَشِيَّةَ النَّهَارِ وَخَرَجْتُ مِنْهَا بِالْعَدْوِ لِفِرْطِ  
 أَشْنِيَا فِي إِلَى دِمَشْقَ وَوَصَلْتُ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْتَّاسِعَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ  
 عَامَ سِتِّهِ وَعِشْرِينَ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ الشَّامِ . فَتَزَلْتُ مِنْهَا بِمَدْرَسَةِ  
 الْمَالِكِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشَّرَاشِيَّةِ . وَدِمَشْقُ فِي أَلْيِّ تَفْضُلٍ جَمِيعِ الْبِلَادِ حُسْنًا  
 وَتَفَنُّدَمَهَا جَمَالًا وَكُلُّ وَصْفٍ وَإِنْ طَالَ فَهُوَ قَاصِرٌ عَنْ مُحَاسِنِهَا . وَلَا أَبْدَعُ  
 مِمَّا قَالَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذِكْرِهَا قَالَ . وَأَمَّا  
 دِمَشْقُ فِي جَنَّةِ الْمَشْرِقِ وَمَطْلَعُ نُورِهَا الْمَشْرِقُ . وَخَاتِمَةُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ  
 أَلْيِّ اسْتَفْرَيْنَاهَا . وَعَرُوسُ الْهَدَنِ أَلْيِّ أَجْنَلَيْنَاهَا . فَذُنُحْتُ بِأَزَاهِيرِ  
 الرِّيَاحِينَ . وَتَجَلَّتْ فِي حُلِّ سُنْدُوسِيَّةٍ مِنَ الْبَسَائِينَ . وَحَلَّتْ مِنْ مَوْضِعِ  
 الْحُسْنِ بِالْمَكَانِ الْمَكِينِ . وَتَزَيَّنَتْ فِي مَنْصَنِهَا أَجَلَ تَزْيِينٍ . وَتَشَرَّفَتْ بِأَنْ  
 أَوَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمُّهُ مِنْهَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ . ظِلٌّ  
 ظَلِيلٌ . وَمَاءٌ سَلْسَبِيلٌ . تَنْسَابُ مَذَانِيهِ أَنْسِيَابَ الْأَرَامِ بِكُلِّ سَبِيلٍ .  
 وَرِيَاضُ بَحْيِ النُّفُوسِ نَسِيمُهَا الْعَلِيلُ . وَقَدْ سَمِيتَ أَرْضَهَا كَثْرَةَ الْمَاءِ  
 حَتَّى أَشْتَاقَتْ إِلَى الظُّلَمَاءِ . فَتَكَدُّ تُنَادِيكَ بِهَا الصُّمُّ الصَّلَابُ . أَرَكُضُ  
 بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَقَدْ أَحْدَقَتْ الْبَسَائِينَ بِهَا إِحْدَاقَ  
 أَمَلَالَةٍ بِالْقَمَرِ . وَالْأَكْهَامِ بِالشَّمْرِ . وَأَمْتَدَّتْ بِشَرَفِهَا غُوطَتُهَا الْخَضْرَاءُ  
 أَمْنِدَادَ الْبَصْرِ . وَكُلُّ مَوْضِعٍ لَحِظْتُ بِجِهَانِهَا الْأَرْبَعَ نَضْرَتُهُ الْبَانِعَةُ قَبْدُ  
 النَّظَرِ . وَلِلَّهِ صِدْقُ الْفَائِلِينَ عَنْهَا . إِنْ كَانَتْ الْجَنَّةُ فِي الْأَرْضِ فِدِمَشْقُ  
 لَا شَكَّ فِيهَا . وَإِنْ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ فَبِي نُسَالِيهَا وَتُحَادِيهَا . قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ

وَقَدْ نَظَّمْ بَعْضُ شُعْرَائِهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ  
 إِنْ تَكُنْ جَنَّةُ الْخُلُودِ يَارِضٍ فِدِمَشْقُ وَلَا تَكُونُ سِوَاهَا  
 إِنْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ قَبِي عَلَيْهَا قَدْ أَبَدَتْ هَوَاهَا وَهَوَاهَا  
 وَذَكَرَهَا شَيْخُنَا الْمُحَدِّثُ الرَّحَالُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ  
 جَابِرِ بْنِ حَسَّانِ الْقَبَسِيِّ الْوَادِي أَشْيَى نَزِيلُ ثُونُسٍ وَنَصَّ كَلَامَ أَبِي  
 جُبَيْرٍ. ثُمَّ قَالَ وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا وَصَفَ مِنْهَا وَأَجَادَ. وَتَوَقَّ الْأَنْفُسَ  
 لِلتَّطَلُّعِ عَلَى صُورِهَا بِهَا أَفَادَ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِهَا إِفَامَةٌ. فَيُعْرِبُ عَنْهَا  
 بِحَقِيقَةِ عِلَامَةٍ. وَلَا وَصَفَ ذَهَبِيَّاتٍ أَصِيلِهَا. وَقَدْ حَانَ مِنَ الشَّمْسِ  
 غُرُوبُهَا. وَلَا أَزْمَانَ جُفُوبِهَا الْمُنَوَّعَاتِ. وَلَا أَوْقَاتَ سُورِهَا الْمُنْبَهَاتِ.  
 وَقَدْ أَخْنَصَ مَنْ قَالَ أَلْفَيْهَا كَمَا نِصْفُ الْأَلْسُنِ. وَفِيهَا مَا تُشَبِّهِهُ الْأَنْفُسُ  
 وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. قَالَ أَبُو جُزَيْيٍّ وَالَّذِي فَالَتْهُ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ مُحَاسِنِ  
 دِمَشْقَ لَا يَحْصُرُ كَثْرَةً. وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ فِي  
 وَصْفِهَا هَذِهِ الْآيَاتُ وَهِيَ لِشَرَفِ الدِّينِ بْنِ مُحْسِنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
 دِمَشْقُ بِي شَوْقٍ إِلَيْهَا مَبْرَحٌ فَإِنْ لَمْ يَأْتِ وَأَوْ أَلْحَ عَذُولُ  
 يَلَادُهَا الْحُصْبَاءُ دُرٌّ وَتَرْبُهَا عَيْرٌ وَأَنْفَاسُ الشَّمَالِ شَمُولُ  
 تَسْلَسِلُ فِيهَا مَاؤُهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَسِيمُ الرُّوضِ وَهُوَ عَلِيلُ  
 وَهَذَا مِنَ النَّهْطِ الْعَالِي مِنَ الشُّعْرِ. وَقَالَ فِيهَا عَرْقَلَةُ الدُّمَشْقِيَّةُ الْكَلْبِيَّةُ  
 الْأَشَامُ شَامَةٌ وَجَنَّةُ الدُّنْيَا كَمَا إِنْسَانُ مُقْلَبِهَا الْغَضِيبَةُ جِلْقُ  
 مِنْ أَسِيهَا لَكَ جَنَّةٌ لَا تَنْقُضِي وَمِنْ الشَّقِيقِ جَهَنَّمُ لَا تُحْرِقُ  
 وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ سِوَى ذَلِكَ. وَقَالَ فِيهَا أَبُو الْوَحْشِيِّ سَبْعُ بَنٍ

خَلَقِ الْأَسَدِيَّ

سَفَى دَمَشَقَ اللَّهِ غَيْثًا مُحْسِنًا مِنْ مُسْنَهَلٍ دِيهَةٍ دِهَافِهَا  
 مَدِينَةٌ لَيْسَ يَضَاهِي حُسْنُهَا فِي سَائِرِ الدُّنْيَا وَلَا آفَافِهَا  
 تَوَدُّ زَوْرَاءَ الْعِرَاقِ أَنَّهَا مِنْهَا وَلَا نُعْزِزُ إِلَى عِرَاقِهَا  
 فَأَرْضُهَا يَثُلُ السَّمَاءُ بِفَجَّةٍ وَزَهْرُهَا كَالزُّهْرِ فِي إِشْرَاقِهَا  
 نَسِيمُ رَوْضِهَا مَتَى مَا قَدْ سَرَى فَكَّ أَخَا الْهُمُومِ مِنْ وَثَاقِهَا  
 قَدْ رَتَعَ الرَّيْعُ فِي رُبُوعِهَا وَسَيَقَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَسْوَاقِهَا  
 لَا تَسَامُ الْعُيُونُ وَالْأَنْفُ مِنْ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا وَلَا أَسْتَنْشَاقِهَا

انتهى المنقول من ابن بطوطة



مِنْ كِتَابِ  
عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ وَغَرَائِبِ الْمَوْجُودَاتِ لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ  
مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَزْوِينِيِّ

النَّظَرُ فِي الْكَائِنَاتِ وَهِيَ الْأَجْسَامُ الْمُتَوَلِّدَةُ مِنَ الْأَمْهَاتِ

فَنَقُولُ الْأَجْسَامُ الْمُتَوَلِّدَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ نَائِيَةً أَوْ غَيْرَ نَائِيَةٍ فَإِنْ لَمْ  
تَكُنْ نَائِيَةً فِي الْمَعْدِنِيَّاتِ وَإِنْ كَانَتْ نَائِيَةً فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ لَهَا قُوَّةُ الْحِسِّ  
وَالْحَرَكَةِ أَوْ لَمْ تَكُنْ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي النَّبَاتِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْحَيَوَانَاتِ  
وَزَعَمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَا تَسْتَحِيلُ إِلَيْهِ الْأَرْكَانُ الْأَبْجَدُ وَالْعَصَارَاتُ وَالْبَخَارُ مَا  
يَصْعَدُ مِنْ لَطَائِفِ مِيَاهِ الْبَحْرِ وَالْأَجَامِ وَالْأَنْهَارِ مِنْ تَنْحِيضِ الشَّمْسِ  
وَالْعَصَارَاتُ مَا يَنْجَلِبُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ مِنْ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَتَحْنَلِطُ  
بِالْأَجْزَاءِ الْأَرْضِيَّةِ وَتَغْلُظُ وَتَنْضِجُهَا الْحَرَارَةُ الْمُسْتَبْطِنَةُ فِي عُمُقِ الْأَرْضِ  
فَتَصِيرُهَا مَادَّةً لِلْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَأَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا  
بِالْبَعْضِ بِتَرْتِيبٍ عَجِيبٍ وَنِظَامٍ بَدِيعٍ تَعَالَى صَانِعُهَا عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ  
وَالْحَاجِدُونَ عُلُوقًا كَثِيرًا. فَأَوَّلُ مَرَاتِبِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ تُرَابٌ وَآخِرُهَا  
نَفْسٌ مُلَكِّيَّةٌ طَاهِرَةٌ فَإِنَّ الْمَعَادِنَ مُتَّصِلَةٌ أَوَّلُهَا بِالثَّرَابِ أَوَّاهُهَا وَآخِرُهَا  
بِالنَّبَاتِ. وَالنَّبَاتُ مُتَّصِلٌ أَوَّلُهُ بِالْمَعَادِنِ وَآخِرُهُ بِالْحَيَوَانِ. وَالْحَيَوَانُ  
مُتَّصِلٌ أَوَّلُهُ بِالنَّبَاتِ وَآخِرُهُ بِالْإِنْسَانِ. وَالنُّفُوسُ الْإِنْسَانِيَّةُ مُتَّصِلَةٌ

أُولَٰهَا بِالْحَيَوَانِ وَآخِرَهَا بِالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
النَّظَرُ الْأَوَّلُ فِي الْمَعْدِنِيَّاتِ

الْمَعْدِنِيَّاتُ هِيَ أَجْسَامٌ مُتَوَلَّدَةٌ مِنَ الْأَجْحَرِ وَالْأَذْيَنَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ  
إِذَا اخْتَلَطَتْ عَلَى ضُرُوبٍ مِنَ الْأَخْيَلَاتِ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَثْفِ  
وَهِيَ إِمَّا قَوِيَّةُ التَّرَكِيبِ أَوْ ضَعِيفَةُ التَّرَكِيبِ . وَقَوِيَّةُ التَّرَكِيبِ إِمَّا أَنْ  
تَكُونَ مُنْطَرِقَةً أَوْ لَمْ تَكُنْ وَالْمُنْطَرِقَةُ هِيَ الْأَجْسَادُ السَّبْعَةُ . أَعْنِي الذَّهَبَ  
وَالْبَيْضَ وَالنَّحَاسَ وَالرَّصَاصَ وَالْحَدِيدَ وَالْأَسْرَبَ وَالْخَارِصِينَ . وَالَّتِي  
لَا تَكُونُ مُنْطَرِقَةً فَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ اللَّيْنِ كَالزُّبْنِيِّ وَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ  
الصلابة كَالْيَاقُوتِ . وَضَعِيفَةُ التَّرَكِيبِ قَدْ تَخْلُ بِالرُّطُوبَاتِ وَهِيَ الْأَجْسَامُ  
الطِّيبَةُ كَالزَّاجِ وَالنُّشَادِرِ وَقَدْ لَا تَخْلُ بِهَا وَهِيَ الْأَجْسَامُ الدُّغْنِيَّةُ  
كَالزَّرْبِخِ وَالْكَبْرِيتِ

وَالْأَجْسَادُ السَّبْعَةُ إِمَّا تَتَوَلَّدُ مِنْ اخْتِلَاطِ الزُّبْنِيِّ بِالْكَبْرِيتِ عَلَى  
اخْتِلَافٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَثْفِ . وَالزُّبْنِيُّ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَجْزَاءِ مَائِيَّةٍ اخْتَلَطَتْ  
بِأَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ لَطِيفَةٍ كَبْرِيتِيَّةٍ . وَالْكَبْرِيتُ لَطِيفٌ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَجْزَاءِ مَائِيَّةٍ  
وَهَوَائِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ تُنْضِجُهَا حَرَارَةُ قُوَّةٍ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الدُّهْنِ . وَأَمَّا  
الْأَجْسَادُ الصُّلْبَةُ الشَّفَافَةُ فَتَتَوَلَّدُ مِنْ مِيَاءٍ عَذْبَةٍ وَقَعَتْ فِي مَعَادِنِهَا  
أَنْجَارَةُ الصُّلْدَةِ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى غَلُظَتْ وَصَفَتْ وَأَنْضَجَتْ حَرَارَةُ  
الْمَعْدِنِ بِطُولِ وَقُوفِهَا . وَأَمَّا غَيْرُ الشَّفَافَةِ فَمِنْ آمِزَاجِ الْمَاءِ بِالطِّينِ إِذَا  
كَانَتْ فِيهِ لُزُوجَةٌ وَأَثَرَتْ فِيهِ حَرَارَةُ الشَّمْسِ بِهَذِهِ طَوِيلَةً . وَأَمَّا الْأَجْسَامُ  
الَّتِي تَخْلُ بِالرُّطُوبَاتِ فَمِنْ مَاءٍ مُخْتَلِطٍ بِأَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ بِإِسَـ

أَخْلَطَا شَدِيدًا. وَأَمَّا الْأَجْسَامُ الدُّهْنِيَّةُ فَمِنْ الرُّطُوبَاتِ الْمُحْتَفِيَةِ فِي  
بَاطِنِ الْأَرْضِ إِذَا أَخْنُوتَ عَلَيْهَا حَرَارَةُ الْمَعْدِنِ حَتَّى تَحَلَّتْ وَلَطَفَتْ  
وَأَخْلَطَتْ بِنُورِيَةِ الْفَاعِ وَحَرَارَةِ الْمَعْدِنِ دَائِمًا فِي نُفُجِهَا وَطَبِخِهَا حَتَّى  
تَزْدَادَ غِلَظًا وَصَارَتْ مِثْلَ الدُّهْنِ

### النَّظَرُ الثَّانِي فِي النَّبَاتِ

النَّبَاتُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ وَالْحَيَوَانِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ ثَنَصَانِ  
الْجَمَادِيَةِ الصَّرْفَةِ الَّتِي لِلْمَعَادِنِ وَغَيْرُهَا إِلَى كَمَالِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ  
الَّتَيْنِ أَخْصَصَ بِهِمَا الْحَيَوَانُ. لَكِنَّهُ يَشَارِكُ الْحَيَوَانِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ لِأَنَّ  
الْبَارِيَّ تَعَالَى يَخْلُقُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَلَاتِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي بَقَاءِ ذَاتِهِ  
وَنَوْعِهِ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ ثِقَلًا وَكَلَالَةً عَلَيْهِ لَا يَخْلُقُهُ وَلَا حَاجَةَ لِلنَّبَاتِ  
إِلَى الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ بِخِلَافِ الْحَيَوَانِ

وَمِنْ عَجَبِ صُنْعِ الْبَارِيَّ تَعَالَى أَنَّ الْتَحَبَّ وَالنَّوَى إِذَا حَصَلَ فِي نُرْبَةٍ  
تَبْدِيَّةٍ وَأَصَابَهَا حَرُّ الشَّمْسِ انْشَقَّ وَجَدْبًا بِقُوَّةِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا  
الْأَجْزَاءَ اللَّطِيفَةَ الْأَرْضِيَّةَ مِنَ الْأَرْضِ وَالْهَائِيَّةَ مِنَ الْمَاءِ. ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ  
الْأَجْزَاءَ يَنزَاحُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِوَاسِطَةِ قُوَى خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا حَتَّى  
يَصِيرَ التَّحَبُّ نَجْمًا بَالِغًا ذَا عُرُوفٍ وَفِضْبَانٍ وَأُورَاقٍ وَأَزْهَارٍ وَحَبُّ النَّوَى  
شَجَرٌ أَعْظَمُهَا ذَا عُرُوفٍ وَسَاقٍ وَأَغْصَانٍ وَأُورَاقٍ وَثَمَرَةٍ. وَالنَّبَاتُ فَيَسْمَانِ  
شَجَرٌ وَنَجْمٌ



١٠٠  
النِّسْمُ الْأَوَّلُ  
الشَّجَرُ

الشَّجَرُ هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ  
الْعِظَامِ وَالنُّجُومُ بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الصُّغَارِ وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ لَا تَهْرَمُ لَهَا  
كَالسَّاجِ وَالذَّلْبِ وَالْعَرَعِ لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ إِلَى نَفْسِ الشَّجَرِ وَلَا  
كَذَلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُنْبِتَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ إِلَى الشَّجَرِ وَالشَّمْرِ وَبُشْبَةِ  
حَالِهَا حَالُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنَ الْحَيَوَانِ فَإِنَّ الذُّكْرَانَ أَعْظَمُ بَدَنًا  
مِنَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ بَعْضَ مَوَادِّ الْإِنَاثِ يُصْرَفُ إِلَى الْأُجْنَةِ

وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَلَقَ الْأَوْرَاقَ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا  
وَوَقَايَةً لِإِبَارِهَا مِنْ نِكَايَةِ الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَبَعَةً  
عَنِ الشِّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضُ التَّفَرُّقِ لَا مُتَكَائِفَةً عَلَيْهَا وَلَا يَبْعِدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ  
الشِّمَارُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنَ الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى. فَلَوْ نَكَثَتْ عَلَيْهَا حَتَّى  
مَنْعَتْهَا إِصَابَةُ النَّسِيمِ وَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَبَقِيَتْ عَلَى فُجَا جَنْبِهَا غَلِيظَةً أَلْجُلْدِ  
قَلِيلَةً الْمَائِيَّةِ. وَإِذَا سَفِطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَتْهَا  
كَمَا تَرَى فِي الرُّمَانَةِ الَّتِي أَحْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْحَوَائِبِ. ثُمَّ إِذَا فَرَّغَتْ  
الشَّمْرُ تَنَاثَرَتِ الْأَوْرَاقُ حَتَّى لَا تُجَذَّبَ مَائِيَّةُ الشَّجَرِ فَتَضَعَفَ قُوَّتُهَا كَمَا  
تَرَى فِي الْحَيَوَانِ فَإِنَّ الْأُمَّ تَضَعُفُ مِنْ إِرْضَاعِ أَوْلَادِهَا

وَلَنَذْكُرْ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْجَارِ مُرْتَبَةً عَلَى  
النُّجْمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

ذَلْبٌ. مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْجَارِ وَأَعْلَاهَا وَأَبْقَاهَا فَإِذَا طَالَتْ مُدَّتُهَا تَقَشَّتْ

جَوْفُهَا وَيَبْنِي سَافَهَا مُحَرَّقًا وَوَرَفُهَا تَهْرُبُ مِنْهُ الْخُنَافِسُ وَبَعْضُ الطُّيُورِ  
تَجْعَلُهَا فِي أَوْكَارِهَا لِدَفْعِ الْخُنَافِسِ فَإِنَّهَا تَمُوتُ مِنْهَا وَإِذَا غُسِلَ وَطُيِّجَ  
وَضُمِدَ بِهِ حَبَسَ النَّوَازِلَ عَنِ الْعَيْنِ. فِشْرُهَا مَطْبُوحًا بِالْحُلِّ يَنْفَعُ مِنْ حَرَقِ  
النَّارِ وَوَجَعَ الْأَسْنَانِ. ثَمَرُهَا يُقَالُ لَهَا جَوْزُ السِّرِّ وَمَعَ الشَّمْرِ ضِمَادٌ جَيِّدٌ  
لِنَهَشِ الْهَوَامِّ.

فُلْفُلٌ. شَجَرَةٌ تَنْبُتُ بِالْهِنْدِ بِنَاحِيَةٍ مِنْهَا تُسَمَّى مَلِبَارَ وَهِيَ شَجَرَةٌ عَالِيَةٌ  
لَا يَزُولُ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهَا إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ تُسَاقَطُ حُبُوبُهَا عَلَى وَجْهِ  
الْمَاءِ فَتُجْمَعُ مِنْهُ وَلِذَلِكَ فَسْحَةٌ وَهِيَ شَجَرَةٌ حُرَّةٌ لَا مَلِكَ لِأَحَدٍ فِيهَا  
وَحُلْمُهَا عَلَيْهَا شَتَاءً وَصَيْفًا وَهُوَ عَنَاقِيدُ. فَإِذَا حَبِطَ الشَّمْسُ عَلَيْهَا انْطَبَقَتْ  
عَلَى عَنُقِهَا مِنْهَا أَوْرَاقٌ حَتَّى لَا يَحْتَرِقَ بِالشَّمْسِ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْهَا  
زَالَتِ الْأَوْرَاقُ عَنِ الْعَنَاقِيدِ لِتَنَالِ النِّسِيمَ. وَذَكَرَ مَنْ رَأَاهَا أَنَّ شَجَرَتَيْهَا  
مِثْلُ شَجَرَةِ الرُّمَّانِ وَبَيْنَ الْوَرَقَتَيْنِ شَمْرَاخَانِ مَنْظُومَانِ بِالْفُلْفُلِ وَشَمْرَاخُهُ  
فِي طُولِ الْأَصْبَعِ. قَالَ جَالِينُوسُ أَوَّلُ مَا تَطْلُعُ ثَمَرَتُهَا تَكُونُ دَارُ  
فُلْفُلٍ ثُمَّ تَنْفَصِلُ عَنْ حَبٍّ يَكُونُ هُوَ الْفُلْفُلُ

قَرْنَفُلٌ. شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي بَعْضِ جَزَائِرِ الْهِنْدِ ثَمَرُهَا كَالْبَاسِمِ إِلَّا  
أَنَّهَا أَشَدُّ سَوَادًا. وَذَكَرُوا أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ لَا يُخْرِجُونَهَا إِلَّا مَطْبُوحَةً  
لِيَلَا تَنْبُتَ فِي غَيْرِهَا مِنْ الْبِلَادِ

نَارَجِيلٌ. هُوَ الْجَوْزُ الْهِنْدِيُّ زَعَمَ أَهْلُ أَنْجَازٍ أَنَّ شَجَرَةَ النَّارَجِيلِ هِيَ  
الْمُنْفُلُ لِكُنْهَاتِ ثَمَرَتِ نَارَجِيلَا لِطِبَاعِ الثَّرَيَّةِ وَالْأَهْوِيَّةِ. عَلَى ثَمَرَتِهَا لَيْفٌ  
يُخَذُ مِنْهُ أَنْجِبَالٌ تُسْتَعْمَلُ فِي سُنَنِ الْبَحْرِ تَصِيرُ عَلَى الْمَاءِ طَوِيلًا لَا تَنْعَفَنُ.

لَبَنَهَا لَدَيْدٌ كَثِيرٌ مَحْلُوفٌ إِذَا كَانَ رَطْبًا  
نَخْلٌ، شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ لَا تُوجَدُ إِلَّا بِبِلَادِ الْإِسْلَامِ قَالَ عَنْكُمْ النَّخْلَةُ  
وَأَنْتُمْ سَمَّيْتُمُوهَا عَمْتَنَا لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ عِلْبِينَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ  
نُشْبَةُ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ أَسْتِنَامَةُ قَدِّهَا وَطُولُهَا وَامْتِنَانِ ذِكْرِهَا عَنْ  
أَنْتَاهَا وَاخْتِصَاصِهَا بِالْفَنَاجِ. وَلَوْ قُطِعَ رَأْسُهَا هَلَكَتْ. لِيُطْلِعَهَا غُلَافٌ  
كَأَلِشَيْبَةِ أَلْيَ يَكُونُ أَلْوَدُ فِيهَا. وَالْجَمْرُ الَّذِي عَلَى رَأْسِهَا لَوْ أَصَابَهُ أَفَةٌ  
هَلَكَتْ النَّخْلَةُ كَهَيْئَةِ مَخِ الْإِنْسَانِ إِذَا أَصَابَهُ أَفَةٌ. وَإِذَا قُطِعَ مِنْهَا غُصْنٌ  
لَا يَرْجِعُ بَدَلُهُ كَعُضْوِ الْإِنْسَانِ وَعَلَيْهَا لَيْفٌ كَشَعْرِ يَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ  
قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ إِذَا لَمْ يُبَيِّرْ شَيْءًا مِنَ النَّخْلِ بِأَخْذِ رَجُلٍ فَأَسَا  
وَيَقْرُبُ مِنْهَا وَيَقُولُ لِيُغِيرَ لِي أُرِيدُ قَطْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَنَّهَا لَا تُغِيرُ.  
فَيَقُولُ الْآخَرُ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا تُغِيرُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ إِنَّهَا  
لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَيَضْرِبُهَا ضَرْبَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فَيَمْسِكُهَا الْآخَرُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ  
لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ حَسَنَةٌ وَأَصْبَرَ عَلَيْهَا هَذِهِ السَّنَةَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَافْعَلْ مَا  
بَدَا لَكَ. قَالَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ تُغِيرُ ثَمَرًا كَثِيرًا وَكَذَلِكَ  
غَيْرُ النَّخْلِ مِنَ الْأَشْجَارِ إِذَا فَعَلَ بِهِ هَذَا فَإِنَّهُ يُغِيرُ. قَالَ أَيْضًا إِذَا قَارَبْتَ  
بَيْنَ ذِكْرَانِ النَّخْلِ وَنَائِيًا فَإِنَّهَا تَكْثُرُ حَمْلُهَا لِأَنَّهَا تَسْتَأْنِسُ بِالْجَوَارَةِ  
وَرُبَّمَا قُطِعَ لِقَمْعٍ مِنَ الذُّكْرَانِ فَلَا تَحْمِلُ شَيْئًا لِفِرَاقِهِ. وَإِذَا غَرَسْتَ  
الذُّكْرَانَ وَسَطَ الْأَنَاتِ وَهَبْتَ الرِّيحَ فَخَالَطَتِ الْأَنَاتُ رَائِحَةَ طَلْعِ  
الذُّكْرَانِ حَمَلَتْ مِنْ نِلِّكَ الرَّائِحَةِ كُلُّ أَنْثَى حَوْلَهُ

## الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النَّبَاتِ النُّجُومُ

الْقِسْمُ كُلُّ نَبَاتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ مِثْلُ الزَّرُّوعِ وَالْبَنُوتِ  
وَالرَّيَاحِينِ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ ..... وَمِنْ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الْقُوَّةُ الَّتِي  
خَلَقَهَا اللَّهُ فِي نَفْسِ الْحَبِّ فَإِنَّمَا إِذَا وَقَعَتْ فِي الْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَاسِطَةِ  
تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ مَا حَوَالَيْهَا كَمَا تَجْذِبُ شُعْلَةُ النَّارِ  
فِي السَّرَاحِ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ فَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى  
حَتَّى تَبْلُغَ كَمَا هِيَ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى. وَالنُّجُومُ فِي النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانِ الصَّغِيرِ  
فِي الْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ فَكَأَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي  
لَا عِظَمَ لَهَا شَيْءٌ فَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا خَشَبٌ صُلْبٌ  
شَيْءٌ

وَأَعْلَمُ أَنَّ عُقُولَ الْعُلَمَاءِ مُتَّحِدَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَعَجَائِبِهَا وَأَفْهَامُ  
الْأَذْكِيَاءِ قَاصِرَةٌ عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِهَا وَقَوَائِدِهَا وَكَيْفَ لَامَعَ مَا يُشَاهَدُ مِنْ  
أَخْتِلَافِ صُورِ قِضْبَانِهَا وَأَخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَعَجِيبِ صُورِ أَوْرَاقِهَا  
وَأَزْهَارِهَا. وَكُلُّ لَوْنٍ مِنْهَا يَنْفَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ كَالْمُحْمَرِّ مِثْلًا فَإِنَّهَا وَرْدِيَّةٌ  
وَأَرْجَوَانِيَّةٌ وَسُوسَنِيَّةٌ وَشَفَافِيَّةٌ وَأَذْرَبُونِيَّةٌ وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَعَ اشْتِرَاكِ  
كُلِّهَا فِي الْمَحْمَرِّ. ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَاقِهَا وَخَالَفَتُهُ بَعْضُهَا بَعْضًا مَعَ اشْتِرَاكِ  
الْكُلِّ فِي الطَّيِّبِ. ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ شَكْلًا  
وَرَقًّا وَعَرَقًا وَزَهْرًا وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِيَّةً بَلْ خَاصِيَّاتٌ  
لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَالَّتِي عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ

كَطَرَفٍ مِنْ بَحْرِ . وَلَتَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ خَوَاصِّهَا مُرْتَبَةً عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

يَيْشُ . نَبَاتٌ يَنْبُتُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ نِصْفُ دِرْهَمٍ مِنْهُ سَمٌّ قَاتِلٌ وَعَلَامَتُهُ  
أَنَّهُ يَعْزُضُ لِمَنْ سَقِيَ مِنْهُ جُحُوطُ الْعَيْنِ وَوَرَمُ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالذُّوَارُ  
وَالْعَشْيُ . وَالسَّمَاءُ يَعْتَلِفُ مِنْهُ وَلَا يَضُرُّهُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ قَارَةُ الْيَيْشِ وَهُوَ  
حَيَوَانٌ يَسْكُنُ فِي أَصْلِهِ وَيَأْكُلُ مِنْهُ . قَالَ ابْنُ سِينَا إِنَّهُ يُدْهَبُ الْبَرَصَ  
طِلَاقًا وَشَرِبًا وَيَنْفَعُ مِنَ الْجَذَامِ وَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ يَمُوتُ مِنْهُ نِصْفُ دِرْهَمٍ  
وَيَرْيَاقُهُ قَارَةُ الْيَيْشِ

دِفْلَى . مِنْهُ بَرِّيٌّ وَنَهْرِيٌّ قَالِبَرِّيٌّ وَرَقُهُ كَوَرَقِ الْحَمْفَى بَلْ أَدْقُ  
وَفِضْبَانُهُ طَوَالٌ مُنْبَسِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ يَنْبُتُ فِي الْأَخْرَابَاتِ . وَالنَّهْرِيٌّ عَلَى  
شُطُوطِ الْأَنْهَارِ وَتَنْهَضُ فِضْبَانُهُ عَلَى الْأَرْضِ وَشَوْكُهُ خَفِيفٌ وَرَقُهُ  
كَوَرَقِ الْخَلَفِ وَأَعْلَى سَاقِهِ أَغْلَظٌ مِنْ أَسْفَلِهِ وَفَقَاحُهُ كَالْوَرْدِ الْأَخْضَرِ  
وَتَهْرَتُهُ صَلْبَةٌ مَحْشُوءَةٌ شَيْئًا كَالصُوفِ . قَالَ ابْنُ سِينَا وَرَقُهُ تَهْرَبُ مِنْهُ  
الْبَرَاغِيثُ وَالْكَلْبُ يَقْتُلُ أَحَدَهُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ

قَالَ بَلْنِيَّاسُ عِلْمٌ يَعْزُضُ الْمُلُوكَ بَعْدُ فِصَّةٌ فِي عَسْكَرٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ  
فَأَخَذَ مِنَ الشَّعِيرِ وَطَبَخَهُ بِالذِّفْلِ وَتَرَكَهُ حَتَّى جَفَّ وَأَخَذَ الشَّعِيرَ مَعَهُ  
وَخَرَجَ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْعَدُوِّ نَفَخَ عَنْهُ وَتَرَكَ الْأَثَالَ  
وَالْبَيْدَةَ وَالشَّعِيرَ فَوَرَدَ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ وَأَطْلَقُوا دَوَاهِيَهُمْ فِي الشَّعِيرِ فَهَلَكَتْ  
كُلُّهَا فَفَكَرَ عَلَيْهِمْ وَأَسْرَفَهُمْ

فِتَاءٌ . قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ الْفِتَاءَ عَلَى صُورَةٍ

ثُمَّ مِنْ الْحَيَوَانَاتِ فَتُخَذُ قَالِبًا لِلصُّورَةِ الَّتِي أَرَدْتَ وَأَجْعَلُهَا فِيهِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ وَاسْتَوْثِقَ مِنْهَا رَبَطًا يَحْكُمُ لَا يَدْخُلُ الْقَالِبَ رِيحٌ وَلَا غُبَارٌ فَإِنَّمَا إِذَا عَظُمَتْ فِيهَا كَانَتْ عَلَى صُورَةِ الْقَالِبِ الَّذِي جَعَلْتَهَا فِيهِ  
النَّظَرُ الثَّلَاثُ

### فِي الْحَيَوَانَ

أَمَّا الْحَيَوَانُ فَبِالْمُرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْكَائِنَاتِ وَابْعَدُ الْهَوْلَكَاتِ عَنِ الْأَمْهَاتِ لِأَنَّ الْمُرْتَبَةَ الْأُولَى لِلْمَعَادِنِ وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى التَّجَادِيَةِ لِقُرْبِهَا مِنَ الْأَسَاطِيطِ. وَالْمُرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ لِلنَّبَاتِ فَإِنَّهَا مَتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ لِحُصُولِ النَّشْءِ وَالنَّمُوِّ وَقَوَاتِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَالْمُرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ لِلْحَيَوَانَ فَإِنَّهُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ النَّشْءِ وَالنَّمُوِّ وَالْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَهَذِهِ قُوَى مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ أَفْرَادِ الْحَيَوَانَ حَتَّى فِي الدُّبَابِ وَالْبَعُوضِ

وَأَمَّا الْحِسُّ فَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهَا قَضَى لِكُلِّ حَيَوَانٍ أَمَدًا مُعَدًّا. وَأَبْدَانُ الْحَيَوَانَ مُتَعَرِّضَةٌ لِلْآفَاتِ الْمُنْهِكَةِ لَهَا الْهَلَكَةَ لِأَنَّهَا فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ لَهَا الْقُوَّةَ الْإِحْسَاسِيَّةَ لِتَشْعُرَ بِوَاسِطَتِهَا بِالْمَنَافِي فَتَدْفَعَهُ عَنْ نَفْسِهَا إِذَا أَحَسَّتْ بِأَلِيمِهِ. فَلَوْلَا هَذِهِ الْقُوَّةُ لَمَا أَحَسَّ الْحَيَوَانُ بِالْجُوعِ إِلَى أَنْ مَاتَ بَغْتَةً فَجَاءَهُ مِنْ عَدَمِ الْغِذَاءِ لَكَانَ إِذَا نَامَ فَاصْطَبَّ يَدُهُ أَوْ رِجْلُهُ نَارًا لَمْ يَكُنْ يُحْسِسُ بِهِ حَتَّى يَنْتَبِهَ مِنْ نَوْمِهِ فَإِذَا هُوَ بِلَا بَدٍّ أَوْ رِجْلٍ. وَأَمَّا الْحَرَكَةُ فَلِأَنَّ الْحَيَوَانَ لَمَا كَانَتْ مُخْتَاجًا إِلَى الْغِذَاءِ وَلَمْ يَكُنْ غِذَاؤُهُ يَحْكُمُهُ فِي جَمِيعِ الْأَوْفَاتِ أَفْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهُ آلَاتِ الْحَرَكَةِ لِتَحْرَكَ بِهَا إِلَى الْغِذَاءِ. وَأَوَّلَ هَذِهِ الْقُوَّةِ وَاحْتِاجُ الْحَيَوَانِ إِلَى الْغِذَاءِ وَلَمْ

يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ إِلَيْهِ فَإِنَّ جُوعًا كَتَجَرَّ لَا يَجِدُ الْمَاءَ حَتَّى تَجِفَّ وَلَكِنَّ  
إِذَا أَصَابَهُ آفَةٌ مِنْ حَرِّ أَوْ غَرِقَ يَفِي عَلَى مَكَانِهِ حَتَّى أَذْرَكَهُ الْحَرُّ أَوْ  
الْفَرَقُ

وَلَمَّا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ بَعْضُهَا عَدُوًّا لِبَعْضٍ أَفْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ  
لِكُلِّ حَيَوَانٍ آلَةً يَحْفَظُ بِهَا نَفْسَهُ مِنْ عَدُوِّهِ. فَمِنْهَا مَا يَدْفَعُ الْعَدُوَّ بِالْقُوَّةِ  
وَالْمَقَاوِمَةِ كَالْفِيلِ وَالْجَمُوسِ وَالْأَسَدِ. وَمِنْهَا مَا يَسْلُمُ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْفِرَارِ  
فَأُعْطِيَ آلَةُ الْفِرَارِ كَالطُّيَّانِ وَالْأَرَانِبِ وَالطُّيُورِ. وَمِنْهَا مَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ  
بِالسَّلَاحِ كَالْقَنْظِ وَالشِّمِّهِمِ وَالسُّلْحَانَةِ. وَمِنْهَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ بِحُضْنِ كَالْفَأْرِ  
وَالْحِمَةِ وَالْهَوَامِّ. وَمِنْ مُتَنَصِّ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنَّ خُلِقَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ  
مِنَ الْأَعْضَاءِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ بَقَاؤُهُ وَنَوْعُهُ لَأَزَائِدًا وَلَا نَاقِصًا.

بِذَلِكَ اخْتَلَفَتْ أَشْكَالُهَا وَأَعْضَاؤُهَا وَتَنَوَّعَتْ أَنْوَاعُ كَبِيرَةٍ

وَلَنَذْكُرِ الْآنَ بَعْضَ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ وَنَجَايِزِهَا وَخَوَاصِّهَا

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

النَّوعُ الْأَوَّلُ

الْإِنْسَانُ

يَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ نَجْمٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ  
الْحَيَوَانَاتِ وَخُلَاصَةُ الْخُلُقَاتِ. كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ رُوحًا  
وَبَدَنًا وَخَصَّصَهُ بِالنُّطْقِ وَالْعَقْلِ سِرًّا وَعَلَانًا وَزَيَّنَ ظَاهِرَهُ بِالْحَوَاسِّ  
وَالْحُظْرِ الْأَوْفَى وَبَاطِنَهُ بِالْقَوَى مَا هُوَ أَدْرَفُ وَأَقْوَى وَهَبَا لِلنَّفْسِ  
الطَّائِفَةِ الدَّمَاعِ وَأَسْكَنَهُ أَعْلَى مَحَلٍّ وَأَوْفَى مَقَرٍّ. إِنَّهُ بِالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ

وَالْحَفِظُ وَسَلَطَ عَلَيْهِ الْجَوَاهِرُ الْعَقْلِيَّةُ لَتَكُونَ النَّفْسُ أَمِيرًا وَالْعَقْلُ وَزِيرَهُ  
وَالْقَوَى جُنُودَهُ وَالْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ بَرِيدَهُ وَالْأَعْضَاءُ خَدَمَهُ وَالْبَدَنُ مَحَلُّهُ  
سَهْلَكِنِهِ. وَالْحَوَاسُ يُسَافِرُونَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي عَالَمِهِمْ وَيَلْتَقِطُونَ  
الْأَخْبَارَ الْمُوَافِقَةَ وَالْمُخَالَفَةَ وَيَعْرِضُونَهَا عَلَى الْحِسِّ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي هُوَ  
وَاسِطَةٌ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْحَوَاسِ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَعْزِضُهَا عَلَى الْقُوَّةِ  
الْعَقْلِيَّةِ تَخَارُ مَا يُوَافِقُ وَتَطْرَحُ مَا لَا يُوَافِقُ

فَإِنَّ هَذَا الْوَجْهَ قَالُوا الْإِنْسَانُ عَالَمٌ صَغِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَتَغَدَّى وَيَبْنُو  
قَالُوا نَبَاتٌ وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَحْسُ وَيَتَحَرَّكُ قَالُوا حَيَوَانٌ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ  
يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ قَالُوا مَلَكٌ فَصَارَ مَجْمَعًا لِهَذِهِ الْمَعَانِي. فَإِذَا صَرَفَ هِمَّتَهُ  
إِلَى جِهَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَجْهَاتِ يَلْتَحِقُ بِهَا. وَإِنْ كَانَ قَدْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى جِهَةٍ  
الطَّبِيعِيَّةِ فَيَكُونُ رَاضِيًا مِنْ دُنْيَاهُ بِالتَّغْدِي وَتَنْقِيَةِ الْفُضُولِ. وَإِنْ كَانَ  
إِلَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَيَكُونُ إِذَا غَضِبَ كَسَبَعٍ أَوْ شَفَقَ كَنَيْسٍ أَوْ أَكُولًا كَثُورٍ  
أَوْ شَرَّهَا كَحَنْزِيرٍ أَوْ ضَرَعًا كَكَلْبٍ أَوْ خَفُودًا كَجَمَلٍ أَوْ مُتَكَبِّرًا كَنَبِيذٍ أَوْ  
ذَا رَوَّغَانٍ كَنَعْلَبٍ أَوْ يَجْمَعُ هَذَا كُلَّهُ فَيَكُونُ شَبَطًا مَرِيدًا. وَإِنْ كَانَ  
صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى الْأَجْهَةِ الْهَلَكِيَّةِ فَيَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَلَا  
يَرْضَى بِالْمُنْتَرِلِ الْأَسْفَلِ وَالْمَرْبِعِ الْأَذَنِيِّ

النَّظَرُ فِي الْقَوَى

الْقَوَى صِنْفٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِتَذْيِيرِ الْأَبْدَانِ وَفَوَائِدِ  
مَنَافِعِ أَعْضَائِهَا مِنْ الْأَفْعَالِ وَالْإِذْرَاكَاتِ فَنُشِئَتْ أَعْمَالُهَا فِيهَا أَفْعَالٌ  
صُنَاعُ الْيَلَادِ وَسُكَايْنِهَا. فَإِنَّ حَالَ الْبَدَنِ مَعَ الرُّوحِ وَهَذِهِ الْقَوَى نُشِئَتْ



مَدِينَةٍ عَامِرَةٍ بِأَلَايِمِهَا مَأْتُوسَةٌ بِسُكَّانِهَا مَفْتُوحَةٌ الْأَسْوَاقِ مَسْلُوكَةٌ  
الطَّرَفَاتِ مُشْتَغَلَةٌ الصَّنَاعِ وَحَالَةٌ عِنْدَ النَّوْمِ وَهَذُودِ الْخَوَاسِ وَسُكُونِ  
الْحَرَكَاتِ نُشِيَهُ حَالِ الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ إِذَا غُلِقَتْ أَبْوَابُهَا وَتَعَطَّلَتْ صُنَاعُهَا  
وَنَامَ أَهْلُهَا

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ الْبَدَنَ كَبَيْتٍ مُنْقَشٍ بِنُقُوشٍ غَرِيبَةٍ وَصُورٍ عَجِيبَةٍ  
وَالْوَانِ مَخْتَلِفَةٍ وَالْقَوَى تِلْكَ النُّفُوسُ وَالصُّورُ وَالنَّفْسُ كَالسِّرَاجِ الَّذِي  
يُدَارُ فِي أَطْرَافِ الْبَيْتِ وَبَسَبَبِ وُضُوحِ ضَوْؤِهِ إِلَى أَجْزَاءِ الْبَيْتِ يَرَى  
فِي سَقْفِهِ وَحِيطَانِهِ وَفَرْشِهِ عَجَائِبُ تَبْهَرُ فِيهَا بَلْ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا  
مِثْلُ الْخَسِّ وَالْعَقْلِ وَالنَّهْمِ وَالْقَوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَالْجَمَالِ وَغَيْرِهَا.  
فَإِذَا فَارَقَ النَّفْسَ بَطَلَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا كَمَا أَنَّ الْبَيْتَ عِنْدَ انْطِقَاءِ  
السِّرَاجِ لَا يَرَى لَيْلِكَ الصُّورَ وَالنُّفُوسَ أَثَرًا. وَعَجَائِبُ الْقَوَى خَارِجَةٌ  
عَنِ النَّهْمِ لَكِنْ أَحَبُّ أَنْ أَذْكَرَ بَعْضَ مَا أَذْكَرَهُ أَذْكِيَاءُ النُّفُوسِ مِنَ  
الْمُحْكَمَاتِ مِنَ الْعَجَائِبِ الْمَوْدُوعَةِ فِي الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْقَوَى  
الْقَوَى الظَّاهِرَةِ وَهِيَ الْخَوَاسُ الْخَمْسُ

الْأَوَّلُ حَاسَةُ اللَّمَسِ وَهِيَ قُوَّةٌ مُنْبِثَةٌ فِي جَمِيعِ جِلْدِ الْبَدَنِ يُدْرِكُ  
بِهَا مَا يُلَاقِيهِ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ. فَإِنَّهَا أَوَّلُ حَاسَةٍ خُلِقَتْ لِلْحَيَوَانِ حَتَّى إِذَا  
مَسَّهُ نَارٌ أَوْ حديدٌ جَارَحٌ يُحْسُّ بِهِ فَيَهْرَبُ مِنْهُ وَلَا يَتَصَوَّرُ حَيَوَانٌ إِلَّا  
وَلَهُ هَذَا الْخَسُّ حَتَّى الدُّودَةُ الَّتِي فِي الطِّيبِ فَإِنَّهَا إِذَا غَرَزَ فِيهَا إِبْرَةٌ  
انْقَبَضَتْ

الثَّانِيَةُ الشَّمُّ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي مُقَدِّمِ الدِّمَاغِ تُدْرِكُ الرُّوَاحَ الَّتِي يُؤَدِّيهَا

أَهْوَاءُ التَّنْكِيفِ يَتِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ  
 الدَّالَّةُ الْبَصَرُ وَهِيَ قُوَّةٌ مُرْتَبَةٌ فِي عَصَبَةٍ مُجَوَّفَةٍ فِي الْعَيْنِ تُدْرِكُ  
 بِحُصُولِ الْأَشْيَاءِ ذَوَاتِ الصُّورِ وَالْأَلْوَانِ. فَإِنَّ الضَّوْءَ إِذَا سَرَعَ فِي  
 الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ وَحَمَلَ مَعَهُ الْأَوَانَ الْأَجْسَامِ وَاتَّصَلَ بِحَدَقَةِ الْحَيَوَانِ  
 وَسَرَى فِيهَا كَمَا يَسْرِي فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ أَنْصَبَتْ الْحَدَقَةُ يَتِلْكَ  
 الْأَلْوَانِ كَمَا يَنْصَبُ أَهْوَاءُ بِالضِّيَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْسُ بِالْقُوَّةِ الْبَاصِرَةِ  
 الرَّابِعَةُ السَّمْعُ وَهِيَ قُوَّةٌ مُرْتَبَةٌ فِي عَصَبٍ دَاخِلِ الصَّمَاخِ تُدْرِكُ  
 الصَّوْتَ الَّذِي يُؤَدِّي بِهِ إِلَيْهِ أَهْوَاءُ بِالتَّمَوُّجِ وَحَالَهُ نُشِيهُ بِتَمَوُّجِ الْمَاءِ  
 فَإِنَّ أَهْوَاءَ أَشَدَّ لَطَافَةً مِنَ الْمَاءِ. فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ فِي الْمَاءِ تَحَدَّثُ مِنْ  
 وَفَوْعِهِ دَوَائِرُ فَكَلَمًا اتَّسَعَ ذَلِكَ الشَّكْلُ ضَعُفَتْ حَرَكَتُهُ وَتَمَوَّجُهُ إِلَى  
 أَنْ يَضْمَلَ. فَكَذَلِكَ يَحْصُلُ مِنْ قَرَعِ الصَّوْتِ أَهْوَاءُ تَمَوُّجٌ فَأَيُّ سَامِعٍ  
 حَصَلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْجِ دَخَلَ أَذُنُهُ فَحَسَّ بِهِ الْقُوَّةُ السَّامِعَةُ  
 الْخَامِسَةُ الذَّوْقُ وَهِيَ قُوَّةٌ مُرْتَبَةٌ فِي جِزْمِ اللِّسَانِ يُدْرِكُ بِهَا مَا يَمَاسُهُ  
 مِنَ الْمَطْعُومِ بِوَسِطَةِ الرُّطُوبَةِ الْعَذْبَةِ الَّتِي تَحْتَ اللِّسَانِ. فَإِنَّ تِلْكَ  
 الرُّطُوبَةَ تَخَالِفُ الْجِسْمَ الَّذِي فِيهِ كَيْفِيَّةُ الطَّعْمِ فَتَتَكَيَّفُ يَتِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ  
 فَيَحْصُلُ الْإِحْسَاسُ بِالطَّعْمِ.



## فصل في الدواب

## وهي النوع الثالث من الحيوان

هذا النوع أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعا. ولما كان الإنسان لطيف البدن بطي المشي كثير العدو من جنسه وتحت جنسه وحر كانه قاصد عن الوفاء بمقاصده من الطلب والهرب اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النوع من الحيوان وهداه إلى تدليلها وتصريفها تحته في أمحاه مقاصد لتقوم له مقام الأجناس للطائر والقوائم للبهائم والدواب. وزعموا أن آذانها إنما خلقت فوق رأسها ذات حرركات شتى ليحاذي الثقب جهات شتى وترد الهواء إليه فتكون فائدة السمع أكثر. ولما كان القرس أذنكى حسا من الحمار خلقت أذنه أصغر من أذن الحمار وذنبه أطول من ذنب الحمار لأن القرس يكفيه من قرع الهواء دون ما يكفي الحمار لصفاء حس القرس وكدورة حس الحمار وكذلك طول ذنبه لأن إحساسه يلدغ الهواء فوق إحساس الحمار فجعل طاقات ذنبه طويلة ليطردها الهواء عن بدنه

ولما كان المطلوب من الدواب السير صليت حوافرها ليتمكن المشي الكثير عليها ولتكون سلاحا دافعا للعدو. فإن كل حيوان له حافر لا قرن له لأن المادة لا تفي بها جميعا وكل حيوان له قرن لا حافر له بل له ظلف فإن المادة تفي بها جميعا فنم آله المشي والسلاح فسبحان من أعطى كل شيء ما يستغنه دون الزيادة والنفصان

## فصل في النعم وهي النوع الرابع

هذا النوع كبير الفائدة شديد الإنباء ليس له شراسة الدواب ولا  
نفرة السباع ولشفة حاجة الناس إليها لم يخلق لها سلاح شديد كآنياب  
السباع وبرائنها وآنياب الحشرات وبرها. شأنها النبات والصبر على  
التعب والجوع والعطش وخلفت ذلولا. وخلق القرن سلاحا لها ليتدارك  
نقصير الحافير وجعل لها بدل الحافير ظلفا لنصوير المادة عن الحافير  
والقرن. وربما صرفت المادة في جهة أنفع وتركت الجهة التي هي أفل  
منها كنزك الفلك الأعلى للبقر بالأسن وصرف مادتها إلى القرن  
والقوة المدبرية بإذن الله تعالى تؤيد الحيوان إما بسلاح أو جنة  
أو هرب وأي هذه فندت مادته دبرت بمادة أخرى حتى يكون له ما  
يجتاح إليه في بقاء شخصه ونوعه

ثم إن النعم لها كان أكلها الحشيش افتضت المحكة الإلهية لها أفواها  
واسعة وأسنانا جدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الصلب من الحب  
والنوى. ولما افتقرت إلى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب  
منها خلق لها كرش واسع لتحمل فيه من العلف شيئا كثيرا يفي بغذاها  
وإذا رجعت إلى أماكنها تجعله بالاجترار منهيا للنفخ. فعند ذلك تميز  
طبيعتها لطيفه من ثقيله فتجعل اللبن البائس لحما ودما. ومن العجب  
القوة التي خلقها الله تعالى في أضراسها فإنها بالليل والنهار في الطحن  
لا تقتر إلا قليلا فلو كانت من الحديد الذكر لانتخست وتفتت

وَلَنَذْكُرَ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ

زَرَافَةٌ. رَأْسُهَا كَرَأْسِ الْإِيلِ وَقَرْنَاهَا كَقَرْنِ الْبَقَرِ وَجِلْدُهَا كَجِلْدِ النِّمْرِ  
وَقَوَائِمُهَا كَمَا لِلْبَعِيرِ وَأَطْلَافُهَا كَمَا لِلْبَقَرِ. طَوِيلَةُ الْعُنُقِ جِدًّا طَوِيلَةُ  
الْيَدَيْنِ قَصِيرَةُ الرِّجْلَيْنِ وَصُورُهَا بِالْبَعِيرِ أَقْرَبُ وَجِلْدُهَا بِالْبَعِيرِ أَشْبَهُ  
وَذَنَبُهَا كَذَنَبِ الظَّبَاءِ. قَالُوا الزَّرَافَةُ مَتَوَلِّدَةٌ مِنْ نَاقَةٍ الْحَبَشَةِ وَالْبَقَرِ  
الْوَحْشِيَّةِ وَالضَّبْعَانِ وَذَلِكَ أَنَّ الضَّبْعَانَ يَلِدَانِ الْحَبَشَةَ بِسِفْدِ النَاقَةِ فَتَجِيءُ  
بِوَلَدٍ بَيْنَ خِلْقَةِ النَاقَةِ وَالضَّبْعَانِ. فَإِنْ كَانَ وَلَدُ تِلْكَ النَاقَةِ ذَكَرًا  
وَلَحِقَ بِالنِّمَارِ أَتَتْ بِالزَّرَافَةِ

وَحَكَى طِيَّاتُ الْحَكِيمِ أَنَّ بِجَانِبِ الْجَنُوبِ بِقُرْبِ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ  
بِالصَّنْفِ تَجْنُبُ حَيَوَانَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ الْأَنْوَاعِ عَلَى مَصَانِعِ الْمَاءِ مِنْ شِدَّةِ  
الْعَطَشِ قُرْبًا سَافَدَتْ غَيْرَ أَنْوَاعِهَا فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ مِثْلُ الزَّرَافَةِ وَالسَّمْعِ  
وَالسِّبَارِ وَأَمْثَالِهَا. وَالزَّرَافَةُ مِنَ الْخَلْقِ الْعَجِيبِ لَيْسَ عِنْدَهَا إِلَّا ظَرَفَةٌ  
الصُّورَةِ وَغَرَابَةُ الْبِتَاجِ

ظِبَاءُ الْمِسْكِ. فَإِنَّهَا كُظِبَاءُ بِلَادِنَا إِلَّا أَنَّ لَهَا نَائِبِينَ مُعَقِّبِينَ خَارِجِينَ  
مِنَ الْقَمَرِ كَمَا لِلْفِيلِ. قُرْبًا أَصْطِيدَتْ وَالْمِسْكُ فِي سُرَّتِهَا غَيْرُ نَضِيجٍ  
تَكُونُ فِيهِ زُهْوَكَةٌ وَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الشَّهَارِ إِذَا فُطِنَتْ قَبْلَ إِذْرَاكِهَا فَإِنَّهَا  
تَكُونُ نَاقِصَةً الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ. وَأَجُودُ الْمِسْكِ مَا أَلْقَاهُ الْغَزَالُ وَذَلِكَ  
أَنَّ الطَّيْبَةَ تَدْفَعُ مَوَادَّ الدَّمِ إِلَى سُرَّتِهِ فَإِذَا اسْتَحْكَمَ الدَّمُ فِيهَا وَنَضِجَ  
يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ أَذْيَةٌ وَحِكْمَةٌ فِي سُرَّتِهِ فَيَفْرَغُ حِينَئِذٍ إِلَى صَخْرَةٍ حَادَّةٍ فَيَمْلِكُ  
فِيهَا مُلْتَمِذًا بِذَلِكَ فَتَنْجَعُ الْمَادَّةُ حِينَئِذٍ وَتَسِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنْجَرٍ كَأَنْفِجَارٍ

الْخُرَاجِ وَالْذَّمَامِيلِ إِذَا نَضِجَتْ فَيَحْدُ الْغَزَالُ يُخْرِجُهَا لَذَّةً . وَالنَّاسُ  
يَتَّبِعُونَ مَرَاعِيهَا فِي الْأَجْبَالِ فَيَحْدُونَ ذَلِكَ الدَّمَّ قَدْ جَدَّ عَلَى تِلْكَ  
الضُّخُورِ فَيُحْكُونَهُ وَيَدْعُونَهُ فِي نَوَاجِجِ مَعَمٍّ مُعَدَّةٍ لِذَلِكَ . فَذَلِكَ أَفْضَلُ  
الْهَيْسِكِ تَسْتَعِيلُهُ مُلُوكُهُمْ وَبَنَاهَاؤُهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ

### فصل في السباع وهي النوع الخامس

ذُبْ . حَيَوَانٌ جَسِيمٌ يُحِبُّ الْعُزْلَةَ فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ يَدْخُلُ وَجَارَهُ  
الَّذِي اتَّخَذَهُ فِي الْغِيَرَانِ وَلَا يَخْرُجُ حَتَّى يَطِيبَ الْهَوَاءُ إِذَا جَاعَ يَهْصُ  
يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَدْفَعُ بِذَلِكَ جُوعَهُ وَيَخْرُجُ مِنْ وَجَارِهِ فَصَلَّ الرَّبِيعَ  
أَسْمَنَ مَا كَانَ . وَيُخَاصِمُهُ الْبَقَرُ فَإِذَا نَطَحَهُ الْبَقَرُ اسْتَلْقَى وَيَأْخُذُ يَدَيْهِ قَرْنَيْهِ  
وَبَعْضُهُ عَضًا شَدِيدًا يَفْهَرُ

وَالذَّبَّةُ إِذَا وَلَدَتْ يَكُونُ وَلَدُهَا كَيْطَعَةً لَحْمٍ تَخَافُ عَلَيْهَا مِنَ النَّمْلِ  
فَتَنْقُلُهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ فَإِذَا صَلَبَ بَدَنُ الْوَلَدِ أَقْرَنَتْهُ فِي مَوْضِعٍ .  
وَرَبَّمَا تَتْرُكُ أَوْلَادَهَا وَتَرْضِعُ وَلَدَ الضَّبُعِ . وَلِهَذَا تَقُولُ الْعَرَبُ فُلَانٌ  
أَحَقُّ مِنْ جَهَنَّمَ وَهِيَ الْأَنْثَى مِنَ الذَّبِّ

### فصل في الطيور وهي النوع السادس

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْحَيَوَانِ مُخْتَصٌّ بِخِفَةِ الْبَدَنِ وَفَقْدِ أَعْضَاءٍ كَثِيرَةٍ  
وَجِدَتْ فِي غَيْرِهِ . وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهَا خَلَقَ الْحَيَوَانَ  
وَجَعَلَ بَعْضَهَا عَدُوًّا لِبَعْضٍ أَعْطَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَّا قُوَّةً وَسِلَاحًا  
يَدْفَعُ بِهَا عَدُوَّهُ كَمَا لِلدَّوَابِّ وَالسَّبَاعِ أَوْ آلَةً يَهْرَبُ بِهَا كَمَا لِلْوُحُوشِ  
وَالطُّيُورِ . وَأَمَّا الْوُحُوشُ فَالْأَنَّهُمَا قَوَّاتُهُمَا وَأَمَّا الطُّيُورُ فَالْأَنَّهُمَا أَجْنَحَتُهُمَا .

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَلَةَ أَقْتَضَتْ خِيفَةَ الْجَنَّةِ إِذْ لَوْ كَانَتْ الْجَنَّةُ كَبِيرَةً أَقْتَضَتْ  
كِبَرَ الْجَنَاحِ وَالْجَنَاحُ الْكَبِيرُ لَا يَحْصُلُ مِنْهُ سُرْعَةُ الطَّيْرَانِ بَلْ يَكُونُ  
طَيْرَانُهُ بَطِيئًا لَا يَزِيدُ عَلَى سُرْعَةِ الشَّيْءِ فَلَا يَحْصُلُ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ  
وَمِنْ الْعَجَائِبِ طَيْرَانُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَعَدَمُ سُقُوطِهِ وَالْهَوَاءُ أَخَفُّ  
مِنْهُ وَهُوَ أَثْقَلُ مِنْهَا. فَلَمَّا أَقْتَضَى هَذِهِ الْأَلَةُ خِيفَةَ الْجَنَّةِ نَقَصَ مِنْهَا أَعْضَاءَ  
كَبِيرَةٍ تَوْجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنْ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَلِدُ وَتُرْضِعُ لِيَخَفَ عَلَيْهَا  
السُّهُوضُ وَيَسْهَلَ الطَّيْرَانُ كَالْأَسْنَانِ وَالْأَذَانِ وَالْكَرْشِ وَالْمَثَانَةِ  
وَحَزَازَاتِ الظُّهْرِ وَالْجِلْدِ الْخَفِينِ. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ خِلْقَةَ الطَّيْرِ وَجَدْتَ نِسْبَةَ  
فُدَامِهِ إِلَى أَسْفَلِهِ كَنِسْبَةِ يَمِينِهِ إِلَى شِمَالِهِ فَإِنْ كَانَ طَوِيلَ الرَّقَبَةِ تَطَوَّلُ  
أَيْضًا رِجْلَاهُ وَلَمَّا قَصُرَتْ رَقَبَتُهُ قَصُرَتْ رِجْلَاهُ. وَلَوْ نَفِثَ ذَنْبُ الطَّيْرِ  
لَمَالَ إِلَى فُدَامِهِ كَالسَّيْفِينِ الَّتِي خَفَّ مُوْخَرُهَا. قَالَ الْجَاهِلُ كُلُّ طَائِرٍ  
جَيِّدُ الْجَنَاحِ يَكُونُ ضَعِيفَ الرِّجْلَيْنِ كَالزَّرَازِيرِ وَالْعَصَافِيرِ وَإِذَا قُطِعَتْ  
رِجْلَاهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الطَّيْرَانِ كَمَا إِذَا قُطِعَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ  
عَلَى الْعَدْوِ. وَكُلُّ طَائِرٍ يَعْشُ الْمَاءُ يَرْقُ فَرْخُهُ. وَمِنْ الطُّيُورِ مَا أُعْطِيَ  
الْعُجْبَ فِي لَوْنِهِ كَالطَّائِدُوسِ وَالْبَيْغَا وَالْبِي بَرَايَشَ. وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي  
حَلْنِهِ كَالْحَمَامِ. وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي حَجَرِيَّتِهِ كَالْبَلَابِيلِ وَالْقَنَابِيرِ. وَمِنْهَا مَا  
أُعْطِيَ الْعُجْبَ فِي تَرْكِيبِ أَعْضَائِهِ كَاللِّفَالِي وَالْكِرَاكِي وَالنَّعَامِ. وَمِنْهَا مَا  
أُعْطِيَ فِي صَنْعِهِ كَالْخُطَافِ وَالْتَنُوطِ وَالْقَنْبَرَةِ. وَسَنَذْكُرُ بَعْضَهَا وَمَا  
يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ الْعُجْبِ وَتَرْكِيبِ أَسْمَائِهَا عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ

بَلْبَلُ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ هَزَارُ دَسْتَانُ طَائِرٌ صَغِيرٌ الْجَنَّةِ سَرِيعُ الْحَرَكَةِ

فَصَبَّحُ اللَّسَانِ كَثِيرُ الْأَحْمَانِ يَسْكُنُ الْبَسَاتِينَ وَلَهُ شَعْبٌ وَيُوجَدُ السَّيْمُ  
 الْوَرْدُ. يَقُولُونَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْوَرْدَ فَإِذَا رَأَى مَنْ يَقْطِنُهُ يَكْثُرُ صِبَاحُهُ  
 لَا يَصْبِرُ عَنِ الْمَاءِ سَاعَةً لِنَرِطِ حَرَارَتِهِ وَلَا يَتَزَاجُ إِلَّا فِي الْبَسَاتِينَ  
 وَالرَّيْحُ تَعْصِفُ بِهِ مِنْ صَغِيرٍ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّيْحِ لَمْ  
 يَخْرُجْ أَصْلًا

حُبَّارِي. طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ جَرَزٌ قَالُوا مَا فِي الطُّيُورِ أَشَدُّ  
 بَلَهًا مِنْهَا لِأَنَّهَا تَتْرُكُ بَيْضَهَا وَتَحْضُنُ بَيْضَ غَيْرِهَا وَفِي الْمَثَلِ كُلُّ شَيْءٍ  
 يُحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّى الْحُبَّارَى. وَإِذَا وَقَعَ ذَرْفُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطُّيُورِ يَعْمَلُ  
 عَمَلُ الدَّبْنِيِّ. وَالْعَرَبُ تُقَالُ الْحُبَّارَى سِلَاحُهُ سِلَاحُهُ. وَإِذَا قَصَدَ  
 الصَّغْرُ لَا يَزَالُ يَلْعُو وَيَنْزِلُ مَعَ الصَّغْرِ حَتَّى يَجِدَ فُرْصَةً فَرَمَاهُ بِذَرْفِهِ يَنْتَفِي  
 الصَّغْرُ مُقِيدًا مِثْلَ الْمَكْتُوفِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجْنِيعُ عَلَيْهِ الْحُبَّارِيَّاتُ وَتَتَنَفَّ  
 رِيشَهُ وَفِي ذَلِكَ هَلَاكُ الصَّغْرِ. وَالْحُبَّارَى إِذَا تَحَسَّرَ وَتَحَسَّرَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ  
 الطُّيُورِ فَيَنْتَبِثُ رِيشُ صَاحِبِهِ قَبْلَهُ فَيَبْهُوتُ كَهَذَا يُقَالُ فِي الْهَيْلِ مَاتَ  
 كَهَذَا الْحُبَّارَى

خُطَافٌ. طَائِرٌ لَا يَزَالُ يَنْتَفِلُ مِنَ الصُّرُودِ إِلَى الْجُرُومِ وَيَتَّبِعُ الرَّيْبَ.  
 إِذَا عَرَفَ اسْتِقْبَالَ الصَّبِّ يَأْخُذُ فِرَاحَهُ وَيَسْبِي بِهَا إِلَى الْوَكْرِ الَّذِي  
 تَرَكَهُ فِي الْيَلَادِ الْآخِرِ وَلَا يَنْتَفِي مِنْهَا وَاحِدٌ إِلَّا رَجَعَ إِلَى وَكْرِ الْقَدِيمِ.  
 وَيَخُذُّ الْوَكْرَ مِنَ الطَّيْنِ الْخُلُوطِ بِالشَّعْرِ لِيَنْتَفِي بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَيَقْوَى  
 كَطِينِ الْحِكْمَةِ. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُهُ وَيَنْزِكُهُ حَتَّى يَحْفَ  
 ثُمَّ يَعْمَلُ الْبَعْضُ الْآخَرَ. فَلَوْ عَمِلَهُ كُلُّهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَتَنَافَلَ وَسَنَطَ



وَإِذَا أَرَادَ اتِّخَاذَ الْوَكْرِ عَاوَنَتْهُ الْخُطَاطِيفُ فَإِذَا فَرَعَتْ نَائِبَ بِالْمَاءِ فِي  
 أَفْوَاهِهَا وَتُسَوِّي بِهِ بَاطِنَ الْوَكْرِ وَتُهْلِسُهُ وَتَزِيلُ خُشُونَتَهُ . وَتَضَعُ  
 السَّدَابَ فِي أَوْكَارِهَا لِدَفْعِ الْحَبَاتِ وَالذُّبَابِ وَالْبُعُوضِ . وَمِنَ الْمَشْهُورِ  
 أَنَّ عُشَّ الْخُطَاطِ يَجُلُّ فِي الْمَاءِ وَبَسْفِي صَاحِبَةِ الطَّلُقِ تَضَعُ بِسُهُولَةٍ  
 خُفَاشًا . طَائِرٌ مَشْهُورٌ ضَوْءُ بَصَرِهِ ضَعِيفٌ يَسْنُرُهُ شِعَاعُ الشَّمْسِ  
 لَا يَخْرُجُ إِلَّا يَتَنَ الظَّلَامَ وَالضُّبَابَ . شَبِيهٌ بِالْفَأْرِ جَنَاحُهُ جِلْدَةٌ رَفِيفَةٌ وَلَهُ  
 أَسْنَانٌ وَالْأُنثَى لَهَا ثَدْبَةٌ كَمَا لِلْفَأْرِ تُرَضَعُ أَوْلَادُهَا ..... تَصِيدُ الذُّبَابَ  
 وَالْبَقَّ وَآمَنَالَهَا . وَرُبَّمَا تَأْخُذُ وَلَدَهَا فِي فَمِهَا وَتَطِيرُ وَتُرَضَعُ وَلَدَهَا .  
 وَتَأْكُلُ الرُّمَانَ عَلَى الشَّجَرَةِ وَتَنْزُكُهَا فِشْرًا مُجَوِّفًا . وَتَهْرَبُ عَنْ وَرَقِ  
 الدُّلْبِ إِذَا نَزَلَ فِي مَكَانِهَا وَإِذَا عُلِقَتْ خُفَاشَةٌ فِي شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ جَاوَزَ  
 أَجْرَادُ عَنْهَا

غَوَاصٌ . طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ مَا هِيَ خَوَارُ . يُوجَدُ بِالْبَصْرِ عَلَى  
 طَرَفِ الْأَنْهَارِ يَغُوصُ فِي الْمَاءِ مَعْكُوسًا يَقُوقُهُ شِدِيدَةٌ وَيَلْبَثُ تَحْتَ  
 الْمَاءِ وَالْمَاءُ لَا يُعْلِيهِ مَعَ خِفَّةِ بَدَنِهِ . حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ رَأَيْتُ غَوَاصًا غَاصَ  
 وَطَلَعَ بِسَمَكَةٍ فَعَلَبَهُ الْغَرَابُ وَأَخَذَ السَّمَكَةَ مِنْهُ فَغَاصَ مِنْ أُخْرَى وَطَلَعَ  
 بِسَمَكَةٍ أُخْرَى وَقَرَّبَهَا مِنَ الْغَرَابِ وَاشْتَغَلَ الْغَرَابُ بِأَخْذِهَا فَوَثَبَ  
 الْغَوَاصُ وَأَخَذَ بِرِجْلِ الْغَرَابِ وَغَاصَ بِهِ وَوَقَفَ تَحْتَ الْمَاءِ حَتَّى اخْتَنَقَ  
 الْغَرَابُ وَخَرَجَ الْغَوَاصُ سَالِمًا .

قَطَا . طَائِرٌ مَعْرُوفٌ سُمِّيَ بِصَوْتِهِ يُقَالُ فَلَانٌ أَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا .  
 قَيْضُ فِي الْبَرَارِيِّ وَتَغِيبُ عَنْهَا أَيَّامًا وَتَعُودُ إِلَيْهَا يُقَالُ فَلَانٌ أَهْدَى مِنْ

أَقْطَا وَلَا يَنَامُ اللَّيَالِي وَيَأْتِي الْجَادَّةَ لِيَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَارِّينَ خَبْرٌ وَلَهُ  
أَفْخُوصَةٌ عَجِيبَةٌ فِي وَسْطِ الْحَشِيشِ مِثْلَ بِهَا الْفَائِلُ مِنْ بَنِي اللَّهِ مُسْجِدًا وَلَوْ  
مِثْلَ مَقْصَصِ قِطَاعِ بَنِي اللَّهِ لَهُ يَتَنَا فِي الْجَنَّةِ

### فَصْلٌ فِي الْهَوَامِّ وَالْحَشَرَاتِ وَهِيَ النَّوْعُ السَّابِعُ

هَذَا النَّوْعُ لَا يَهْكُنُ ضَبْطُ أَوْصَافِهِ وَأَصْنَافِهِ لِكَثْرَتِهَا. قَالَ بَعْضُ  
الْمُفَسِّرِينَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ تَحْقِيقَ قَوْلٍ مَنْ قَالَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ  
فَلْيُوقِدْ نَارًا فِي وَسْطِ غَيْضٍ بِاللَّيْلِ ثُمَّ لِيَنْظُرْ مَا يَغْشَى تِلْكَ النَّارَ مِنَ  
الْحَشَرَاتِ فَإِنَّهُ يَرَى صُورًا عَجِيبَةً وَأَشْكَالًا غَرِيبَةً لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ  
تَعَالَى خَلَقَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ الَّذِي يَغْشَى نَارَهُ يَخْتَلِفُ  
بِاخْتِلَافِ مَوَاضِعِ الْغُبَاضِ وَالْجَبَالِ وَالسُّهُولِ وَالْبَرَارِيِّ . فَإِنْ فِي كُلِّ  
بُنْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبُنْعِ أَلْوَانًا مِنَ الْخُلُوفَاتِ مُخَالَفَةً لَهَا فِي الْبُنْعَةِ الْأُخْرَى .  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَيْ فَايِدَةً فِي هَذِهِ الْهَوَامِّ مَعَ كَثَرَةِ ضَرَرِهَا وَلَمْ  
يَذَرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَرَاعِي الْمَصَالِحِ الْكَلْبَةِ كَارِسَالِ الْمَطْرِ فَإِنَّ فِيهِ مَصَالِحَ  
الْيَلَادِ وَالْعِبَادِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ خَرَابٌ نَبَتْ الْعُجُورِ

فَهَكَذَا خَلَقَ هَذِهِ الْحَشَرَاتِ مِنَ الْمَوَادِّ الْعَالِسَةِ وَالْعَفُونَاتِ الْكَائِنَةِ لِتَصْنُفَ  
أَهْوَاءَ مِنْهَا وَلَا يَعْزِضَ لَهَا الْقَسَادُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْوَبَاءِ وَهَلَاكِ الْحَيَوَانِ  
وَالنَّبَاتِ وَإِنْ كَانَ يَتَضَمَّنُ لَسَعَ الْبَقِّ . وَالَّذِي يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَا نَرَى  
الذُّبَابَ وَالذُّيْدَانَ وَالْحَنَافِسَ فِي دُكَّانِ الْقَصَابِ وَالْدَّبَاسِ أَكْثَرَ مِمَّا نَرَى

(١) ان الحشرات لم تكن عن المواد العالسة العنيفة بل عن زرعها الخاص بها فوالحالة

هذه نناسل نظير كل حيوان على ما علمته العلوم الصحيحة المنية على الاصول الصادقة

فِي دُكَّانِ الْبَزَارِ وَالْمَحْدَادِ. فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ صَرْفَ الْعُنُونَاتِ  
إِلَيْهَا لِتَصْنُفَ الْهَوَاءَ مِنْهَا وَتَسْلُمَ مِنَ الْوَبَاءِ. ثُمَّ جَعَلَ صِغَارَهَا مَا تَكُونُ  
لِكِبَارِهَا وَلَا أَمْتَلًا وَجَهَ الْأَرْضِ مِنْهَا. فَلَيْسَ فِي مَلَكُوتِهِ ذَرَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا  
مِنَ الْحِكْمِ مَا لَا يَحْصَى. وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلَّ مَا جُعِلَ سَبَبًا لِهَلَاكِ  
حَيَوَانٍ جُعِلَ لِحِمِّهِ سَبَبًا لِدَفْعِ ذَلِكَ السَّمِّ. فَإِنَّ الْأَطِبَّاءَ الْأَقْدَمِينَ  
وَجَدُوا فِي لَحْمِ الْحَبِيبَةِ قُوَّةً تُقَاوِمُ سَمَّهَا فَأَدْخَلُوا لَحْمَهَا فِي الزَّرِّيَاقِ.  
وَالْتَجَرِبَةُ تَشْهَدُ أَنَّ مَنْ لَسَعَتْهُ الْعُقْرَبُ يَلْطِخُ الْمَوْضِعَ بِرُطُوبَةِ الْعُقْرَبِ  
يَسْكُنُ أَلَمَهَا فِي الْحَالِ

ثُمَّ إِنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْحَيَوَانِ يَخْتَلِفُ حَالُهَا عِنْدَ الشِّتَاءِ. فَمِنْهَا مَا  
يَبُوتُ مِنْ بَرْدِ الْهَوَاءِ كَالذِّبْدَانِ وَالْبَقِ وَالْبَرَاعِثِ. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي  
الشِّتَاءِ وَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا كَالنَّحْيَاتِ وَالْعُقَارِبِ. وَمِنْهَا مَا يَذْخَرُ مَا يَكْنِيهَا  
لِشِتَائِهَا كَالنَّحْلِ فَإِنَّهَا لَا تَعِيشُ إِلَّا طَعْمًا. وَلَنَذْكُرْ بَعْضَهَا مُرْتَبًا عَلَى حُرُوفِ  
الْمُعْجَمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

بُرْعُوثٌ. هُوَ أَسْوَدُ أَحَدَبُ ضَامِرٌ إِذَا وَقَعَ نَظَرُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ أَحَسَّ  
بِهِ فَيَشُبُّ نَارَةً إِلَى الْيَمِينِ وَنَارَةً إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَغِيبَ عَنِ نَظَرِ  
الْإِنْسَانِ. قَالَ الْأَنْجَاحُظُّ إِنَّهَا تَبْيَضُ وَتَفْرِخُ. قَالُوا عَنْهُ خَمْسَةُ أَيَّامٍ.  
زَعَمُوا أَنَّ الْبَرَاعِثَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِي بَعْرِضُ لَهُ الطَّيْرَانُ فَيَصِيرُ بَقَا كَمَا  
بَعْرِضُ لِلدَّعَائِيصِ الطَّيْرَانُ فَيَصِيرُ فَرَّاشًا. وَزَعَمُوا أَنَّ الْبُرْعُوثَ يَأْكُلُ  
الْقَبْلَ الَّذِي فِي الثِّيَابِ وَيَبُوتُ مِنْ رَائِحَةِ وَرَقِ الدِّفْلَى  
بُعُوضٌ. هُوَ حَيَوَانٌ فِي غَايَةِ الصَّغَرِ عَلَى صُورَةِ الْفِيلِ وَكُلُّ غُضُو خُلِقَ

لِلْفِيلِ قَلْبُعُوضٍ مِثْلُهُ مَعَ رِيَادَةِ جَنَاحَيْنِ. فَسُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ لَهُ الْأَعْضَاءَ  
الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ وَالْقُوَى كَذَلِكَ كَمَا لِلْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ. أَنْظِرْ إِلَى صِغَرِ  
جَسْمِهِ فَإِنَّ الطَّرْفَ بِالشَّدِيدِ يُدْرِكُهُ لِصِغَرِهِ. ثُمَّ إِلَى رَأْسِهِ فَإِنَّ رَأْسَهُ كَمِ  
يَكُونُ مِنْ جَسْمِهِ وَفِيهِ الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ وَالسَّامِعَةُ. ثُمَّ إِلَى دِمَاعِهِ وَأَنْظِرْ كَمِ  
يَكُونُ دِمَاعُهُ مِنْ رَأْسِهِ فَإِنَّ فِيهِ الْقُوَى الْبَاطِنَةَ الْخَمْسَ. فِيهَا الْحِسُّ  
الْمُشْتَرِكُ لِأَنَّهَا تَرَى الْحَيَوَانَ تَمِشِي إِلَيْهِ. وَفِيهَا الْخَبَالُ لِأَنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ  
عَلَى الْحَيَوَانَ تَغْسُ خُرْطُومَهَا وَإِذَا وَقَعَتْ عَلَى الْحَائِطِ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ.  
وَفِيهَا الْوَقْمُ لِأَنَّهَا تَفْرُقُ بَيْنَ مَنْ يَقْصِدُهَا فَتَهْرُبُ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَقْصِدُهَا  
فَتَقْبُضُ. وَفِيهَا الْحَافِظَةُ لِأَنَّهَا إِذَا اجْتَذَبَتْ الدَّمَ تَهْرُبُ فِي أَنْحَالِ لِعَلِّهَا  
يَأْتِيهَا أَوْجَعَتْ فَتَأْتِيهَا صَدْمَةُ الْمَنَاءِ لَمْ. وَفِيهَا الْمَتَفَكِّكَةُ لِأَنَّهَا إِذَا أَحْسَسَتْ  
يَحْرَكُهُ يَدُ الْإِنْسَانِ تَهْرُبُ لِعَلِّهَا أَنَّهَا مُهْلِكَةٌ وَإِذَا سَكَنَ يَدُهُ عَادَتْ إِلَى  
مَكَانِهَا لِعَلِّهَا أَنَّ الْمَنَاءَ فِي ذَهَبٍ وَأَنَّ مَحَلَّ الْغِذَاءِ خَلَا. وَلَهَا خُرْطُومٌ  
أَدْوُ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ وَمَعَ دِقَّتِهِ مُجَوَّفٌ حَتَّى يَجْرِي فِيهِ الدَّمُ الرَّفِيقُ  
وَحُلِقَ فِي رَأْسِ ذَلِكَ الْخُرْطُومِ قُوَّةٌ تَضْرِبُ بِهَا جِلْدَ الْفِيلِ وَالْجَامُوسِ  
تُنْفِذُهُ فِيهَا وَالْفِيلَ وَالْجَامُوسَ يَهْرُبَانِ مِنَ الْبُعُوضِ فِي الْمَاءِ

دَوْدُ الْقَزِ. دُوبِيَّةٌ إِذَا شَبِعَتْ مِنَ الْمَرْعَى طَلَبَتْ مَوَاضِعَهَا مِنْ  
الْأَشْجَارِ وَالشُّوكِ وَمَدَّتْ مِنْ لَعَابِهَا خُيُوطًا دِقَاقًا وَنَسَجَتْ عَلَى نَفْسِهَا كُبَّةً

(١) قد قسم الفروني القوى الباطنة في الحيوان الى قسمين الى مدركة الى عقلية  
فنسب المدركة الى الحيوان المحض وقد نشأت عن ميله الغريزي، اما العقلية فقد اخصها  
بالحيوان الباطني وهو الانسان لا غير

مِثْلَ كَيْسٍ لِيَكُونَ سِرْبًا لَهَا مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالرِّيحِ وَالْأَمْطَارِ وَنَامَتْ  
إِلَى وَفْتٍ مَعْلُومٍ بِإِلْهَامِ اللَّهِ تَعَالَى

وَأَمَّا كَيْفَةُ أَقْنِنَائِمَا فَمِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا وَهِيَ أَتَمُّ أَوَّلِ الرَّبِيعِ  
يَأْخُذُونَ الْبَرْدَ وَبُشْدُونَهُ فِي خِرْقَةٍ وَيُجْعَلُ تَحْتَ نَدْيِ أَمْرَأَةٍ لِتَصِلَ  
إِلَيْهِ حَرَارَةُ الْبَدَنِ إِلَى أُسْبُوعٍ . ثُمَّ يُنْزَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ وَرَقِ الثَّوْبِ  
الْمَقْصُوصِ بِالْمِقْرَاصِ فَيَحْرُكُ الدُّودُ وَتَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَرَقِ ثُمَّ  
لَا تَأْكُلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النَّوْمَةِ الْأُولَى . ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْأَكْلِ  
فَتَأْكُلُ أُسْبُوعًا ثُمَّ تَتْرُكُ الْأَكْلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النَّوْمَةِ  
الثَّانِيَةِ . وَهَكَذَا فِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النَّوْمَةِ الثَّلَاثَةِ . وَبَعْدَ  
النَّوْمَاتِ يُطْلَقُ لَهَا مِنَ الْعَلْفِ لِنَاقِلٍ كَثِيرًا وَتَشْرَعُ فِي عَمَلِ الْفَلِجَةِ .  
فَيُظْهِرُ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْءٌ مِثْلُ نَسِجِ الْعَنْكَبُوتِ وَيَزْدَادُ شَيْئًا  
فَشِيئًا فَإِذَا مَطَرَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَطَرٌ يُدْعَى الْفَلِجَةِ بِرُطُوبَةِ النَّدَاوَةِ  
وَتَشْتَبِهُ الدُّودَةَ وَتَخْرُجُ مِنْهَا وَقَدْ نَبَتْ لَهَا جَنَاحَانِ فَتَطِيرُ وَلَا يَحْصُلُ  
شَيْءٌ مِنَ الْإِبْرِيْشِمِ . وَإِذَا فَرَعَتِ الدُّودَةُ مِنَ الْفَلِجَةِ عُرِضَتْ عَلَى الشَّمْسِ  
لِتَسْمُوَ الدُّودَةُ فِيهَا وَيَحْصُلُ مِنَ الْفَلِجَةِ الْإِبْرِيْشِمُ . وَيَتْرُكُ بَعْضُ  
الْفَلِجَاتِ لِيَشْتَبِهُا الدُّودُ وَتَخْرُجُ وَتَبْيَضُ وَيَضُّهَا يُحْفَظُ لِلْسِّنَةِ الْآتِيَةِ فِي  
ظَرْفِ نَعْيٍ مِنَ الْخَزَفِ أَوْ الزُّجَاجِ . وَالْثِيَابُ الْإِبْرِيْشِمِيَّةُ تَنْفَعُ مِنَ الْحِكَّةِ  
وَالْجَرَبِ وَلَا يَتَوَلَّدُ فِيهَا الْقَمَلُ

عَنْكَبُوتٌ . أَصْنَافُهُ كَثِيرَةٌ لِكُلِّ صِنْفٍ فِعْلٌ عَجِيبٌ مِنْهَا الطَّوِيلُ  
الْأَرْجُلِ فَإِنَّهَا لَمَّا عَرَفَتْ ضَعْفَ قَوَائِمِهَا وَأَنَّهَا تَعِزُّ عَنِ الصِّيدِ أَعَدَّ

لِلصَّيْدِ مَصَابِدَ وَحَبَائِلَ مِنَ الْخَبُوطِ فَعَمَدَتْ إِلَى فُرْجَةٍ بَيْنَ حَائِطَيْنِ  
مُتَقَارِبَيْنِ . وَبُلَغِي لُعَابِهِ الَّذِي هُوَ خَبْطُهُ إِلَى جَانِبٍ لِيَلْصُقَ بِهِ ثُمَّ بَعْدَ  
ذَلِكَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ وَهَكَذَا ثَانِيًا وَثَالِثًا وَهَذَا هُوَ السَّدَى . ثُمَّ يُجَكِّمُ  
لُحْمَهُ حَتَّى يُمْشِ النَّسْجَ وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَنَاسُبِ هَنْدَسِيٍّ حَتَّى يَصِحَّ النَّسْجُ .  
ثُمَّ يَقْعُدُ فِي زَاوِيَةٍ مُتَرَصِّدًا وَفُوعَ الصَّيْدِ فَإِذَا وَقَعَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الدُّبَابِ  
أَوْ الْبَقِّ بَادَرَ إِلَى أَخْذِهِ

وَمِنْهَا صِنْفٌ آخَرُ قَصِيرُ الْأَرْجْلِ يُسَمَّى الْقَهْدَ فَإِنَّهُ يَصِيدُ الدُّبَابَ عَلَى  
شِبْهِ صَيْدِ الْقَهْدِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَتَمَكَّنُ فِي زَاوِيَةٍ فَإِذَا طَارَتْ ذُبَابَةٌ يَقْرِيهِ  
وَتَبَّ إِلَيْهَا . وَرُبَّمَا مَدَّ خَبْطًا مِنَ السَّقْفِ وَعَلَفَ نَفْسَهُ فِيهِ مُنْكَسًا فَإِذَا  
طَارَ ذُبَابٌ يَقْرِيهِ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ وَأَخَذَهُ . وَمِنْهَا صِنْفٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ  
الْبَيْتُ وَلَهُ سِتٌّ عُمُورٍ فَإِذَا رَأَى الدُّبَابَ لَطَى إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ وَتَبَ فَلَمْ  
يُخْطِ وَتَبَّتْهُ وَهُوَ أَفَى الدُّبَابِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ الرُّبَيْلَا إِذَا مَشَى عَلَى  
الْإِنْسَانِ يَمُوتُ الْإِنْسَانُ مِنْ لُعَابِهِ . وَيُسَمَّى عَقْرَبَ الثُّعْبَانِ لِأَنَّهُ يَقْتُلُ  
الثُّعْبَانَ . وَمِنْهَا صِنْفٌ دَقِيقُ الصَّنْعَةِ يَهَيِّئُ نَسْجَهُ وَيَصْعَدُ يَتَنَّهُ فَإِذَا وَقَعَتْ  
فِي مَصِيدَتِهِ ذُبَابَةٌ تَضْطَرِبُ فِيهَا فَيَسْهِي إِلَيْهَا وَيَبْصُرُ رُطُوبَهَا  
وَالدُّبَابَةُ تَطْنُ مِنَ الْآلَمِ إِلَى أَنْ تَمُوتَ وَتُجْلِيهَا إِلَى خِزَانَتِهِ لِلدَّخِيرِ  
وَكَثَرُ مَا يَقَعُ فِي مَصِيدَتِهِ عِنْدَ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَنَاكِبَ الْأَنَاتَ هِيَ الْعَوَامِلُ وَالذُّكُورَ خُرَقُ  
تَعْمَلُ شَيْئًا . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ السَّدَى مِنَ الْأَنَاتِ وَاللُّحْمَةَ مِنَ  
الذُّكُورِ لِأَنَّ اللُّحْمَةَ أَقْوَى مِنَ السَّدَى وَهِيَ كَالشَّرِيبِكَيْنِ فِي الْعَمَلِ أَوْ

كَأَلَسْنَا ذِمَّةَ اللَّيْلِ

فَرَّاشٌ. هُوَ الْحَيَوَانُ الَّذِي يَنْهَافُ عَلَى السَّرَاجِ وَيَحْتَرِقُ. ذَكَرَ خَفِيفُ  
السَّمَرِ قَنْدِسُ صَاحِبُ الْمَعْتَصِدِ أَنَّهُ كَثُرَ الْفَرَّاشُ عَلَى الشَّمْعِ بِحَضْرَةِ  
الْمَعْتَصِدِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فَجَمَعْنَاهَا فَكَانَتْ مَكُونًا مِثْلَ فَنَافِيسٍ أَثْنَيْنِ  
وَسَعِيدَيْنِ شَكْلًا. زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْفَرَّاشَ دُعُوصٌ نَبَتَ جَنَاحُهَا.  
وَسَبَبُ وَقُوعِهَا عَلَى النَّارِ مَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ السَّرَاجَ بِاللَّيْلِ  
نَظُنُّ أَنَّهَا فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَنَّ السَّرَاجَ كَوْنُهُ مِنَ الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ إِلَى الْمَكَانِ  
الْمُضِيِّ فَلَا تَزَالُ تَطْلُبُ الضَّوْءَ وَتَرْمِي نَفْسَهَا فِيهَا إِلَى أَنْ تَحْتَرِقَ

تَحُلُّ. حَيَوَانٌ ذُو هَيْئَةٍ لَطِيفَةٍ وَخَلْقَةٍ ظَرِيفَةٍ وَبُنْيَةٍ نَجِيفَةٍ وَسَطٍ بَدَنِهِ  
مُرَبَّعٌ مَكْعَبٌ وَرَأْسُهُ مَدَوَّرٌ مَبْسُوطٌ وَمُؤَخَّرٌ مَخْرُوطٌ. وَرُكْبَتَا فِي وَسَطِ  
بَدَنِهِ أَرْبَعَةُ أَرْجُلٍ وَبَدَانٍ مُتَنَاسِبَةٌ الْمَفَادِيرِ كَأَضْلَاعِ الشَّكْلِ الْمُسَدَّسِ  
وَقَدْ جُعِلَ فِيهَا مُلْكٌ وَيَتَوَارَثُ الْمُلْكُ أَوْلَادُهَا عَنْ آبَائِهَا. فَإِنَّ  
الْبَعَاسِيْبَ لَا تَلِدُ إِلَّا الْبَعَاسِيْبَ. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الْبَعُوبَ لَا يَخْرُجُ مِنْ  
الْكُورِ لِأَنَّهُ إِنْ خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ النَّحْلِ فَيَفُفُّ الْعَمَلُ وَإِنْ هَلَكَ  
الْبَعُوبُ وَقَفَّتِ النَّحْلُ لَا تَعْمَلُ شَيْئًا فَتَهْلِكُ عَاجِلًا. وَالْبَعُوبُ تَكُونُ  
جُثَّةً كَجُثَّةِ نَحْلَتَيْنِ وَهُوَ يُوَزَّعُ الْعَمَلُ عَلَى النَّحْلِ حَتَّى تَرَى بَعْضَهَا يَهْدُ  
الْأَسَاسَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ الْبَيْتَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ الْعَسَلَ. وَمَنْ لَا يُجَسِّنُ  
الْعَمَلَ لَا يُجِلُّهَا فِي وَسَطِ النَّحْلِ بَلْ يُخْرِجُهَا وَيَنْصُبُ بَوَابًا عَلَى بَابِ الْخَلِيَّةِ  
لِيَلَّا يَدْخُلَ إِلَيْهَا مَنْ وَقَعَ عَلَى النِّجَاسَاتِ فَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ النَّحْلِ عَلَى  
النِّجَاسَاتِ مَنَعَهَا الدُّخُولَ

وَالْخِثَّاءُ بَيُوتُهَا مُسَدَّسَةٌ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ وَالْقَرَضُ مِنَ الْمُسَدَّسَاتِ  
 الْمَتَسَاوِيَّاتِ الْأَضْلَاعُ لِخَاصِّيَّةِ بَقْصَرِ قَهْمِ الْمُهَنْدِسِ عَنْ إِدْرَاكِهَا  
 لَا تُوجَدُ تِلْكَ الْخَاصِّيَّةُ فِي الْمُرَبَّعِ وَلَا فِي الْخُمْسِ وَلَا فِي الْمُسْتَدِيرِ.  
 وَهِيَ أَنْ أَوْسَعَ الْأَشْكَالِ وَأَجْوَدَهَا الْمُسْتَدِيرُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَمَّا الْمُرَبَّعُ  
 فَيَخْرُجُ مِنْهُ زَوَايَا ضَائِعَةٌ. وَشَكْلُ الْخَلِّ مُسْتَدِيرٌ مُسْتَطِيلٌ فَتَرَكَ الْمُرَبَّعَ  
 حَتَّى لَا تَضِيعَ الزَّوَايَا فَتَبْقَى خَالِيَةً وَلَوْ بَنَاهَا مُسْتَدِيرَةً لَبَقِيَ خَارِجَ الْبُيُوتِ  
 فِرْجٌ ضَائِعَةٌ. فَإِنَّ الْأَشْكَالَ الْمُسْتَدِيرَةَ إِذَا جُمِعَتْ لَا تَجْتَمِعُ مُنْرَاصَةً وَلَا  
 شَكْلٌ فِي الْأَشْكَالِ ذَوَاتِ الزَّوَايَا يَقْرُبُ فِي الْإِخْوَانِ مِنَ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ  
 يَنْرَاصُ الْجُمْلَةُ مِنْهُ يَحْبُثُ لَا يَبْقَى بَعْدَ أَجْنَائِهَا فِرْجَةٌ إِلَّا الْمُسَدَّسُ  
 فَانْظُرْ كَيْفَ أَلْهَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ

وَتَعْمَلُ فَصْلَيْنِ فِي الرَّيْعِ وَالْخَرْيْفِ فَتَجْمَعُ بِأَلْيَدِي وَالْأَرْجُلِ مِنْ  
 وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَزَهْرِ الثَّمَارِ الرُّطُوبَاتِ الدُّهْنِيَّةِ الَّتِي تَنْبِي بِهَا مَنَارُهَا  
 وَهِيَ مَشْفَرَانِ حَادَانِ تَجْمَعُ بِهِمَا مِنْ ثَمَرِ الْأَشْجَارِ رُطُوبَاتٌ لَطِيفَةٌ  
 عَجَزَتْ عُقُولُ الْأَكْثَرِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهَا عَلَى طَبَائِعِ. وَخُلِقَ فِي جَوْفِهَا  
 قُوَّةٌ عَاطِيَةٌ تُصِيرُ تِلْكَ الرُّطُوبَاتِ عَسَلًا حُلُولًا لَدَيْدًا غِذَاءً لَهَا وَلِأَوْلَادِهَا  
 وَمَا فَضَّلَ عَنْ غِذَائِهَا تَجْعَلُهُ مُحْزُونًا فِي بَعْضِ الْبُيُوتِ وَتَغْطِي رَأْسَهَا  
 بِغِطَاءٍ رَفِيقٍ مِنَ الشَّمْعِ حَتَّى يَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِهَا مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ  
 كَأَنَّهَا رَأْسُ الْبَرَانِيِّ مُسَدَّدَةٌ بِالْقَرَاطِيسِ وَتَذْخَرُ ذَلِكَ لِأَجْلِ الشِّتَاءِ  
 وَتَبِضُ فِي بَعْضِ الْبُيُوتِ وَتَحْضُنُ وَتَنْفُخُ وَتَأْوِي إِلَى بَعْضِ الْبُيُوتِ  
 وَتَنَامُ فِيهَا أَيَّامَ الشِّتَاءِ وَيَوْمَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ وَالْأَمْطَارِ وَتَنْفُتُ مِنْ ذَلِكَ



الْعَسَلِ الْخَزُونِ هِيَ وَأَوْلَاهَا لَا إِسْرَافًا وَلَا تَقْتِيرًا إِلَى أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ  
الرَّبْعِ وَتَخْرُجَ الْأَزْهَارُ وَالْأَنْوَارُ فَتَرْغَى كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي  
وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبُهَا بِالْهَامِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى. وَمِنْ عَجَائِبِ النَّحْلِ أَنَّهَا إِذَا  
عَرَفَتْ أَخَذَ الْعَسَلُ وَأَحْسَتْ بِالذُّخَانِ جَعَلَتْ تَأْكُلُ مِنْهُ أَكْلًا ذَرِيعًا  
حَتَّى بَعْضُهُمْ أَنَّ خَلِيَّةً مِنْ خَلَائِا الْعَسَلِ مَرَضَ نَحْلَهَا فَجَاءَ نَحْلُ خَلِيَّةِ  
أُخْرَى يُقَاتِلُهَا عَلَى الْعَسَلِ الَّذِي فِي يَوْمِهَا يُرِيدُ إِخْرَاجَهَا مِنَ الْخَلِيَّةِ  
لِيَسْتَوِي عَلَى عَسَلِهَا فَأَقْبَلَ قِيمُ الْحَمَلَايَا يُعَاوَنُ النَّحْلَ الضَّعِيفَ الْمَرِيضَ  
وَكَانَ يُلْسَعُهُ النَّحْلُ الْغَرِيبُ دُونَ الْمَرِيضِ كَأَنَّهُا عَرَفَتْ أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْهَا.  
وَأَمَّا الْعَسَلُ فَذَكَرُوا أَنَّ الْأَبْيَضَ عَمَلُ شَبَابِهَا وَالْأَصْفَرَ عَمَلُ كُهُولِهَا  
وَالْأَحْمَرَ عَمَلُ شَيْبِهَا



من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات  
للقرطبي

## فهرس

وجه

من كتاب العرو وديوان المتدء في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان  
الأكبر لعبد الرحمان بن خلدون المحضري

المنذمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهب الأملاع بما يعرض للورخين من المعالط  
الأوهام وذكر شيء من أسابها

٢

من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب تأليف العلامة المنري

١٥

في وصف الأندلس

في الفاء الأندلس للسلمين بالقباء وفجها على يد موسى بن نصير ومولاء طارق بن

٢٦

ياد

من كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لابي

الامير

### المقالة الاولى وهي ستة فصول

٢٠

الفصل الاول . في خواص مصر العامة لها

٢٤

الفصل الثاني . فيما يخص يوم من البات

٢٧

الفصل الثالث . فيما يخص يوم من الحيران

٤٠

الفصل الرابع . في اقتصاص ما شوهد من آثارها القديمة

٥٥

الفصل الخامس . فيما شوهد بها من غرائب الاسبية والسفن

### المقالة الثانية

٥٧

البل وكنية زيادته واعطاء عل ذلك وقوايو

من تحفة الظار في غرائب الامصار وعجائب الاسار لاس عبد الله محمد بن عبد الله

٦٢

محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف باسم تطوطة

٧٠

حكاية خصيب

٧٦

حكاية ابي يعقوب يوسف

من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموحودات للشيخ الامام محمد بن محمد القزويني

٨٧

ظرف في الكائنات وهي الاحسام المتولدة من الامهات

٨٨

النظر الاول . في المدهيات

النظر الثاني . في النبات  
 القسم الاول . الشجر  
 القسم الثاني من النبات . النجوم  
 النظر الثالث . في الحيوان  
 النوع الاول . الانسان  
 النظر في القوى  
 القوى الظاهرة وهي الحواس الخمس  
 فصل في الدواب  
 فصل في النعم  
 فصل في السباع  
 فصل في الطيور  
 فصل في الهوام والحشرات



٢ ٥ ٢ ٥	لا غنى عن هذا
٢ و	فن نمبر
٢ ٥ ٢ ٥	كتاب نمبر

